(العدد الرابع عشر)، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثاني ١٣٩٨ هـ
أبريل - مايو - يونيو ١٩٧٨م

# مجلة المسلم المعاصر




فصلية فكرية تعالج شؤون الحياة المعاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية

(العدد الرابع عشر)، ربيع الثاني جمادى الأولى جمادى الثاني ١٣٩٨ هـ
أبريل - مايو - يونيو ١٩٧٨م

صاحب الإمتياز ورئيس التحرير المسؤول
الدكتور جمال الدين عطية

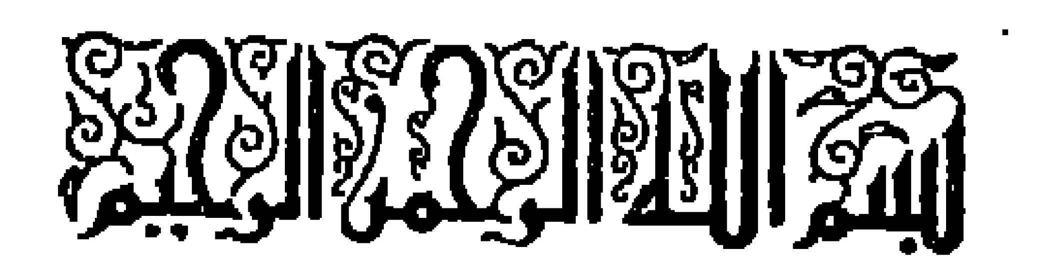





العنوان
ص.ب. ١١٩٤٢٩ بيروت
مؤقتاً: ص.ب. ٢٨٥٧ الكويت

سعر النسخة ٤٠٠ ق.ل
الإشتراك السنوي في لبنان: ١٥ ل.ل

# محتويات العدد



# كلمة التحرير

## الإسلام الحكومى والإسلام الشعبى

---

من الصعب على المرء أن يطلق مثل هذه المصطلحات التى وضعتها عنوانا لهذه الكلمة ، فأرجو ان يتقبلها القارىء الكريم فى إطار المعنى الذى قصدت الى ابرازه ، والذى اتضح لى من خلال معايشة الأجهزة الحكومية التى تقوم بأنشطة اسلامية فى مختلف البلاد الاسلامية لا فى بلد معين بالذات ، بدءا من إدارات المساجد والوعظ والارشاد والمجلات الاسلامية والمعاهد الدينية والبرامج الدينية فى الاذاعة المسموعة والمرئية والمؤتمرات الاسلاميــة والمجامع والمجالس .. الى آخر هــذه الأجهزة الحكوميــة .

أول ما يلاحظ على هذه الأجهزة أن العاملين بها موظفون ليس من بين مسوغات تعيينهم فى وظائفهم اقتناعهم بالرسالة التى أنشىء الجهاز لأدائها أو تفاعلهم بها وحماسهم لها ، وهذا أمر واضح ونتائجه واضحة كذلك .

الملاحظة الثانية والأهم هى أن السلطة والمال اللذين يساندان هذه الأجهزة من الأسلحة ذات الحدين ، إذ يؤديان من ناحية الى زيادة فاعلية

هذه الأجهزة ، ولكنهما من ناحية أخرى يجعلان منها أداة لخدمة السياسة العليا للحكومة ، ومن الأمثلة الكثيرة لهذه الظاهرة الأخيرة نكتفى بمثالين :

أولهما ما هو مشاهد معروف من تلون انتاج هذه الأجهزة باللون السياسى للدولة التابعة لها فحيث ترفع الدولة شعارا اشتراكيا تقدم أجهزتها الدينية الاسلام على أنه دين الاشتراكية وعدو الرأسمالية ، وحيث ترفع الدولة شعارا رأسماليا أو ليبراليا تقدم أجهزتها الدينية الاسلام على انه دين الرأسمالية والليبرالية وعدو الاشتراكية وهكذا ..

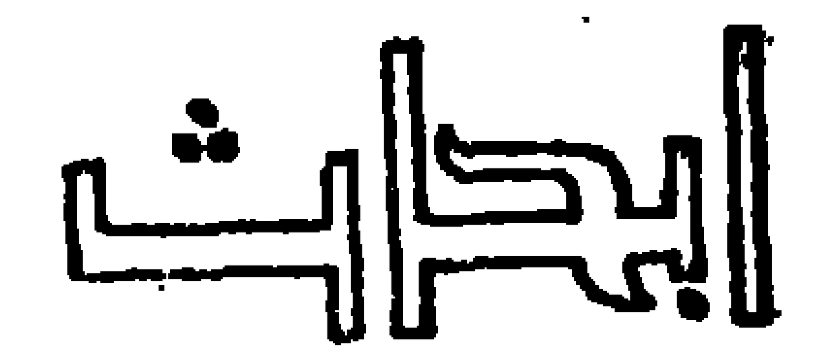
والمثال الثانى والأهم هو أن هذه الأجهزة هى فى غالب الأحوال أجهزة دعائية للنظام الحاكم وللدفاع عنه وتثبيت أركانه ، ولا ترفع صوت النقد أو حتى النصح ــ فضلا عن المعارضة ــ الا نادرا ، وفى المسائل الثانوية غير الاساسية ، وكتصرف فردى من موظف متحمس لا يلبث ان ينال جزاءه على جرأته وخروجه عن الخط المرسوم .

* وفى ظل هذا الواقع لا محل لتصور أن تقوم هذه الأجهزة بتوضيح أبعاد التغيير الاجتماعى المطلوب فى مجتمع ما من منظور اسلامى ، فضلا عن ان تحمل لواء الدعوة الى أحداث هذا التغيير ، وهذا هو الفارق الرئيسى بين العمل الاسلامى الحكومى الذى يتسم بطابع المحافظة على الأوضاع القائمة status quo وبين العمل الاسلامى الشعبى الذى يتسم بطابع السعى الى التغيير الاجتماعى social change

* وفى ضوء هذا التصور نستطيع أن نفهم سبب محاولة بعض الحكومات الاسلامية السيطرة أو التأثير على الحركات الاسلامية الشعبية وتطويقها فى فلكها وامتصاص عناصرها الفعالة ومحاولة بعض الحكومات الاسلامية الأخرى قمع أو محاربة أو تشويه عمل الحركات الاسلامية الشعبية ، وكلا المحاولتين تستخدمان سيف المعز وذهبه من خلال أجهزتها الحكومية المتخصصة .

اذا اتضح ذلك ، أصبح لزاما علينا ان نصب كامل طاقاتنا فى المسار الصحيح للعمل الاسلامى الشعبى ، وان نفرق بين المفيد النافع والسراب الخادع فى الأنشطة الاسلامية الحكومية ، وان نأخذ العبرة من تاريخ الاسلام الطويل حيث كان مركز الثقل فى العمـل الاسـلامى دائما فى القاعدة الشعبية لا فى الأجهزة الحكومية .

جمال الدين عطيه



# نظام الإسلام العقائدى[1]

## في العصر الحديث

محمد المبارك *

---

كيف نواجه ــ نحن المسلمين ــ النظم العقائدية الوافدة المتداعية الى غزونا ، بنظام عقائدي اسلامي ؟ ! كيف نصوغ مبادىء الاسلام الأساسية بحيث تنظم جماعة المسلمين ، وتكون منهم أمة ، وتقيم بهم ــ على أساس هذا النظام ــ دولة ، لتجتمع لهم بذلك عقيدة وأمة ودولة على نسق واحد ، ينظم عقدها نظام واحد ؟ على أن تكون هذه الصياغة مناسبة لأساليب التفكير المعاصرة ، وتتمتع بقدرة على الحوار والمواجهة للنظم الأخرى ، وعلى مخاطبة الناس جميعا في عصرنا هذا ، والانفتاح على الانسانية بأفقها الواسع .

لابد لبلوغ هذه الغاية من العودة الى الوراء لرسم الخط البيانى الذي أوصلنا الى موقعنا الحالي لنتبينه بوضوح ونعرف مركز انطلاقنا ثم نعود الى هدفنا من صياغة نظام الاسلام العقائدى .

مر الاسلام منذ بدايته وقبل مرحلة الغزو الأخيرة هذه بمرحلتين :

---

( * ) مستشار جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

أولاهما : كانت مرحلة ازدهار وامتداد وقوة استمرت متصاعدة أربعة قرون ، ثم بقيت بحكم الاستمرار محتفظة بقوتها عدة قرون أخرى • وتتسم هذه المرحلة بقوة الايمان والوعى العميق وازدهار العلوم كلها الدينية واللغوية والعلوم الطبيعية والرياضية وتقدمها وبالنشاط الاقتصادى وفتوح البلدان وتحريرها من الاستبداد والظلم وبقوة الدولة الاسلامية وارتفاع مستواها ومؤسساتها الحضارية •

وثانيتهما : مرحلة الخسارة وضعف وجمود • وقد برزت هذه الصفات بوجه خاص وبوضوح بعد القرن التاسع الهجرى • وتتسم هذه المرحلة بالركود العلمى وغلبة النقل والتقليد وفقدان الابداع ، ووقوف العلوم الرياضية والطبيعية ، بل اغفالها وتراجعها وركود الحركة الاقتصادية والاهتمام بالجزئيات تفكيرا وعملا ، بدلا من الاهتمام بأهداف الاسلام العامة ومقاصده وكلياته ، وذلك مما أضعف الوعى الاسلامى العام وجعله ضامرا متقلصا ، وتتسم كذلك بنوع من الاستسلام والسلبية •

وكل ذلك حصل — فى رأينا — بسبب ما طرأ من تغيير على المفاهيم الاسلامية الأساسية ، وانحراف عن الاتجاه الاسلامى الأصيل ، وتغيير فى سلم الأولويات كما رتبها الاسلام فى كتابه وسنته ، بحيث أصبح الاهتمام الكبير بالأمور الثانوية والاغفال الشديد للأمور التى اعتبرها الاسلام فى الدرجة الأولى من الأهمية • يضاف الى هذا ما أدخل فى المحيط الاسلامى من أفكار خارجية أقحمت فى الاسلام مباشرة أو بطريق التأويل ، وما ابتدع فى مجال العقيدة والعبادات ، مما أخل بعقيدة التوحيد التى هى محور الاسلام وجوهره وسبب قوته •

ان ما طرأ من تغيير كبير وانحراف وتشويه فى مفهوم القضاء والقدر واعتباره استسلاما للواقع ، والتوكل واعتباره تركا للأسباب واهمالا ، وللزهد واعتباره تركا للعمل والكسب ، وللعبادة وحصرها فى الشعائر والمناسك دون سائر الأعمال واقامتها مقام الأسباب لبلوغ الأهداف واعتبار أشكالها وأعدادها بدلا من روحها ومقاصدها • ان هذه التغييرات أورثت ضعفا عسكريا وسياسيا واقتصاديا ماليا وعلميا •

وان الاهتمام بجزئيات العبادة والسنن السلوكية والآداب الشخصية مع اغفال الاهتمام بأمر المسلمين العام وبالجهاد وبمكافحة الظلم ومعالجة الفقر وبموالاة المؤمنين والبيعة لامام مسلم ، ان ذلك كله قلب الموازين وأدى الى تخلف وضعف .

ان هـذه الانحرافـات وما أدت اليه من نتائج الضعف والجمود والتخلف والانقسام والعصبيات المذهبية والمحلية بلغت قمتها فى القرون الأربعة الأخيرة وان كانت بذورها قديمة وبداياتها ترجع الى القرن الثالث للهجرة ، ولكنها ازدادت واشتدت بالتدريج حتى بلغت ما بلغت ، ثم كانت مرحلة الغزو الأوربى .

ذلك أن أهل أوربا أخذوا عن المسلمين ــ ولاسيما بطريق أسبانيا وصقلية ــ العلوم الطبيعية والرياضيات وشيئا من الفلسفة وكان ذلك سبب نهضتهم ، اذ ساروا بهذه العلوم بعد أخذها متقدمين الى الامام . ولكنهم لم يأخذوا من المسلمين العقيدة والمبادىء الخلقية بل بقوا على ما عندهم من المسيحية المغيرة عن أصلها تغييرا كبيرا ومن الفلســفة اليونانية . ان هذا المزيج الثلاثى غير المنسجم أدى الى تقدم ونمو في الجانب المـادى من الحضــارة وضمور فى الجانب الروحى والخلقى . فارتقت الآلات التى يستعملها الانسان وتقدمت معرفته لعالم الطبيعـة الحسى ، ولكن الانسان نفسه لم يتقدم خلقيا ولا كان لهذه الحضــارة أهداف أخلاقية سامية على النطاق الانسانى . بل كان من أبرز سماتها اقصاء فكرة الاله والايمـان به فعلا كما تفعل الديمقراطية أو انكارا كما تفعل الماركسية . ومعها كذلك اقصاء تعاليم النبوات اقصاء تاما .

تم غزو أوربا للمسلمين أرضا ومجتمعا وحضارة فكان :

(أ) الغزو العسكرى السياسى الاقتصادى المباشر وهو احتــلال للأرض وتول للحكم واستيلاء على الثروة .

(ب) والغزو الفكرى العقائدى الاجتمــاعى وهو احتلال للنفوس وللعقول والعادات ، وحصل بالتدريج اذ تم بمراحل بدأت بشعور فريق

من المسلمين بالنقص فى أنفسهم ثم اعجابهم وفتنتهم بالغازى المستعمر القوى ثم كان النقل والتقليد والاتباع التدريجى له .

* * *

**هذه هى الصورة الاجمالية للواقع رسمناها لننتقل منها الى ما يجب** عمله موضوعا وخطة .

ومنها يبدو أن ثمة ثلاث عمليات لابد من اجرائها للوصول الى بناء جديد لكياننا وهى كما يلى :

**العمليـة الأولى :**

التحرر من آثار التشويه والانحراف الذى أصاب الاسلام فى فهم المسلمين له ، وكانت له نتائج سيئة لدى المسنيثين لهذا الفهم ، فسبب هذا التشويه الفكرى النظرى التخلف والضعف . وكانت نتائجه لدى فئة أخرى اتصلت بالثقافة الأوربية الحديثة الابتعاد عن الاسلام ، وسوء الرأى فيه ظنا منهم أن هذا الاسلام المشوه الموروث هو الاسلام .

**العمليـة الثانيـة :**

التحرر من نقائص الحضارة الأوربية الحديثة ، الفلسفية الفكرية والعملية السلوكية ، مع استبقاء مكاسبها الصالحة النظرية والعملية .

ان الحضارة الغربيـة تشتمل على منجزات هى ولاشـك كسب للبشرية ، وتتمة لأطوار حضاراتها المتعاقبة ، وهى تقدم المعرفة العلميـة فى ميدان العلوم الطبيعيـة والرياضيات ، والتقدم العملى فى ميـدان الصناعة ــ بالمعنى الواسع ــ مع التحفظ فى أهداف استعمال هـذه الصناعة ، والتقدم التنظيمى والعمرانى فى حدود استعماله كذلك فى أهداف الانسان الخيرة .

ولكن هذه الحضارة ، من جهة أخرى ، أهدافها الوصول الى الرفاهية واشباع اللذات ووفرة الانتاج لتحقيق ذلك . وطريقها الى ذلك التنافس

والصراع بين الأفراد والطبقات والشعوب والمعسكرات .. وليس العقل والعلم والأخلاق الا خداما لهذه الأهداف وأعوانا للانتصارات فى ذلك الصراع . وكل ما تحقق من أهداف انسانية وأخلاقية انما كان فى نطاق التوفيق بين المصالح الفردية أو الجماعيـة ، وفى اطارات ضيقة لا على نطاق الانسانية كلها . ولذلك تولدت من هذه الحضارات آفات ومآس ، منها القلق والخوف وكثرة التشرد وسلب الحريات والاستغلال وظاهرات أخرى وكلها مرتبطة بجعل الحصول على المادة ــ سلعا مصنوعة أو مالا ــ هى الهدف ، بالنسبة للفرد أو للدولة وجمهور شعبها . وليس الهدف رقى الانسان الخلقى والروحى وسمو نفسه وترقيتها وتهذيبها ولا تنمية عواطف الأخوة الانسانية والبر والمحبة على النطاق الانسانى ، بل تقلصت هذه العواطف حتى فى نطاق الأسرة ، فضــلا عن نطاق المجتمع القومى والانسانى العام .

وكانت النتيجة ارتفاع قيم انسانية أصبحت هى العليا والمهيمنة على غيرها ، مع أنها ينبغى أن تكون فى موقعها الذى تستحقه بالنســبة الى غيرها لا أن تكون العليا المهيمنة فتحل محــل الاله . وقد عدد المفكر الانكليزى الكبير المعاصر ( الدوس هكسلى ) عددا من هذه القيم المؤلهة مما سماه أوثان العصر الحديث ، كاللذة والوطن والقومية والجماهير والشعب والعقل والعلم ..

ان نقائص هذه الحضارة ــ بلونيها الديمقراطى والاشتراكى ــ بل أزمتها واخفاقها فى تحقيق سعادة الانســان عبر عنه بقوة عدد من كبار مفكرى الغرب فى القرن العشرين مثل شبنجار والدوس هكسلى والكسيس كارليل وكونس ويلسن وغيرهم .

ان التحرر من غزو الحضــارة الأوربية الحديثة لا ينبغى أن يفهم منه اعراضنا عن الأخذ بمكاسبها العلمية ــ فى ميدان الطبيعة والصناعة ــ فذلك واجب فورى . كمــا أنه لا ينــافى التعاون ــ فى اطار المصلحــة المتبادلة ــ مع أصحاب هذه الحضارة ، بل التعاون الانسانى العام فى نطاق عقيدتنا وقيمنا الأخلاقية الانسانية .

وانما التحرر من فلسفتها العقائدية البتراء الناقصة التى هى سبب بلائها وأزماتها ، ومن القواعد السلوكية ــ ولا أقول القيم الأخلاقية ــ المنبثقة عنها ، ومن الذوبان الخطر فى فلسفتها هذه وثقافتها ، ومن التبعية لها فى مجال السياسة .

الخطورة فى كل ما يعبر وينتج عن هــذه التبعيــة كالمعاهــدات الثقافية ــ من بعض جوانبها ــ وكاللقاءات الحزبية بيننا وبين أصحاب تلك الثقافــة والحضــارة التى لا ينتج عنها ــ ما دمنا فى حالة الضعف السياسى والفكرى والنفسى بالنسبة اليهم ــ الا امتداد نفوذهم العقائدى وتسلطهم الفكرى وازدياد تأثر أحزابنا بفلسفتهم ومذاهبهم العقائدية . وليس ذلك من الحوار فى شىء .

ان هاتين العمليتين : التحرر من الانحراف والتشويه الذى وقع فيه المسلمون خلال عصور الانحطاط والتردى ما بين القرن الخامس للهجرة حيث بدأ بدرجة خفيفة حتى بدايــة القرن الرابع عشر ، والتحرر من التبعية للفكر الغربى فى مفاهيمه وأفكاره ونظمه ، انما تتم هاتان العمليتان بالعملية الثالثة الايجابية التى هى :

احلال الاسلام ــ باعتباره نظاما عقائديا كاملا ــ أى بعقيدته ونظمه المتفرعة عنها محل الثقافتين : ثقافة العصور الوسطى الاسلامية المتجمدة والمشتملة على انحرافات ، وثقافــة الغرب القائمة على الفلسفة الماديــة والأهداف الماديــة .

* * *

ان هذه العملية ليست سطحية تقتصر على اقامة الاســلام شعائر عبادات عند الجمهور الشعبى ومراسم ظاهرية فى المواسم والمناسبات . بل هى عملية جذرية .

ان مقابلة النظم العقائدية ــ الأيديولوجيات ــ القائمــة فى العالم الحى المتحرك ــ ولا أقول الراقى المتقــدم ــ من المذهب الديمقراطى المبنى على جعل الفرد الانســانى القيمة العليا فى الوجود ، الى المذهب

الماركسى المبنى على أولية المادة وعلى الجماهير منطلقا ، وعلى الصراع والثورة واستبدادية الدولة سلوكا وعملا ، أقول مقابلة هـذه النظم العقائدية بنظام عقائدي اسـلامى ينطلق من المضمون الأساسي للنظرة القرآنية ، ومن المشكلات المعاصرة ، ومن الأزمات الماثلة فى الأنظمـة الحديثة ، بغية حلها فى ضوء تلك النظرة ، ويكمل نقص تلك العقائديات، محتفظا فى اطاره بمنجزات الحضارة الحديثة ومكاسبها فى ميدان العلوم البحتة وفى ميدان الصناعة ، ما دامت قابلة للدخول فى أطر الاسـلام العقائدية والأخلاقيـة .

* * *

يجب أن نفصل بين المضمون القرآنى المشتمل على نظرة الى الانسان والكون والحياة والله المهيمن عليهم جميعا ، وبين الأساليب والاجتهادات التى تمثل الجهد البشرى المشكور الذى قام به أعلام المسلمين فى العصور الماضية مع تقديرنا لها بما تستحق والاستفادة من تجربتها والاستئناس بها من غير التزام .

فمن المضمون القرآنى ـ المؤيد والمبين بالسنة الصحيحة ـ يكون الانطلاق وتكون صياغة نظرتنا الذاتية الجديدة ، بأسلوب زماننا ومن خلال فهومنا واجتهاداتنا التى لا تتجاوز الأصل الثابت ، وفى ضـوء الواقع والمشـكلات المطروحة .

ان هذا العمل نفسه ـ صياغة الاسلام صياغة جديدة فى نظـام عقـائدى كامل ـ سيؤدى رأسـا الى تصحيح ما حـدث فى العصور السابقـة من انحراف وتشويه وتبديل فى النسب والأولويات ، من غير اثارة للمتأثرين بتلك الانحرافات من تلاميـذ الثقافـة التقليديـة من العامة والخاصـة .

وان هذا العرض الايجابى كذلك هو الرد الأفضل على المذاهب العقائدية الحديثـة والأقوى تأثيرا ونفوذا فى نفوس المتأثرين بها لأنه سيترك لهم مجال الموازنة والمفاضلة .

وان القرآن نفسه — مع انه للناس أجمعين فى أحكامه — راعى حال المخاطبين حين نزوله ، كما قال الامام الشاطبى فى كتاب الموافقات ، فضرب — كما قال — الأمثلة التى يفهمونها ، وذكر من أنواع الثمار ما يعرفون ومن أنواع الحيوان ما ألفوا .

* * *

**عقيدة ونظم :**

يشتمل كل مذهب عقائدى — أيديولوجية — على أساس فلسفى يقوم عليه بناؤه كله ، وليس هذا الأساس الفلسفى الا تصوره للوجود ونظرته العامة الى الانسان والمجتمع والكون والحياة وما وراء ذلك كما يؤمن بها أصحاب المذهب ويعتقدون . وعلى هذا الأساس يقوم بناؤه ، وعنه تتفرع نظمه ، أى قواعد سلوك الانسان — فردا وجماعة — المنسجمة والمتفقة مع ذلك التصور ، سواء منها النظام الأخلاقى والنظم الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والأسرية .

وعلى هذا فان الواجب الأول ان نصوغ ما يتضمنه القرآن من حقائق عن الوجود يعرضها علينا ويدعونا الى الايمان بها ، صياغة جامعة شاملة .

ولابد لنا هنا من لفت النظر الى أن هذه الصياغة ينبغى أن تنطلق من منطلقات القرآن نفسه ، لا من منطلقات النظرات الخاصة للفرق الاسلامية ومن مواطن الخلاف بينها ، ولا من المشكلات الفلسفية التى طرحها سابقا المتكلمون والفلاسفة ، لئلا تحجبنا تلك النظرات عن الرؤية المباشرة للقرآن .

ويجب أن تشتمل هذه الصياغة للعقيدة وللتصور الوجودى العام على مرتكزات النظم التى ستنبثق منها ، بحيث ترى مواطن الاتصال بين العقيدة والنظم ، فيكون الارتباط بينهما ارتباطا عضويا واضحا ، تسلمك العقيدة الى النظام ، ويدلك النظام على جذوره العقائدية .

والقرآن نفسه يقدم لنا هذا النهج اذ ترى قواعده الأخلاقية

وأحكامه التشريعية مرتبطة أشد الارتباط ومشوبة دائما بعقيدة الايمان بالله وبالمسئولية أمامه فى الحياة الآخرة .

ونختم هذه المقدمة بتلخيص رائع لهذا النظام الكامل قدمه أحد الصحابة وهو ربعى بن عامر فى كلمته لقائد الفرس الذى كان يحاول مساومة المسلمين ظنا منه أنهم طلاب دنيا فكان جواب الصحابى قوله :

« ان الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها » .

**صياغة العقيدة الاسلامية :**

كيف يمكن أن نتجاوز العصور لنرجع الى أصول الاسلام ومصادره فنصوغ المضمون القرآنى فى عصرنا بأسلوب زماننا كما صاغ من قبلنا ذلك بأسلوب عصرهم، صياغة مقترنة بتصحيح المفاهيم التى شوهت أو حرفت ، مع وضع مكاسب الحضارة الحديثة التى يقبلها الاسلام فى مكانها من اطاره ، متحررين كذلك من النظرات الأجنبية المقحمة .

ينطلق بنا القرآن فى دعوته من منطلقين : الكون والانسان كما يبدو من الآية الكريمة : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ومن الآية الأخرى : « وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون » .

**الكون او الطبيعة :**

ينطلق بنا القرآن الكريم فيعطينا عن الكون فى سمائه وأرضه ، وشمسه وقمره ونجومه ، وبره وبحره ، وانسانه وحيوانه ، ونباته وثماره ، ورياحه وسحبه ، وأمطاره ومياهه ، صورة واضحة ، شاملة الاطار :

تعرض هذه الصورة الشاملة موجزة تارة ( ملكوت السموات والأرض ) أو ما يعادلها من التعابير فى القرآن وتارة مفصلة كقوله تعالى فى سورة النحل :

« خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون • خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين • والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون • ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون • وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ، ان ربكم لرؤوف رحيم • والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لاتعلمون • وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين • هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون • ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون • وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » •

فى هذه الآيات السابقة استعراض لعالم الانسان والحيوان والنبات والأفلاك ثم تتوالى الآيات بعدها فى تفصيل ما فى الأرض •

« وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون • وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون • وعلامات وبالنجم هم يهتدون • أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون » •                سورة النحل ( ٣ — ١٧ )

وتتكرر هذه الصورة الشاملة فى آيات وسور كثيرة كما تأتى مشاهدها الجزئية منشورة فى القرآن الكريم •

والكون متحرك متبدل فى النظرة القرآنية ، وجميع أجزائه وأنواعه فى حركة وتغير وهذه الآيات الدالة على ذلك :

« أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها » ، « والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون » « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم • لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » •

« وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت

من كل زوج بهيج » • وكذلك الانسان الذى خلقه الله « أطوارا » « خلقا من بعد خلق » وخلقه « من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة » • وكذلك المجتمع الانسانى فى حركة وتغير « ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ، « ولكل أمة أجل » ، « وكاين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد » •

ان ما ينشأ من حركة الكون وأجزائه من حوادث أو ظواهر كجريان الرياح ، وسوق السحب وتراكمها ، ونزول المطر ، ونمو النبات ، ثم نضجه ويبسه وتفتته ، وحركة الكواكب ، وتعاقب الليل والنهار ، وانتقال الانسان فى نموه من طور الى طور ، والمجتمع الانسانى من حال الى حال ، كل هذا يشير القرآن الى جريانه وفق سنن منتظمة ومطردة • وهذه الآيات التالية تدل على ذلك :

« ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله » •

« وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به جنات وحب الحصيد » • وهكذا تتوالى الحوادث بانتظام « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار » وهكذا « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » • تلك سنن الله فى الكون « ولن تجد لسنة الله تحويلا » « ولن تجد لسنة الله تبديلا » • فلا تعارض ولا تصادم بل « كل فى فلك يسبحون » ولذلك أقسم الله بمواقع النجوم لعظم هذا التوازن فى مواقعها وجريانه على سنة أو قانون دقيق « فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » •

بل ان هذه الحوادث الكونية تجرى على سنن رياضية محسوبة المقادير ففى الكتاب الكريم « وكل شىء عنده بمقدار » (١) « انا كل شىء خلقناه بقدر » (٢) و « قد جعل الله لكل شىء قدرا (٣) ، « وخلق كل

---

(١) سورة الرعد ٨ .
(٢) القمر ٤٩ .
(٣) الطلاق ٣ .

شيء فقدره تقديرا » (١) « وأنزلنا من السماء ماء بقدر » (٢) « فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم » (٣) « وكل شيء أحصيناه في امام مبين » (٤) ، « وأحصى كل شيء عددا » (٥) •

ان هذه الصورة التي يقدمها لنا القرآن عن الكون بوضوحها وشمولها ، وحركتها وقوانينها أو سننها ، المطردة المحسوبة ، والمنتظمة المقدرة خالية من الخرافات والأساطير التي حاربها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه محاربة شديدة • وما أكثر الأحاديث الصحيحة الواردة في النهي الشديد عن العرافة والكهانة • والطيرة والتسائم ، وعن ربط الحوادث الفلكية بالحوادث البشرية ( التنجيم ) • ونكتفي بذكر هذا الحديث ذي المغزى البعيد :

كسفت الشمس في اليوم الذي مات فيه ابراهيم ابن الرسول (ص) فقال الناس ان الشمس كسفت لموته فبلغ ذلك النبي ( ص ) فخرج مغضبا يجر ازاره ونادى بالناس فاجتمعوا فخطبهم وقال : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يريهما الله عباده لا تكسفان لموت أحد ولا لحياته » •

وزاد القرآن على ذلك أمرا آخر ، وهو أنه فصل عالم الغيب الذي أعلن وجوده عن عالم الشهادة والحس • فالقرآن وفيه ذكر لعوالم غير حسية كالملائكة والجن والشيطان لم يذكر تداخلا بين هذه المخلوقات الغيبية والحوادث الكونية • فالرياح تسوق السحب (٦) والسحب تتراكم والماء يخرج من خلالها فينزل فينبت النبات ، هذه سلسلة من الحوادث المتصلة لا نرى في أولها ولا في وسطها ولا في آخرها تدخلا من عوالم غيبية ، بل هي قابلة للملاحظة من الانسان وللربط بينها واستخراج السنة التي تجري بحسبها • وكذلك امتداد الظل وانقباضه مرتبط بوضع الشمس بالنسبة الى الأرض « ثم جعلنا الشمس عليه دليلا » •

---

(١) الفرقان ٢ .
(٢) المؤمنون ١٨ .
(٣) المرسلات ٢٢ .
(٤) يس ١٤ .
(٥) الجن ٢٨ .

(٦) الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله ــ الروم ــ .

ولهذا كان الكون ( الطبيعة ) وحوادثه ـ كما تدل على ذلك الآيات القرآنية الكثيرة ـ موضوع تأمل وتفكير تستعمل فى ميدانه الحواس الانسانية من الرؤية والسمع لتعين العقل والفكر فى معرفة حقائقه وسننه . ولذلك نلاحظ كثرة استعمال الألفاظ الدالة على الحواس والتفكير فى مطالع الآيات المتضمنة لأجزاء الكون وحوادثه وفى خواتيمها ( أنظروا ـ أفلا ينظرون ـ أو لم يروا ـ يبصرون ـ يسمعون ـ يتفكرون ـ يعقلون ـ يعلمون ـ العالمين ) .

وفى ذلك توجيه للانسان ، بل تحريض له على استعمال حواسه للملاحظة ، وعقله للتفكير والاستنتاج ، ويده للتجربة ، واشارة صريحة الى أن الكون قابل لهذا النوع من المعرفة الانسانية ، التى ستزداد يوما بعد يوم « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » .

وتؤيد السنة هذا الاتجاه كما يتضح فى حديث تأبير النخل العظيم الدلالة والتوجيه ، وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على قوم يؤبرون النخل فسأل عما يعملون فأخبر فقال لو تركتموه فتركوه فلم يثمر فرجعوا اليه واخبروه فقال : « انما هو ظن ظننته وان الظن يخطىء ويصيب اذا كان يصلح فافعلوا » . وفى رواية « اذا امرتكم بأمر من أمور دينكم فأطيعوا واذا أمرتكم بأمر من أمر دنياكم فانما أنا بشر » (١) .

وأمور الدنيا فى هذا الحديث وغيره يراد منها حصرا الأمور الكونية الحسية كالزراعة والصناعة والطب وما الى ذلك ، ولا يدخل فيها اطلاقا ما وردت فيه أحكام شرعية فى القرآن والسنة فى ميدان العلاقات الاجتماعية والقواعد السلوكية .

ومثل هذا الحديث فى الدلالة والتوجيه الى استعمال التجربة طريقا الى معرفة الكون وحوادثه وسننه حديث « ان الله أنزل لكل داء دواء فاذا أصاب الدواء الداء برىء باذن الله » (٢) .

---

(١) رواه مسلم وأحمد فى مسنده .

(٢) فى الصحيحين .

هذه هى الصورة التى يعطيها القرآن عن الكون ( الطبيعة ) وهى تتصف كما قلنا بالشمول والوضـوح وبالحركية والانتظـام وبقابلية الادراك والمعرفة ، وهى التى كانت سببا مباشرا ودافعا قويا لنمو الفكر العلمى الموضوعى فى ميدان الطبيعة ، ولظهور الطريقة التجريبية وكثرة استعمالها .

***

بينما يقف الماديون فى نظرتهم الى الكون عند هذا الحد ينطلق بنا القرآن من منطق الكون هذا فيدفع تفكيرنا الى ما وراء هذه الحدود ويتجاوزها الى التفكير فى خالق الكون من حيث أصل وجوده الأول :

« أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ؟ » « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » « نحن خلقناكم فلو لا تصدقون ! » « وهو خلقكم أول مرة » « الذى فطركم أول مرة » « أفعيينا بالخلق الأول » « ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون » .

وهو كذلك المقدر لسننه ، والخالق لأسبابه ومسبباته ، والمبـدع لنظامه ، « أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » ، « والذى قدر فهدى » ، « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » ، « فالق الاصباح وجعل الليل سكنا » ؛ والشواهد على ذلك كثيرة .

وهكذا يوصلنا القرآن بعد الطواف الطويل فى الكون الى خالقه وفاطره ومبدعه . العليم الحكيم الخبير القدير . وليس الانسان وعقله الا مكتشفا لآثار صنعته ، ولسننه التى قدرها ، وهو نفسه أحد مخلوقاته « نحن خلقناكم فلولا تصدقون » ، « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . وليس الانسان كذلك الا مستثمرا لسنن الله التى اكتشفها لا موجـدا ولا واضعا لها : « أفرايتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » .

وبهذه النهاية تصل النظرة الفكرية والمعرفـة العلميـة الى النظرة

الربانية والى العبادة عن طريق التفكر « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك » •

**المنطلق العملى للكون :**

ينطلق بنا الاسلام مرة أخرى من الكون ( الطبيعة ) ، ولكن من زاوية أخرى ، وهى منافع الكون واستثمارها • فالكون كما يصرح القرآن « مسخر » للانسان و « مذلل له » • وهى فكرة مرددة فى القرآن فى كل مناسبة يعرض فيها جانبا أو جزءا من هذا الكون • وفى هذا العرض دائما بيان لمواطن الانتفاع أو المتعة بوجه عام • وهذه بعض الشواهد من الآيات الدالة على ذلك :

« وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » الانعام ١٤١ •

هذه الآية تقابل وتتمم آية سابقة فى السورة نفسها وفيها : « انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه » ومثل هذه الآية قوله تعالى :

« وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » النحل •

وهى تتضمن تسخير البحر للانسان للانتفاع بأسماكه ولؤلؤه ومسير الفلك فيه للانتقال والتجارة • وهكذا سائر ما يرد ذكره فى القرآن من النبات والزرع وأنواع الحيوان والكواكب من الشمس والقمر والنجوم ، كل فى اطار الانتفاع والاستثمار والتسخير •

ويلاحظ أن توجيه القرآن للانسان للانتفاع بما فى الكون توجيه قوى فيه اغراء ودفع • وقد سمى القرآن هذا النشاط الانسانى للانتفاع « ابتغاء من فضل الله » ومن هنا يتضح زيف الاتجاه الداعى الى الاعراض

عن العمل والنشاط اذ هو اعراض عن فضل الله وانحراف عن الخط الاسلامى الأصيل •

ان هذا التسخير يعم الكون كله فهو كله منطلق لنشاط الانسان اذا استطاع وهو مدفوع الى ذلك وموجه اليه :

« ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » فالكون كله ( السموات والأرض ) مسخر للانسان وهو ملىء بـ ( النعم ) التى بعضها ظاهر قريب التناول وبعضها خفى يحتاج الى عمل واستخراج وجهد •

ذلك ان الانسان مستخلف من الله على هذا الكون وقد أعطى من قبله قدرة وسلطة عليه « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » ( البقرة ) ، « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » ( الانعام ) •

وهذا التسخير والانعام واعطاء القدرة للانسان على الانتفاع منه يستحق الشكر من جهة كما يستحق أداء ما يترتب عليه من واجبات يفرضها المنعم المسخر ، ويستلزم المسئولية وترقب الحساب والجزاء ، وتتلخص هذه الفكرة فى هاتين الآيتين :

« وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » ( الملك ) « ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين » ( البقرة ) •

من هذا المنطلق العملى للكون الذى يصل بين الانسان وما فى الكون من ضروب الانتفاع والاستثمار والتمتع ــ يدفع الاسلام الانسان ليستمر فى سيره نحو الله استشعارا لنعمه ، واستحضارا لرحمته ، وانتظارا لجزائه ، وترقبا لحسابه • انه لايقف عند متع الكون ولا يجعلها غايته ، ولا يعرض عنها ولا يقفز فوق الكون ويهمله ، ولكنه ينتقل من نشاطه فيه ومتعه الى خالقه والمنعم به ومستخلفه عليه •

**المنطلق الثانى للقرآن : الانسان .**

بعد انطلاق النظرة الاسلامية من الكون ، لعرضه على الانسان ، على عقله يتأمله ويتعرف الى أسراره وظواهره وسننه وعلى يده وجوارحه ينتفع ويتمتع به ، فى ظل النظرة الايمانية الربانية التي تتوج التأمل والتمتع معا ، وتربطه فى الناحيتين بالاله الخالق المنعم الذى سخر له الكون فى المجالين وأقدره على النشاطين النظرى والعملى ، بعد هذه الانطلاقة ، تنطلق النظرة الاسلامية ( القرآنية ) من الانسان نفسه ، لا لتجعله مركز الوجود ege centerism ولا لتؤلهه فى أى شكل من من أشكال التأليه القديمة أو الحديثة ، بل لتعرفه بنفسه وبموقعه الحقيقى من الوجود ، بين الكون والله ، ولتشعره بهذا الموقع فى وعى الوجود كله وعيا بصيرا مستيقظا . « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين له أنه الحق » « وفى الأرض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . يوجه القرآن نظر الانسان الى نفسه .

فى خلقه المتجدد الفردى « من سلالة من ماء مهين » « أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقون أم نحن الخالقون » وفى خلقه الأول جنسا بشريا : « ولقد علمتم النشأة الأولى فلو لا تذكرون » وفى عناصر تكوينه : الترابى منها « والله خلقكم من تراب والنباتى « والله أنبتكم من الأرض نباتا » والحيوانى « والله خلق كل دابة من ماء » ، « وهو الذى خلق من الماء بشرا » وفى تمييزه عن الحيوان « ثم أنشأناه خلقا آخر » اذ جعله « فى أحسن تقويم » منتصب القامة « يمشى على رجلين » منطلق اليدين « خلقك فسواك فعدلك » . وميزه عن الحيوان بالعلم المكتسب بعد الولادة والمتزايد دائما « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة » ، « وقل رب زدنى علما » وبالعقل والادراك ، فالبشر هم الذين « يتفكرون » و « يعقلون » ، واذا تجردوا من ذلك كانوا كالأنعام « لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » . وميزه كذلك بالقدرة على التعبير والابانة « خلق الانسان علمه البيان » فهو مجادل بفكره مفصح بلسانه « خصيم مبين » .

وميزه كذلك من أنواع الدواب التى ذكر حينا معها « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع » ومن أصناف الحيوان التى وصفها بأنها « أمم أمثالكم » ، وبالحياة الاجتماعية وتكوين المجتمعات والتعارف والتعاون « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » . ومن مجموع هذه المزايا : انتصاب القامة واعتدالها وانطلاق اليدين والعقل أو الادراك والعلم المكتسب النامى والحياة الاجتماعية فى تركيبها وتعاون أفرادها وجماعاتها يتكون المخلوق الحضارى المتميز صانع الحضارات المستخلف من الله فى الأرض . ويتميز هذا المخلوق أخيرا بأن الله خلقه « ثم سواه ونفخ فيه من روحه » وهذا العنصر المجهول الكنه « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى » يبدوا أنه أعلى عناصر تكوين الانسان وأنه منطو على قابليات عظيمة للسمو والارتفاع فى معارج الرقى النفسى . وهذا اللفظ نفسه ( الروح ) أطلق على جبريل الملك المقرب .

هذا هو الانسان الذى كرمه الله « ولقد كرمنا بنى آدم » وأعطاه من الصفات الحياة والارادة والعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر . وهى فى شكلها المثالى الأكمل بعض صفات الله ، ليتمكن من القيام بما وكله اليه فى الأرض من أمانة الخلافة ، اذ جعله الله خليفة فى الأرض ، واستخلفه فيها « هو الذى جعلكم خلائف الأرض » . والخطاب للبشر جميعا على أن يحسنوا حمل الأمانة « فمن كفر فعليه كفره » . ذلك أنه أعطاه من الصفات والخصائص ما يمكنه من العمل بل من تغيير الواقع والمشاركة الحرة فى الاختيار « وهديناه النجدين » فكأن الله وضع قلم الأقدار فى يده ، وهو خليفته فى الأرض ، ليخط ــ فى حدود حددها له ــ جزءا من هذه الأقدار « أعملوا فكل ميسر لما خلق له » كما ورد فى الحديث النبوى . وتلك سلطة عظيمة تستلزم المسئولية أمام مانحها بقدر ما أعطى من القدرة « ليبلوكم فيما آتاكم » .

وفى الحديث : « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعلمون » .

ان عظمة الانسان ورفعته تتجلى فى معرفته لحقيقته وفى استشعاره واستحضاره اليقظ الدائم لموقعه من الوجود ، وهو أنه مستخلف فى الكون ممن خلقه وخلق الكون معا . فان استشعر افتقاره لخالقه وحاجته اليه وعبوديته له واستمداد سلطانه منه كان فى أرفع مكانة من الوعى وأعلى درجة من الأخلاق . وان أعتقد استغناءه عنه فأله نفســه زورا وزيفا انتهى الى التجــاوز والطغيان ، وبالتالى الى القلق والاضطراب « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » . وذلك مآل الحضارات التى يضعها الانسان مستغنيا عن الاله الخالق الحقيقى ، ففيها تتجمع المآسى والآفات وتنتهى الى الدمار والهلاك .

تأله الانسان وطغيانه ، وتجاوزه لموقعه الحقيقى فى الوجود ، حصل ولايزال يحصل فى البشرية فى أشكال مختلفة . ففرعون تكبر وطغى فتأله بسلطانه ، وقال أنا ربكم الأعلى ، واضطهد اخوانــه فى البشرية واستعبدهم . وقارون بغى على قومه وتأله عليهم بماله ، فكانت عاقبة المتألهين كليهما الهلاك .. وتأله رجــال الدين من الأحبار والرهبــان « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » فكان ما كان من الثورة عليهم فى تاريخ المسيحية فى أوربا .

هذا الانسان المهين ابتداء ، العظيم انتهاء ، من خلقه ؟ ومن أعطاه القــدرة والســلطان على الكون ؟ « أم خلقوا من غير شىء أم هــم الخالقون ؟ » بل الله خالقه وخالق كل شىء .

أهو خلق الكون ( الطبيعة ) وهو جزء منه ونوع من أنواعه ؟ أهو خالق ما فيه من سنن ( قوانين ) وما هو الا مكتشف لها ومنتفع بها « أم خلقوا السموات والأرض » « أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ... ؟ » .

أم الكون ( الطبيعة ) خلق الانسان وهو أعلى منه نوعــا وأكثر تعقيــدا ؟ .

لابد اذن من الانتقال من الانسان الى خالقه كما انتقلنا من الكون الى خالقه •

وهكذا يصل الانســان أنى انطلق ، من نفسه ومن الطبيعة التى تحيط به • ومن جميع فعالياته الفكرية والعلمية والعملية والاقتصادية ، ومن جميع ميادينه النفسية والأخلاقيــة والسياسية ، الى الله الخالق المهيمن ، وينتهى الى الخضوع المطلق له وحده •

هذه هى الحقيقة العظمى والنهائية بعد طواف الانسان فى آفاق الكون • والايمان بها هو الناظم المعدل لجميع هــذه الفعاليات ينميها وينسقها • وبذلك يقدم أمام الانسان ويفسح له المجــال للارتقاء المتوازن فى معارج الرقى من جميع جوانبه وأنواع نشاطه ليكون الحضـــارة المثلى فى حياة بنى البشر ولتتم السعادة القصوى فى الحياة الخالدة •

هذه العقيدة المرتكزة على الايمــان بالله الواحــد هى التى تحرر الانسان من جميع أنواع العبوديات ذات النتائج الضارة كعبوديته المذلة للطبيعة أو لجزء منها ، وكعبوديته لفرد أو طبقة من البشر كأصحاب المال والسلطان ، أو للقيم المبتدعة المؤلهة كالجماهير والشعب والقبيلة والقومية والوطنية والعقل والعلم والغريزة • وكلها قيم انسانية لها موقعها ولكنها ليست القيمة العليا ولا الاله الذى يعبد ويكون له الخضوع المطلق •

هذه هى النظرة الاســلامية التى تنطلق بالانسان من نفســه الى الكون المحيط به تفكيرا وشعورا وعملا فى وعى شامل فتضع العقل الكاشف والحواس المعينة له والنشاط الاقتصادى ( الكسب والعمل ) الهادف ؛ لنفع عباد الله والابتغاء من فضله والعلم المعين على بلوغ هذه الأهــداف الخيرة والروابط الاجتماعية من الأسرة حتى الانسانية فى نطاق التعاون الهادف لعمارة الأرض وارضاء الله • وكذلك ســائر القيم من الغريزة والزينة والجمال واللهو تضع كل واحدة من هذه القيم فى موضعها من منظومة القيم ، لاتطغى واحدة على أخرى ، بل تلتقى وتتعاون وتتوازن بالقسط لتنتهى بمجموعها بالانسان الى الله خالقها وخالق الانسان ، دون أن يكون عبدا لواحدة منها أو سجين الكون المحدود الذى يعيش فيه •

( للبحث بقية )

# علم أصول الفقه (١)

## نشأته وتاريخه وتدوينه

د. طه جابر فياض

### المبحث الأول

### التشريع فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

كان التشريع فى عهده عليه الصلاة والسلام يقوم على الوحى : حيث ينزل الله تعالى على رسوله آياته ليبلغها للناس ، وليبين لهم ما نزل عليه من غير حاجة الى الرجوع الى شىء آخر لمعرفة أحكام الله فى أمور عباده .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين تفرض عليهم ظروف دعوة الاسلام البعد عن المدينة لقضاء أو تعليم أو سواهما يفتون الذين يحلون بينهم ، ويقضون فيهم ، بكتاب الله ، الذى يعرفون لغته ، ودلالات ألفاظه سليقة ، أو يدركون المراد منها ببيانات رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — القولية أو الفعلية لها ، من غير حاجة الى وسائل أخرى احتاج اليها من جاء بعدهم .

فان لم يجدوا حكم ما عرض لهم من أمور فى كتاب الله بحثوا عنه فيما حفظوه ووعوه ورووه عن النبى — صلى الله عليه وآله وسلم — من

سنة : قد استقلت ببيان الأحكام التى لم يتعرض الكتاب العزيز لبيانها •

فان لم يجدوا اجتهدوا بآرائهم غير غافلين عن مقاصد الشارع الحكيم مما شرع ، ولا جاهلين بما يصلح للناس من حكم •

حتى اذا التقوا برسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ عرضوا ما عرض لهم عليه ، فاما أن يقرهم على فتاواهم ، واما أن يبين ما كان ينبغى لهم أن يذهبوا اليه •

أخرج أبو داود فى سننه قال : حدثنا حفص بن عمر عن شعبة عن الحارث بن عمرو بن أخى المغيرة بن شعبة ، عن أناس من أهل حمص ، من أصحاب معاذ ابن جبل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذا الى اليمن ــ « قال : كيف تقضى اذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله ، قال : فان لم تجد فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ــ صلى الله عليم وسلم ــ ، قال : فان لم تجد فى سنة رسول الله ، ولا فى كتاب الله ؟ قال : أجتهد برأيى ولا آلو • فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ، وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » • أ هـ •

وفى بعض نسخ السنن « أجتهد رأيى » ــ بحذف الباء ، وفى رواية لأبى داود قال : « عن ناس من أصحاب معاذ عن معاذ بن جبل : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لما بعثه ••• الخ » •

وروى هذا الحديث مثل رواية أبى داود الترمذى فى جامعه ، والامام أحمد فى مسنده (١) •

---

(١) راجع : نبراس العقول ٧٩/١ ، واعلام الموقعين ٢٤٣/١ ، والفقيه والمتفقه ١٨٨/١ ، وجامع بيان العلم ٥٥/٢ وما بعدها .

وقد اشتهر هذا الحديث بين العلماء حتى لايكاد كتاب اصولى أو قضائى يخلو منه ، اذ هو أهم أدلة القوم من السنة على حجية القياس . فتناقله أهل العلم واحتجوا به فوقفنا على صحته ، وقد تلقته الكافة عن الكافة فاستغنوا بشهرته لديهم وصحته عندهم ، واحتجاجهم به جميعا عن طلب الاسناد له . وقد اثيرت حول الحديث شبهات باطلة من قبل منكرى حجية القياس تناولت متنه واسناده . وقد تكفل العلماء بمناقشتها واظهار بطلانها وتهافتها .

وكان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ يحثهم على الاجتهاد في مثل ما رواه عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ يقول : ( اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، واذا اجتهد فأخطأ فله أجر ) (١) .

ومن هذا يتضح : أن أدلة الفقه فى عصر الرسالة لم تكن غير كتاب الله ، وسنة رسوله ، وشيء من القياس يلجأ اليه من يبتعدون عن المدينة المنورة ــ عند الضرورة ــ باقرار من رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ لهم على ذلك، أو يلجأ اليه رسول الله نفسه اذا ما تأخر الوحى على رأى القائلين بجواز تعبده بالاجتهاد ووقوعه (٢) .

وأنهم كانوا يأخذون الأحكام من هــذين الدليلين ــ الكتاب ،

---

وقد تصدى الفخر ــ رحمــه الله ــ لها فيمن تصــدى من الأئمــة لمناقشتها ، فناقش الشبهات الخمس التى أوردوها على متنه واجاب عنها ، ثم ناقش شبهاتهم الثلاث على سنده وأبطلها واحدة بعد أخرى .

وقد نقل الشيخ عيسى منون ــ رحمه الله ــ فى نبراس العقول ما حرره الفخر فى المحصول ٢/ورقة ٣١ أ ، و ب مصورتنا عن مخطوطة صنعاء . نقلا يكاد يكون حرفيا . واضاف اليه ما ذكره صاحب اعلام الموقعين فى تقوية الحديث ٢٤٣/١ ، كما نقل ما قاله الخطيب البغدادى فى الفقيــه والمتفقة ١٨٨/١ فراجع : نبراس العقول للشيخ عيسى منون : ٧٩/١ ــ ٨٦ وانظر تاريخ القضاء فى الاسلام ، للدكتور أحمد عبد المنعم البهى ص ٥٤ ، وراجع : تعليقات الشيخ زاهد الكوثرى ــ رحمــه الله ــ على ( النبذ ) لابن حزم ( ص ٤١ ) ونقوله فيها عن الأئمة التى تدفع تخرصــات بن حزم الباطلة وانظر : كتاب ــ نظرة عامة فى تاريخ الفقه الاسلامى ــ للدكتور على حسن عبد القادر ص ٥٧ لتر ، متابعة المستشرق جولد تسهير لابن حزم فى الزعم ببطلان الحديث ليتبين لك كيف يجرى هؤلاء المستشرقون وراء أكثر الأقوال شذوذا ليروجوا لها ، وليجعلوا منها أصــلا يبنون عليه من أباطيلهم ما يشتهون .

رواه البخارى ومسلم والامام الشافعى وابو داود والنسائى وابن ماجه والامــام أحمد .

(١) وانظر الرسالة ٤٩٤ والفقيه والمتفقه ١٩٠/١ ، وجامع بيان العلم ٧١/٢ ــ ٧٢ .

(٢) اختلف الأئمة فى جواز تعبد الانبياء بالاجتهاد على اربعة مذاهب :

والسنة ــ مباشرة دون حاجة الى وسائل فى علم بالعربية أو سواها لأن ذلك فيهم سليقة ، ولهم طبيعة . نقل عن امامنا الشافعى رضى الله عنه فى رسالته البغدادية التى رواها عنه الحسن بن محمد الزعفرانى أنه قال عن أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : « أدوا الينا

---

**المذهب الأول** : الجواز مطلقا . وهو : مذهب مالك والشافعى واحمد ، والقاضيين : أبى يوسف ، وعبد الجبار ، وأبى الحسين البصرى. قال ابن السبكى : وهو ( مذهب أكثر الأصحاب ) . وقال الأسنوى : ( وهو مذهب الجمهور ) وقد اختاره الغزالى ، والآمدى ، والفخر الرازى ، والبيضاوى وابن الحاجب ، وابن السبكى .

وهو : مذهب الحنفية ، الا : انهم قد اشترطوا فى وقوع التعبد بالاجتهاد : أن يكون بعد انتظار الوحى واليأس من نزوله .

**المذهب الثانى** : المنع مطلقا . وهو : مذهب أبى على الجبائى ، وابنه أبى هاشم ، كما فى الأسنوى .. وقال القاضى فى التقريب : كل من نفى القياس أحال تعبد النبى بالاجتهاد . قال الزركشى : وهو ظاهر اختيار ابن حزم .

**المذهب الثالث** : أنه يجوز فيما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا دون غيرهما .

**المذهب الرابع** : التوقف فى هذه الثلاثة . ا هـ . ملخصا من رسالة شيخنا الأستاذ عبد الغنى عبد الخالق فى « حجية السنة » ص ١٣٩ وهى الرسالة التى نال بها درجة ( الأستاذية ) الدكتوراه سنة ١٩٤٢ م والتى لاتزال مخطوطة حتى الآن !!

أما وقوع تعبدهم بالاجتهاد فقد اختلف فيه القائلون بجواز تعبدهم فيه على خمسة مذاهب :

**المذهب الأول** : الوقوع مطلقا . ذهب اليه الجمهور ، ونسبه القرافى الى الشافعى ، ونسبه الآمدى الى أحمد وأبى يوسف ، واختاره هو وابن الحاجب : على ما يظهر من تقريرهما للخلاف والمذاهب فيه . قال الأسنوى وهو : مقتضى اختيار الامام وأتباعه : فان الأدلة التى ذكروها تدل عليه .

المذهب الثانى : **الوقوع** : اذا انتظروا الوحى ولم ينزل . فعليهم أولا : أن ينتظروه ، فاذا انتظروه ولم ينزل : كانوا مأمورين بالاجتهاد .

وهذا : مذهب أكثر المتقدمين : من الحنفية ، واختاره المتأخرون منهم . ثم اختلفوا فى تقدير مدة انتظار الوحى ، فقيل : هى : ثلاثة أيام . وقيل : هى مقدرة : بانقطاع رجاء وحى فى الحادثة وخوف فواتها بلا حكم . وذلك يختلف بحسب الحوادث . وهذا هو : الصحيح عندهم . اذ لا دليل على خصوص الثلاثة .

**المذهب الثالث** : عدم الوقوع مطلقا .

سنن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وشاهدوه والوحي ينزل عليه فعملوا ما أراد رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – : عاما

---

**المذهب الرابع** : التفصيل . وهؤلاء المفصلون قد اختلفت عباراتهم : ( فمنهم ) من قال : انه كان متعبدا به فى امور الحرب ، دون الاحكام الشرعية ( كما فى منتهى السول للآمدى ) ومثل أمور الحرب : سائر امور الدنيا على ما يفهم من حاشية السعد على المختصر . ( ومنهم ) من : يفصل بين حقوق الآدميين ، وحقوق الله – : فيوجب الأجتهاد فى القسم الأول ، دون الثانى .

**المذهب الخامس** : التوقف بين الوقوع وعدمه .

وهو : الأصح عند الغزالى .

قال شيخنا : والمختار من هذه المذاهب : وقوع التعبد بالاجتهاد مطلقا ، فيجب عليهم نفس الاجتهاد ، ويجب عليهم العمل بالحكم الذى ادى اليه اجتهادهم . ا هـ . ملخصا من نفس المصدر الصحائف ١٥٧ – ١٦٤ .

( وفى وقوع نفس الاجتهاد منهم ) قال حفظه الله :

الذى يفهم من كلام اكثر القائلين بوقوع تعبد الأنبياء بالاجتهاد : انهم يقولون ايضا : بوقوع نفس الاجتهاد منهم : حيث استدلوا على وقوع التعبد بنحو قوله تعالى : ( عفا الله عنك ) وقوله : ( ما كان لنبى أن يكون له أسرى ) . وبقوله – صلى الله عليه وسلم – : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى » وقوله تعالى : « وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث » الآيتين ونحو ذلك : كحديث القضاء فى المواريث .. ثم قال : بعد ان بين ان هذه الأدلة لا دلالة فيها على وقوع التعبد بالاجتهاد ، ولا على وقوعه فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام : ومن هذا ، يعلم : انه لا يوجد نص قاطع على وقوع نفس الاجتهاد منهم . فان قلت : انك قد ذهبت – فيما سبق – : الى القول بوقوع التعبد بالاجتهاد ، وهذا يستلزم وقوع نفس الاجتهاد منهم : حيث انهم كلفوا به وهم « لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون مايؤمرون » .

قلت : هذا الاستلزام انما يكون فيما اذا كان الخطاب الموجه اليه ، غير معلق على عدم نزول النص . كأن يقول الله له : « اجتهد » .

فاما اذا كان معلقا على ما ذكر – : كأن يقول له : « اجتهد اذا لم ينزل عليك نص » : فلا يستلزم ذلك وقوع المأمور به لاحتمال أن الشرط المعلق عليه لم يتحقق ، وانه كان ينزل عليه النص فى كل حادثة . كما اذا قيل : للمكلف « زك اذا ملكت النصاب ، وحال عليه الحول » . فانه لايكون مكلفا بالزكاة الابعد ملك النصاب ، ومضى الحول .

ولما كان التعبد بالاجتهاد – الذى قد اثبتناه فيما سبق – محتملا

وخاصا ، وعزما وارشادا ، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا ، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد وورع وعقل ، وأمر استدرك به علم ، واستنبط به . وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا (١).

---

لأن يكون بخطاب غير معلق ، ولأن يكون بخطاب معلق — ولم نجد ما يعين أحد الاحتمالين — : لم يلزم من هذا التعبد وقوع نفس الاجتهاد ، لقيام الاحتمال الثاني . أ . هـ .

راجع : نفس المصدر ( ٢٠٣ — ٢٠٤ ) .

(١) راجع : اعلام الموقعين ٩٢/١ . وهذا منقول عن رسالة الامام الشافعي البغدادية .

## المبحث الثاني

## التشريع في عهد الصحابة

لما التحق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى ، وأخذت رقعة دار الاسلام تتسع أكثر فأكثر ، والوقائع تتزايد على الأيام بدأ استعمالهم للقياس يكثر فى الوقائع التى لم تندرج تحت نصوص الكتاب والسنة ، وأخذ القياس يبرز كدليل من أدلة الأحكام بشكل واضح ، دون نكير من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - بل ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قد أمر قاضيه أبا موسى الأشعرى بالقياس فى كتابه المشار اليه حيث قال فيه « ... الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ، ثم قيس الأمور عند ذلك ، واعرف الأمثال ، ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله ، وأشبهها بالحق » (١) .

كما كتب - رضى الله عنه - الى شريح القاضى يقول : « اذا حضرك أمر لابد منه فانظر ما فى كتاب الله فاقض به فان لم يكن فبما قضى به الرسول - صلى الله عليه وسلم - فان لم يكن فبما قضى به الصالحون

---

(١) راجع : الكتاب بتمامه فى جامع بيان العلم ٥٦/٢ وما بعدها واعلام الموقعين ٩٩/١ - ١٠٠ ، والفقيه والمتفقه ٢٠٠/١ ونبراس العقول ٩٢/١ ، وقد ذكر أنه رواه البيهقى والدارقطنى والمحصول ٣٢/٢ - ب من مصورتنا عن مخطوطة صنعاء . ومصادر كثيرة أخرى ، وادب القاضى للماوردى .

وهذا الكتاب اصل من اصول القضاء ، وهو كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة كما قال ابن القيم ولكنه مع هذا قد أصابه من نفاة حجية القياس ما أصاب حديث معاذ - رضى الله عنه - من تشكيكات باطلة لاسند معتبرا لها . زوج لها ابن حزم فى محلاه ٥٩/١ ، ط النهضة ، ( ونبذه ) ص ٥١ ط : الأنوار ، وتلقفها مرجليوث المستشرق على ما نقل عنه الدكتور البهى فى - تاريخ القضاء

وأئمة العدل ، فان لم يكن فأنت بالخيار فان شئت أن تجتهد رأيك فاجتهد رأيك ، وان شئت أن تؤامرني فآمرني ولا أرى مؤامرتك اياي الا خيرا لك والسلام » (١) .

وروى البغدادى عن ابن مسعود ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : « يا أيها الناس : انه قد أتى علينا زمان لسنا نقضى ، ولسنا هناك ، وانه قد قدر أن بلغنا من الأمر ما ترون فمن ابتلى منكم بقضاء ، فليقض بما فى كتاب الله ، فان لم يكن فى كتاب الله فليقض بما قضى به النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، فان لم يكن فى كتاب الله ولا فى قضاء رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ فليقض بما قضى به الصالحون ، فان لم يكن فى كتاب الله ، ولا فى قضاء رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، فان الحلال بين والحرام بين ، وشبهات بين ذلك فدع ما يريبك الى ما لا يريبك » (٢) .

ولا نريد الاطالة بذكر أقوال الصحابة الدالة على أخذهم بالاجتهاد ومنه القياس خشية أن يخرجنا ذلك عن موضوعنا ، وكل ما نريده هو أن نقرر أنهم اجتهدوا وقاسوا وقالوا بذلك وفعلوه ، ليتضح أن القياس برز على عهدهم بروزا واضحا كدليل من أدلة الفقه ، مهتدين بذلك بهدى رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ورسلم ــ .

ولقد نقل الفخر فى « المحصول » اجماع الصحابة على العمل به

---

ص ١٣٤ ــ ١٤١ ، وجولد تسيهر على ما نقل عنه الدكتور على حسن عبد القادر فى ــ نظرة عامة ، فسارعا الى انكار صحة هذا الكتاب بحجج لا تثبت لبحث .

راجع : لمعرفة بطلان هذه التشكيكات فى صحة الكتاب : « المحصول » ٣٢/٢ ب مصورتنا عن مخطوطة صنعاء ، ونبراس العقول ٩٣/١ ، وتعليقات المرحوم الشيخ زاهر الكوثرى على النبذ ص ٥١ ــ ٥٢ ، وجامع بيان العلم لابن عبد البر ٥٥/٢ ط : المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ولمعرفة معانيه وموافقته لكتاب الله وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ راجع : اعلام الموقعين ١٠٠/١ ــ ١١١ .

(١) الفقيه ٢٠٠/١ ، واعلام الموقعين ٧٠/١ .

(٢) الفقيه ٢٠١/٢ ، واعلام الموقعين ٧١/١ .

وأكثر عن عرض أقوالهم وأفعالهم ، وفتاواهم المبنيـــة على القيـــاس ، والاجتهاد . منها : مسألة « الحرام » وقد اختلفوا فيها على خمسة أقوال:

أولها — أنه فى حكم الطلاق الثلاث وهو منقول عن على وزيد بن ثابت وابن عمر — رضى الله عنهم .

وثانيها — أنه فى حكم الطلقة الواحدة اما بائنة أو رجعية على اختلاف بينهم .

وثالثها — أنه يمين تلزم فيه الكفارة وهو المنقول عن أبى بكر وعمر وعائشة — رضى الله عنهم .

ورابعها — أنه فى حكم الظهار وهو المنقول عن ابن عباس — رضى الله عنهما .

وخامسها — أنه ليس بشىء وهو منقول عن على رضى الله عنه كقول ثان (١) .

ومنها : اختلافهم فى « توريث الجد مع الأخـــوة » ومذاهبهم فى ذلك (٢) .

واختلافهم : فى « الخلع » هل يهدم من الطلاق شيئا أو يبقى عدد الطلاق على ما كان (٣) .

وكذلك اختلافهم فى « المسألة المشتركة » الشهيرة فى الفرائض (٤) .

وقد ذكر الفخر أن اختلاف آراء الصحابة فى هذه المسائل لما لم يكن فيه نص من الشارع جليا أو خفيا فيتعين أن يكون مدرك كل واحد فيما ذهب اليه هو « القياس » كما أن هناك وقائع أفتوا فيها وصرحوا بأن ذلك كان برأيهم . كقول أبى بكر — رضى الله عنه — فى « الكلالة » :

---

(١) راجع : المحصول ٢/ورقة ٣٢ أ ، ونبراس العقول ٩٨/١ .
(٢) راجع : المحصول ٣٢/٢ أ ، ونبراس العقول ٩٨/١ .
(٣) راجع : نفس المصـدرين .
(٤) نفس المصـدرين .

أقول فيها برأيي ، فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان : « الكلالة ما عدا : الوالد والولد » (١) •

وقال عمر — رضي الله عنه — : « أقضي في الجد برأيي ، وقال له عثمان — رضي الله عنه — : ان إتبعت رأيك فسديد ، وان تتبع رأي الشيخ قبلك فنعم الرأي كان » • رواه البيهقي ، وابن أبي خيثمة (٢) •

وقال علي رضي الله عنه : « أجتمع رأيي ورأي عمر في أمهات الأولاد ألا يبعن ، وقد رأيت الآن بيعهن » (٣) •

وكما برز القياس كدليل من أدلة الأحكام ، أخذت الصورة الأولى من صور الاجماع تتضح ، فقد كان أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — قلة لايتعذر اتفاقهم على حكم من الأحكام ولا يتعذر اجتماعهم •

ولم يكن كل أصحاب رسول الله — صلى الله علية وآله وسلم — يتصدون للفتيا ، بل كان الذين يتصدون لها منهم حفظه القرآن الكريم الذين كان يطلق عليهم « القراء » وقد ذكرهم محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية في كتابه — اعلام الموقعين — وعد منهم نيفا وثلاثين ومائة •

ولم يكن هؤلاء القراء — رضي الله عنهم — من أصحاب الفتيا كلهم على درجة واحدة في الفتيا ، ففيهم المقل والمكثر ، وكان المكثرون منهم سبعة ، عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأم المؤمنين عائشة ، وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر — رضي الله عنهم أجمعين — (٤) •

وعن هؤلاء انتشر الفقه والعلم فيمن بعدهم •

---

(١) راجع : نفس المصدرين •

(٢) المحصول : ٢/٣٢ ب ، ونبراس العقول ١/١٠٣

(٣) راجع : نفس المصدرين •

(٤) راجع : اعلان الموقعين ١/١٣ •

ومنذ سنة أربعين للهجرة بدأ لقب « القراء » يختفي ليحمل محله لقب « العلماء » ، كما أخذوا يطلقون لقب « الفقهاء » على القادرين على الاستنباط اضافة الى الحفظ والرواية .

يقول ابن سعد في طبقاته : « كان ابن عمر جيد الحديث ، غير جيد الفقه ، وكان زيد بن ثابت فقيها في الدين عالما بالسنن » .

وسميت سنة (٩٤ هـ ) بسنة الفقهاء لكثرة من توفى منهم فيها (١) .

ويستطيع الباحث أن يجد من اجتهادات الصحابة ، واختلافاتهم ملامح طرق استنباط واضحة . ومن الممكن أن نجد التعليل بالمصلحة ، والأخذ بسد الذرائع ، ودفع المفسدة والأخذ بالسياسة الشرعية ، وتغيير الأحكام بتغير الأزمان وتبعا لزوال العلة من الأمور المألوفة عند كبار الصحابة حتى أن بعضهم أوقف العمل بالنصوص بسبب ذلك (٢) .

وكثير مما نقل من فتاوى الصحابة واجتهاداتهم يدل على ادراك بعض الصحابة لبعض القواعد الأصولية ، ولكن لا بأسمائها الاصطلاحية التي وضعها لها علماء الأصول فيما بعد بل بمسمياتها ومفاهيمها (٣) . وأنهم كانوا يدركون ذلك بناء على ادراكهم لمقاصد الشارع بحكم معاصرتهم لصاحب الرسالة ــ عليه الصلاة والسلام ، وصحبتهم له ، وبحكم احاطتهم بالعربية سليقة بحيث لا يحتاجون الى ما احتاجه من بعدهم وهكذا كانوا ينقلون العلم والايمان لمن بعدهم من مشكاة النبوة غضا طريا لا يشوبه أشكال ، ولا يعكر صفوه اختلاف ، ولا تدنسه معارضة .

---

(١) راجع : الامام الشافعي لمصطفى عبد الرازق من سلسلة أعلام الاسلام ط : عيسى الحلبي سنة ١٩٤٦ .

(٢) راجع : اصول الفقه تدوينه وتطوره ص ٥٩٦ ليعقوب الباحسين ، ولعل الكاتب يقصد بوقف العمل بالنصوص موقف سيدنا عمر من مثل الخمس وليس هذا تعطيلا وانما هو من باب عدم العمل بالحكم لفقدان شرطه .

(٣) المصدر السابق .

## المبحث الثالث

## التشريع بعد عهد الصحابة

لما انقرض عهد الصحابة ما بين تسعين ، ومائة من الهجرة ، وجاء عهد التابعين : آل أمر الفتيا والعلم بالأحكام الى علماء التابعين الذين تلقوا عن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وكانت اجتهادات الصحابة وفتاواهم الدالة على الأخذ بهذه القواعد معروفة لديهم ، ولذلك كان فقاؤهم أمثال ابن المسيب (١) ، وعروة ابن الزبير (٢) ، والحسن البصرى (٣) ، وابن سيرين (٤) ، وابراهيم بن يزيد النخعى (٥) ، وعطاء بن أبى رباح (٦) وغيرهم (٧) . يلجأون الى كتاب الله ، وسنة

(١) المتوفى سنة ٩٤ هـ وقيل فى غيرها من سادات التابعين فقها وزهدا وفضلا . انظر الوفيات ١/٢٩١ ، المختصر ٦٧ .

(٢) المتوفى سنة ٩٤ هـ على الصحيح شهد له اصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالفقه . انظر الوفيات ١/٤٤٩ والمختصر ٦٩ .

(٣) المتوفى سنة ١١٠ هـ من سادات التابعين وكبرائهم ، راجع : الوفيات ١/١٨٠ ، والمختصر ٧١ .

(٤) المتوفى سنة ١١٠ هـ شهد له العلماء بالفقه والورع . راجع : الوفيات ١/٦٤٦ ، والمختصر ٧٣ .

(٥) المتوفى سنة ٩٦ ، أو ٩٥ هـ من مشاهير التابعين . انظر الوفيات ١/٤ .

(٦) المتوفى سنة ١١٥ وقيل ١١٤ هـ من اجل فقهاء التابعين . انظر الوفيات ١٠/٤٥٢ .

(٧) وراجع لمعرفة هؤلاء الأئمة ونحوهم فى الحركة الفقهية : اعلام الموقعين ١/٢٢ ـ ٢٨ .

رسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كلما سئلوا عن حكم ، ويهتدون بفتاوى الصحابة ، فان لم يجدوا حكم ما عنه يبحثون نظروا فى الأشباه والأمثال ، فان وجدوا شبيها له قاسوه عليه .

عن الحسن بن عبيد الله النخعى قال : قلت لابراهيم النخعى : آكل ما أسمعك تفتى به سمعته ؟ فقال : لا . فقلت : تفتى بما لم تسمع ، فقال: سمعت الذى سمعت ، وجاءنى ما لم أسمع فقسته بالذى سمعت (١) .

ومنهم من يلجأ الى المصلحة مهتديا بما أدركه من مقاصد الشرع فالتفريعات التى كان يفرعها ابراهيم النخعى وغيره من فقهاء العراق كانت نتيجة استخراج علل الأقيسة ، وضبطها والتفريع عليها بتطبيق تلك العلل على الفروع المختلفة ، أما فقهاء الحجاز فقد كانوا يلجئون الى المصلحة ، فى المسائل الجديدة غير المنصوص على حكمها (٢) .

ومع اتضاح مناهج الاستنباط أكثر من ذى قبل الا أنها لم تبلغ الدرجة التى تجعل منها علما متكاملا . فهى : لم تزل بعد فجة لم تنضج، ولم تتقلب على ألسنة المتجادلين الى الدرجة التى تصيرها علما قائما على سوقه .

فاذا ما جاء عصر أتباع التابعين والأئمة المجتهدين زادت المناهج وضوحا ،وتميزت قواعد الاستنباط ، وظهرت على ألسنة الأئمة بعبارات صريحة وواضحة ودقيقة (٣) .

فنجد أبا حنيفة مثلا يحد مناهج استنباطه الأساسية بالكتاب ، فالسنة فقتاوى الصحابة يأخذ ما يجمعون عليه ، وما يختلفون فيه يتخير من آرائهم ولا يخرج عنها ، ولا يأخذ برأى التابعين لأنهم رجال مثله ، ونجده يسير فى القياس والاستحسان على منهاج بين (٤) .

---

(١) راجع : الفقيه والمتفقه ٢٠٣/١ .

(٢) راجع : اصول الفقه لابى زهرة ١١ ــ ١٢ ط : دار الفكر العربى ١٩٥٧ .

(٣) راجع : أصول الفقه ليعقوب الباحسين ٥٩٦ ــ ٥٩٧ .

(٤) اصول الفقه لأبى زهرة ص ١٢ .

ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يؤثر عنه أنه ضبط قواعدهما ونظم قانونهما، ولكن آلاف المسائل الفقهية المأثورة عنه تجعل من المؤكد أنه : كان يلاحظ قواعد معينة قيد بها نفسه كالقواعد التى أشرنا اليها .

ومالك ـ رحمه الله ـ كان يسير على منهاج أصولى واضح ـ فى احتجاجه بعمل أهل المدينة ، وتصريحه بذلك فى كتبه ورسائله ، وفى اشتراطه ما اشترطه فى رواية الحديث (١) .

---

(١) المصدر السابق .

## المبحث الرابع

### تدوين علم أصول الفقه

فى عصر الصحابة والتابعين كان تدوين العلوم والسنن منعدما تقريبا فى العصر الأول ونادرا فى العصر الثانى . ذلك لأن العرب أمة أمية كانت تعتمد على الصدور لا على السطور فى حفظ العلم ، وتقييد الرواية، بالإضافة الى كراهية ذلك الجيل من الصحابة ومن تلاهم من التابعين لتدوين شىء غير كتاب الله لئلا يتخذ الناس مع كتاب الله كتابا يشغلهم ولو قليلا عن كتاب الله .

كما لم تكن هناك ضرورة ملحة تلجئهم الى التدوين، وضبط القواعد .

يقول ابن خلدون : « وفيما كان الكلام ملكة لم تكن هذه علوما ولا قوانين ، ولم يكن الفقيه يحتاج اليها ، لأنها جبلة وملكة ، فلما فسدت الملكة فى لسان العرب قيدها الجهابذة المتجردون لذلك بنقل صحيح ، ومقاييس مستنبطة وصارت علوما يحتاج اليها الفقيه فى معرفة أحكام الله تعالى (١) » وانما تؤلف كتب الضوابط عند ظهور الدواعى اليها ، وقد ظهرت هذه الدواعى بعد السلف من الصحابة والتابعين الذين كانوا فى غنية عن ذلك بما لهم من ملكة لسانية تساعدهم على استفادة المعانى من الألفاظ مباشرة ، كما كانوا على ادراك تام لأسرار الشريعة ومقاصدها من طول صحبتهم لرسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ كما ان جيل التابعين الذى أخذعنهم استطاع أن يحمل الأمانة كاملة ، وأن يأخذ

---

(١) المقدمة : ٣/١١٦٣ ــ ١١٦٤ .

عنهم ما أخذوه من مشكاة النبوة . ولقد كان بعض التابعين يفتون فى المسائل بمحضر من بعض أكابر الصحابة الذين كانوا يجيزون لهم ذلك ، بل ويحيلون عليهم فى بعض الأحيان .

وانقرض السلف ، وذهب الصدر الأول ، وانقلبت العلوم كلها صناعة (١) ونشأ المتذهب الفقهى ، وانقسم الفقهاء الى فريقين : فريق أصحاب الرأى والقياس من العراقيين ، وفريق أهل الحديث من أهل الحجاز . وقد كان مقدم أهل الرأى وصاحب مذهبهم الامام أبو حنيفة المولود سنة ٨٠ هـ والمتوفى سنة ١٥٠ هـ . الذى أعانه فى نشر مذهبه تلميذاه الجليلان أبو يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هـ . ومحمد بن الحسن الشيبانى المتوفى سنة ١٨٩ هـ . وقد أشرنا الى أنه ــ رحمه الله ــ كان له مناهج استنباط واضحة فيما تركه من آثار (٢) ، وان لم يؤثر عنه أن ضبط قواعد مناهجه المشار اليها ونظم قوانينها ، ودونها .

ولقد أكثر الامام أبو حنيفة وأصحابه من القياسات والاستحسان لقلة ما بلغهم من السنة ولصعوبة ما وضعوه من شروط لقبول الرواية ، ولذلك سموا بأهل الرأى .

وأما أهل الحديث من الحجازيين فقد كانوا أكثر رواية للحديث من أهل العراق فمدينة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ دار الهجرة التى عاش فيها عشرة أعوام يفتى الناس ، ويقضى بينهم ، ويدعو الى سبيل ربه ، ويجاهد لتثبيت دعائم الاسلام ، وبسط سلطانه على الأرض فكانت الرواية فيها أكثر والرواة أوفر .

وقد كان مقدم أهل الحديث الامام مالك بن أنس الأصبحى المولود سنة ٩٣ هـ . والمتوفى سنة ١٧٩ هـ وهو كما أشرنا كان له منهاج أصولى

---

(١) المصدر السابق .

(٢) لقد ترك الامام أبو حنيفة رحمه الله بعض الآثار ككتاب ( الفقه الأكبر ) فى التوحيد ، ورسالته الى البستى وكتاب العالم والمتعلم وغيرها ، وقد قيل بلغت مسائل أبى حنيفة خمسمائة الف مسألة ، وكتبه وكتب أصحابه تدل على ذلك .

انظر : الامام الشافعى لمصطفى عبد الرازق ص ٤٥ .

يسير عليه فى استنباط أحكام الفروع : كاحتجاجه بعمل أهل المدينة ، ولكنه كالامام أبى حنيفة لم ينظم قواعد لمنهجه فى الاستنباط ، ولم يدون قوانين محددة لها .

ولقد نشب بين الفريقين نوع من الصراع ، فأخذ كل فريق يعيب على الآخر ، فأهل الرأى يعيبون على أهل الحديث الأكثار من الروايات، ويرمونهم بقلة الفقه والفهم والتدبر ، وأهل الحديث يعيبون أهل الرأى بأنهم يأخذون فى دينهم بالظن وأنهم ليسوا لسنة رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ أنصارا ولا هم فيها بمتثبتين ، ولذلك كان لابد من وجود قواعد مدونة تكون مرجعا لفض النزاع من ناحية وليبنى كل فريق عليها فقهه ، وتكون لأتباعه سند جدال ، وقاعدة حجاج ، ولم يكن تحصيل هذه القوانين والقواعد ، وترتيب هذه المناهج ووضعها فى اطار بالعمل الهين ولا بالأمر السهل ، وليس بامكان كل عالم مهما كان أن يقوم بهذا العبء الجسيم . فان وضع نظام موحد أو شبه موحد لطريقة استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها أمر فى غاية الخطورة والأهمية ، كما أن هذه المهمة تقتضى فيما تقتضيه اطلاعا تاما ، على مقاصد الشارع ، وقدرة على ادراكها ومعرفتها من خلال كتاب الله وسنة رسوله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ والماما شاملا بمذاهب العلماء ، ومدارك فقههم من عهد الصحابة حتى وقته ، ومعرفة تامة بلغة العرب . وذلك لايتيسر الا لقليل نادر ممن يهبهم الله القدرة على هذا ليعزبهم دينه وشريعته ، فقيض الله لهذه المهمة عالم قريش الامام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ وكان حقيقا بها وأهلا لها ، فانه ــ رضى الله عنه ــ اضافة الى احاطته بالعربية ، وعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف . كان قد أطلع على فقه الفريقين من أئمتهم فاطلع على فقه مالك ومنهجه فى الاستنباط وقرأ عليه موطأه ، كما أطلع على فقه أبى حنيفة ومناهجه من محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة ، كما أطلع على ما لدى غير هذين الامامين من أئمة الفريقين ــ ولقد ظهر الامام الشافعى مزودا بكل هذه القدرات والنهضة الفقهية قائمة ترمى الى الوفاء بالحاجة العلمية لسد حاجات الدولة التى

كانت تريد ضبط أمورها على منهاج شرعى ، والفقهاء منقسمون كما أشرنا الى فريقين والخلاف بين الفريقين محتدم ، وقد كان أهل الرأى على جانب كبير من قوة البحث والنظر ، وكانوا أصحاب حجاج ولسن ، وهم أسرع فى تلبية حاجات المجتمع من الفقه معتمدين على الأقيسة والاستحسان ، وقوتهم فى الجدل عنها . فيما لم يطلعوا فيه على نص مقبول لديهم ، بينما كانت جمهرة أهل الحديث وبخاصة العراقيين منهم ـ على شىء كبير من الخمول والكسل ، وضعف البحث والنظر ، لايملكون القدرة على الذب عن مذهبهم ، وكلما أورد عليهم أحد من أصحاب الرأى سؤالا أو أشكالا أسقط فى أيديهم متحيرين (١) .

ولقد خاف الكثيرون من الغيارى أن تتحول هذه النهضة الفقهية التى كانت تعيشها الأمة الى عامل انقسام خطير يهدد وحدتها ، ويشغلها عن أعدائها ، فكانوا يتمنون لو وجد من يضع لها ( قانونا كليا ) يرجع الجميع اليه فيحول بين أهل الرأى وبين انطلاقهم وراءه دون عقال ، ويحميه بذلك من الزلل ، وينفى عن السنة ما أصابها من جمود الجامدين ، واتجهت الأنظار نحو عالم قريش فكتب اليه عن عبد الرحمن مهدى (٢) يسأله وضع هذا القانون الكلى . وضبط مناهج الاستنباط وتقييدها بكتاب جامع لهذه القواعد يعرف بدلائل الفقه ، ويبين مراتبها لعله يساعد على ردم الهوة بين أهل الرأى والحديث (٣) ، ويمهد للناس ظهور فقه جديد جامع لما فى فقه كل من الفريقين من فضائل .

ويبدو أن هذا الطلب قد صادف هوى فى نفس الامام الذى كان قد أكتمل وحاز على ما فى عصره من علم ، وأخذ يتطلع الى المجال

---

(١) راجع : مناقب الفخر ص ٣٨ .

(٢) المولود عام ١٣٥ هـ والمتوفى عام ١٩٨ هـ على ما فى التاريخ بغداد ٢/٦٤ ، ومناقب الشافعى للفخر الرازى ص ٥٧ والمجموع للنووى ١/٨ ط المنيرية .

(٣) ولتتبين هذه الهوة ومداها تأمل ما نقله أبو شامة فى كتاب ( المؤمل للرد الى الأمر الاول ) من قول بعض العلماء « لولا الشافعى لغبر أصحاب الراى ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم » ٣/٣٧ من الرسائل المنيرية .

الذى يستطيع أن يثمر وينتج فيه أكثر . فكتب ــ رضى الله عنه ــ ( الكتاب ) الذى عرف ( بالرسالة ) [1] قيل ، انه وضعها بمكة وسيرها الى الامام عبد الرحمن بن مهدى ، وقيل : وضعها فى بغداد .

---

(1) للامام الشافعى رسالتان ( القديمة ) أو البغدادية وهى هذه المشار اليها ، والتى سيرها الى عبد الرحمن بن مهدى مع الحارث بن سريج النقال المتوفى سنة ٢٣٦ هـ ، والذى لقب بالنقال لنقلة هذه الرسالة ، كما سميت ( الرسالة ) بهذا الاسم لارسالها لابن مهدى . وأنظر هامش ٦٢/١ من « اداب الشافعى ومناقبه » بتحقيق شيخنا عبد الغنى واشعر بميل الى القول بأن الرسالة البغدادية هذه ، هى : مقدمة أصولية وضعها الامام الشافعى لكتابه القديم « الحجة » الذى رواه عنه أربعة من اصحابه العراقيين . وهم : الامام أحمد بن حنبل ، وأبو ثور ، والزعفرانى والكرابيسى ، وانه وضعه فى رحلته الأولى للعراق سنة ١٨٤ هـ حينما اشخص الى العراق ليمثل بين يدى الرشيد متهما بالتشيع وبرىء من تهمته ، واتصل بأصحاب أبى حنيفة ، وأصحاب الحديث من العراقيين ، وان كنت لم استطع الحصول على دليل اقوى به ميلى هذا حتى الآن ، وراجع : تاريخ التشريع لتاج والسايس ومناقب الشافعى وآدابه ٣٠/١ .

وقد اهتم العراقيون برسالة الشافعى واقبلوا عليها قراءة واستفادة ، وحثوا غيرهم على الرجوع اليها والاطلاع عليها ــ وبخاصة أهل الحديث وكان على رأس المروجين لها الإمامان الجليلان أحمد بن حنبل واسحق بن راهوية . فأحمد بن حنبل ــ رحمه الله ــ يقول : كانت أقفيتنا ( أصحاب الحديث ) فى أيدى أصحاب ابى حنيفة ما تنزع حتى رأينا الشافعى ــ كما فى هامش آداب الشافعى ومناقبه ٥٥/١ .

ورسالة الشافعى البغدادية لم تصل الينا كاملة ، وان كانت موجودة فى القرون الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع ، الا انه توجد منها نصوص مهمة فى بعض كتب نحو الحافظ البيهقى ، والنووى وابن الصلاح والتاج السبكى ، وابن قيم الجوزيه فلا عبرة بما يوهمه كلام بعض المعاصرين من انه لا يعرف عنها شيئا ولم يطلع على نصوص منها .

اما الرسالة الثانية :

فهى الرسالة الجديدة التى وضعها ( بمصر ) بعد ان قدم اليها واستقر فيها وبعد ان ظهرت له حقائق علمية مهمة اضطرته الى اعادة تأليفها والتعديل فى ابوابها ، والتغيير فى أحكامها ، وقد أملاها بعد وضعها وتأليفها وكتابتها وتحريرها على كبار أصحابه المصريين وعلى رأسهم الربيع بن سليمان المرادى المتوفى سنة ٢٧٠ هـ وقد رواها الناس عنه وعن غيره ، ومن كبار رواتها أيضا الامام أحمد رضى الله عنه ، كما صرح به ابن حجر فى ( توالى التأسيس ) ص ٧٧ . وهذا يدفع قول بعض المعاصرين ان الشافعى انما أملاها على الربيع وحده .

وأيا كان الأمر فقد أقبل الناس على الرسالة ووجدوا فيها القواعد الأصولية التى كان يعييهم البحث قبل العثور عليها .

فأقبل عليها أهل الحديث لأنهم وجدوا فيها القواعد التى تمكنهم من الخروج عن سلبيتهم وجمودهم وتساعدهم على نصرة السـنة ، فهو ـ رضى الله عنه ـ قد أقام الاجتهاد على مبدأ : أن الأصـل : قرآن أو سنة ، فان لم يكن فقياس عليهما واذا أتصل الحديث عن رسـول

---

وهذه الرسالة هى ( المصرية ) وسبب تسميتها ظاهر وهى المتداولة حاليا والتى طبعت مرارا فى القاهرة مع الأم او منفردة .

هذا وقد اهتم الكثيرون من كبار ائمة الشافعية المتقدمين بشرحها والتعليق عليها كأبى بكر الصيرفى المتوفى سنة ٣٣٠ هـ ، وابو الوليد حسان بن محمد القرشى المتوفى سنة ٣٤٩ هـ ، والقفال الكبير المتوفى سنة ٣٦٥ هـ وابى بكر الجوزقى المتوفى سنة ٣٨٨ هـ ، وابى محمد الجوينى والد امـام الحرمين المتوفى سنة ٤٣٨ هـ .

وقد حفظت لنا بعض كتب الأصول المتأخرة شيئا من نصوص شرح الصيرفى وغيره .

وقال الفخر الرازى فى مناقبه : واعلم ان الشافعى ـ رضى الله عنه ـ صنف كتاب الرسالة ببغداد ، ولما رجع الى مصر اعاد تصنيف كتـاب الرسالة وفى كل واحد منهما علم كثير ص ٥٧ . وانظر فى ص ١٠١ من مقدمة احمد شاكر لطبعة مصطفى الحلبى سنة ١٣٥٨ ـ ١٩٤٠ . ومذكرة لشيخنا عبد الغنى عبد الخالق ص ٣١ .

هذا وللامام الشافعى رحمه الله كتب كثيرة غير الرسالة الأصـولية وهى : كتاب « الحجة » فى الفقه الذى اشرنا اليه والذى اشـتمل على آرائه أو مذهبه القديم ، وكتاب « الأم » الذى ضمنه مذهبـه الجديد واملاه على تلاميذه بمصر وقد الحق به جملة كتب منها : كتاب : ما اختلف فيه ابو حنيفة وابن أبى ليلى واصله لأبى يوسف ، فبعد أن يروى الشافعى آراء الأئمة الثلاثة .. أبى حنيفـة ، وابن ابى ليلى وأبى يوسـف يذكر ما يرجحه منها أو يختار رأيا آخر غير ما رأى الثلاثة ، ومنها : كتـاب ما خالف فيه العراقيون عليا وابن مسعود ، وكتـاب : اختـلاف مالك والشافعى وهو : كتاب يرجع الى العمل بالسنة ، ومناظرة اصحاب مالك فيما شرطه من عمل الأئمة لتأييد الحديث ، ومنها ، كتاب جماع العلم وهو انتصار للسنة والعمل بها ، ومنها : كتاب الرد على محمد بن الحسن واصله: كتاب رد فيه محمد بن الحسن على اهل المدينة فدافع الشافعى عنهم ، ومنها : كتاب سير الاوزاعى واصله : لأبى يوسف يرد فيه على الاوزاعى فدافع الشافعى عنه .

الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصح الاسناد به فهو المنتهى •• والحديث على ظاهره • واذا احتمل المعانى فما أشبه منها ظاهره فهو أولاها به ، واذا تكافأت الأحاديث فأصحها اسنادا أولاها • وليس المنقطع بشىء ما عدا منقطع ابن المسيب ، ولا يقاس أصل على أصل ولا يقال للأصل لم وكيف ؟ وانما يقال : للفرع لم ؟ فاذا صح قياسه على الأصل صح وقامت به الحجة أ • هـ[1] •

ونظر الى السنة الصحيحة نظرته الى القرآن الكريم يرى كلا منهما واجب الأتباع ، وتجاوز الشروط والقيود التى وضعها غيره على السنة ، ولم يلتزم بأكثر من شرط الصحة والاتصال ، وترك الاستحسان وأنكره وقال : « من استحسن فقد شرع » وكتب كتابا فى ابطاله ، ورد المصالح المرسلة ، ولم يعمل بالقياس ما لم تكن علته منضبطة ، ودافع دفاعا شديدا عن العمل بخبر الواحد الصحيح •

وقد وضع كتبا قيمة مستفيضة خاصة ببعض المسائل الخلاقية الخطيرة : ككتاب جماع العلم الذى جعله خاصا باثبات حجية الأخبار والرد على منكريها كبعض الرافضة والمعتزلة • فكانت جهوده هذه سببا هاما فى ذيوع صيته والتمهيد لانتشار مذهبه ، ودافعا قويا لاستيقاظ المحدثين من سباتهم ورقودهم ، وعاملا أساسيا فى تحركهم بعد ركودهم ، فارتفع شأنهم ، وعظم أمرهم وتمكنوا من تقوية مذهبهم ، ومن صحة الرد على مخالفيهم ، ولذلك لقب فى بغداد بـ « ناصر الحديث » [2] •

ونقل عن الامام أحمد ــ رحمه الله ــ أنه قال : « كانت أقفيتنا ــ أصحاب الحديث ــ بأيدى أصحاب أبى حنيفة ما تنزع حتى رأينا الشافعى » [3] وقال الامام أبو بكر الحميدى ، أو الحسن بن محمد

---

(١) راجع : المراسيل لابن ابى حاتم ص ( ١٢ ــ ١٣ ) ط بغداد وآداب الشافعى ومناقبه ٢٣١ ــ ٢٣٣ ، وانظر ما كتبه شيخنا على هامش ص ١٥٩ منه ، وراجع تاريخ التشريع لتاج والسايس ٢٢٠ .

(٢) راجع : الامام الشافعى لمصطفى عبد الرازق ٥٨ .

(٣) راجع : آداب الشافعى ٥٥ ــ ٥٧ .

الزعفراني : « كان أصحاب الحديث رقودا فأيقظهم الشافعى » (١) .
الى أقوال كثيرة لا نطيل بذكرها .

هذا ولم يكن أصحاب الرأى أقل اهتماما بالرسالة وبقية ما كتب الشافعى من نظرائهم ــ أهل الحديث ــ فانه اذا كانت السنة قد تعرضت لحملات تشكيك أدت الى رفض البعض للسنن والآثار جميعا ، أو لم يقبلوا منها الا ما جاء بيانا لنص قرآنى ، أورد أخبار الآحاد ما لم تشتهر ، أو اشتراط عدم مخالفة الحديث لعمل أهل المدينــة (٢) فان القيــاس والاجماع كانا أكثر تعرضــا للتشكيك .

وقد علمت أن أبا حنيفة ــ رحمه الله ــ مع أخذه بالقياس واهتمامه به لم ينظم له قواعد وقوانين محددة تمهد طريقه لمن يريد سلوكه ، وترد على من أنكروه ، يضاف الى هذا أنهم وجدوا نظراءهم من أهل الحديث قد تغير وضعهم ولم يعودوا أولئك الذين لايستطيعون الدفاع عما يذهبون اليه مما حمل الامام محمد بن الحسن أن يقول : « ان تكلم أصحاب الحديث يوما فبلسان الشافعى » (٣) فلا غرابة اذا ما اهتم الفريقان بها ، وتوفروا على دراستها حتى صارت هذه القواعد التى جمعها رضى الله عنه علما قائما بذاته ــ هو علم « أصول الفقه » .

وقد أصبحت رسالة الشافعى منارا يهتدى به السالكون سـبيل الأحكام الشرعية بمأمن من الزلل والخروج عن الجادة . عظمت بها فائدة أهل الحديث ، وأهل الرأى على حد سواء ، وتحول الصراع الذى كان بين الفريقين الى صراع من نوع جــديد له مرجع من قواعــد ثابته ، وأسس واضحة ساعدت على تنمية وتزكية الثروة الفقهية ، واضافة مذهب جديد وسط بين مذهب أهل العراق ، وأهل الحجاز . فلا عجب اذا

---

(١) انظر مناقب الفخر / ٢٠
(٢) راجع : تاريخ التشريع لتاج والسايس ١٨٣ .
(٣) راجع : مناقب الفخر ١٨ .

ما أقبل الناس عليه وشغفوا به ، وقصد الناس أمامه فى سائر أقطـار الاسلام يتفقهون عليه ، ويروون عنه ، ويسمعون كتبه ويأخذون عنه .

فاستحق الامام — رضى الله عنه — ثناء علماء الأمة ودعاءهم (1) .

---

(1) ان الثناء على الامام من علماء الأمة اكثر من ان يجمع فى كتاب ويكفى أن نعلم ان الكتب المستقلة التى الفت فى مناقبه بلغت اربعين كتابا ، فراجع : كشف الظنون ٢/١٨٤٠ .

## المبحث الخامس

### الامام الشافعى أول من دون أصول الفقه

لقد اتضح مما أسلفنا أن الشافعى — رضى الله عنه — هو : أول من دون « أصول الفقه » وجمعها فى كتاب ، وأنه لم يسبق الى هذا .

وقد اتفق جمهور العلماء المؤرخين على هذا ، ولم يشذ عن اتفاقهم الا من لا عبرة بخلافهم .

قال ابن خلدون : وكان أول من كتب فيه — أى : فى علم أصول الفقه — الشافعى — رضى الله عنه — أملى فيه رسالته المشهورة ، تكلم فيها : فى الأوامر والنواهى ، والبيان ، والخبر ، والنسخ ، وحكم العله المنصوصة من القياس ، ثم كتب فقهاء الحنفية ، وحققوا تلك القواعد ، وأوسعوا القول فيها (١) .

وقال الأسنوى : ان الركن الأعظم ، والأمر الأهم — فى الاجتهاد — انما هو علم أصول الفقه ، وكان أمامنا الشافعى — رضى الله عنه — هو المبتكر لهذا العلم بلانزاع ، وأول من صنف فيه بالاجماع ، وتصنيفه المذكور فيه موجود بحمد الله تعالى وهو الكتاب الجليل المشهور المسموع عليه المتصل باسناده الصحيح الى زماننا المعروف بالرسالة (٢) .

وقال الامام الفخر :

وأعلم أن نسبة الشافعى الى علم الأصول : كنسبة أرسطاطاليس الى علم المنطق ، وكنسبة الخليل بن أحمد الى علم العروض .

---

(١) راجع : المقدمة ١١٦٤/٣ .

(٢) راجع : التمهيد ٣ — ٤ ط مكة المكرمة .

وبعد أن بين حالة علم المنطق قبل الأول ، وكيف استخرج الثانى علم العروض ــ قال ــ : فكذلك ها هنا ، الناس كانوا قبل الامام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ يتكلمون فى مسائل أصول الفقه ، ويستدلون، ويعترضون ، ولكن ما كان لهم « قانون كلى » مرجوع اليه فى معرفة دلائل الشريعة ، وفى كيفية معارضاتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعى ــ رحمه الله تعالى ــ علم أصول الفقه ، ووضع للخلق « قانونا كليا » يرجع اليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع .

وقال أيضا : والناس وان أطنبوا بعد ذلك فى علم أصول الفقه الا أن كلهم عيال الشافعى فيه ، لأنه هو الذى فتح هذا الباب ، والسبق لمن سبق (١) .

وقال الامام الجوينى ــ والدأبى المعالى ــ فى شرحه على الرسالة : لم يسبق الشافعى أحد فى تصنيف الأصول ، ومعرفتها ، وقد حكى عن ابن عباس « تخصيص عموم » وعن بعضهم « القول بالمفهوم » ومن بعدهم لم يقل فى الأصول شىء ، ولم يكن لهم فيه قدم . فانا رأينا كتب السلف من التابعين ، وتابعى التابعين وغيرهم فما رأيناهم صنفوا فيه (٢).

وعقد بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى المتوفى سنة ٧٩٤ هـ فى كتابه ــ البحر المحيط ــ فصلا بعنوان : ( الشافعي أول من صنف فى أصول الفقه ) صنف فيه كتاب ــ الرسالة ــ وكتاب ــ أحكام القرآن ، واختلاف الحديث ، وابطال الاستحسان ، وكتاب جماع العلم ، وكتاب القياس ــ الذى ذكر فيه تضليل المعتزلة ــ ورجوعه عن قبول شهادتهم (٣) .

وقال السيوطى فى اتمام الدراية : وأول من ابتكر هذا العلم

---

(١) راجع : مناقب الفخر ٥٧ .

(٢) راجع : الامام الشافعى لمصطفى عبد الرازق ص ٦٦ . وشرح الجوينى مخطوط محفوظ فى المكتبة الاهلية فى باريس .

(٣) المرجع السابق .

الامام الشافعي ــ رضى الله عنه ــ بالاجماع . وألف فيه كتاب الرسالة الذى أرسل الى ابن مهدى وهو مقدمة كتاب الأم (١) .

وقد ذكر الفخر فى مناقبه ما يقرب من هذا ــ حيث قال : اتفق الناس على أن أول من صنف فى هذا العلم الشافعي وهو الذى رتب أبوابها ، وميز بعض أقسامها عن بعض ، وشرح مراتبها فى القوة والضعف (٢) .

ولقد أصبح علم أصول الفقه منذ أن وضع الامام رسالته فيه علما قائما بذاته كما مر ، باسمه ، وعد من مناقبه .

ونعتقد أن من المسلمات التى لاتحتاج الى تقرير فضلا عن برهان : أن أول من جمع قواعد الأصول ورتبها ، واستخرج أهمها ، ونصبها للناس منارا يهتدون به الى الفقه السليم ــ هو : الامام الشافعي .

وقد نقل كبار العلماء الاجماع على هذا ، ومع ذلك فقد وجد من شذ عن هذا الاجماع وزعم أن الشافعي ــ رضى الله عنه ــ مسبوق بهذا لا سابق وأنه تابع لغيره لا متبوع ، ولكنهم لم يستطيعوا الاتيان بدليل واحد على ما زعموه ولولا اغترار بعض الكتاب المحدثين (٣) بهذه المزاعم لما وجدنا ما يحمل على عرضها وتفنيدها ، ونعتقد أن الدافع لهؤلاء على مخالفة الاجماع ــ هو : التعصب المذهبى لا التحقيق العلمى .

والذين شذوا عن هذا الاجماع : بعض متأخرى الحنفية ، وبعض متأخرى الشيعة الامامية .

أما متأخرو الحنفية فقد زعم بعضهم أن أبا يوسف ــ رحمه الله ــ كان أول من وضع فى أصول الفقه على مذهب الامام (٤) .

---

(١) راجع : اتمام الدراية ٧٧ ط الميمنة سنة ١٣١٨ .

(٢) راجع : مناقب الفخر ٥٥ .

(٣) مثل احمد امين فى الضحى ٢/٢٢٩ .

(٤) راجع : المفتاح ٢/٣٧ ، فقد نقل عن طلحة بن محمد هذا القول، وعلى هذا القول أيضا استند الموفق المكى لهذا الزعم فى كتابه « مناقب الامام الأعظم » ٢/٢٤٥ عن كتاب مصطفى عبد الرازق ٦٨ ــ ولعله كان مستند ما زعمه الأفغانى مقدم « أصول السرخسى » أيضا ، اذ لا نرى له مستندا سواه : انظر مقدمته لأصول السرخسى ٣/١ .

وكذلك أدعوا أن للامام محمد بن الحسن تأليف فى الأصول ــ ولكن الناظر فى تراجم هذين الامامين لا يجد شيئا يؤيد ما نسب اليهما من التأليف فى أصول الفقه .

ولعل من أدعوا هذا تمسكوا بظاهر لفظة ( الأصول ) فى كتب التراجم التى ترجمت لهذين الامامين ، وذكرت ما لهما من كتب ، فقد ذكر ابن النديم فى ترجمته لأبى يوسف : أن له من الكتب فى الأصول والأمالى : كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب الصيام ، كتاب الفرائض ، كتاب البيوع ، كتاب الحدود ، ... الخ (١) .

كما ذكر فى ترجمته لمحمد بن الحسن : أن له من الكتب فى الأصول: كتاب الصلاة ، كتاب الزكاة ، كتاب المناسك ، كتاب نوادر الصلاة ، كتاب النكاح ... الخ (٢) وظاهر أنه ليس المراد من كلمة الأصول هنا « أصول الفقه » وانما المراد منها معناها اللغوى : فالأصل ــ لغة : « ما ينبنى عليه غيره » .

وفى الحديث الشريف : ( بنى الاسلام على خمس ) فالصلاة والزكاة والصيام أصول ابتنى عليها الاسلام ، وكتب الامامين هذه فى الفقه وليست فى أصوله . فأين هذا مما نحن فيه ؟ !! .

***

وأما متأخرو الشيعة ــ فقد قال حسن الصدر فى كتابه « الشيعة وفنون الاسلام » فى الفصل الخامس الذى خصصه للكلام عن تقدم الشيعة فى علم أصول الفقه : فأعلم أن أول من فتح بابه ، وفتق مسائله هو باقر العلوم الامام أبو جعفر محمد بن على الباقر وبعده ابنه أبو عبد الله الصادق وقد أمليا فيه على جماعة من تلامذتهما قواعده ومسائله ، جمعوا من ذلك مسائل رتبها المتأخرون على ترتيب مباحثه : ككتاب « أصول

(١) راجع : الفهرست ٢٨٦ .
(٢) راجع : الفهرست ٢٨٧ .

آل الرسول الأصلية » وكتاب « الفصول المهمة فى أصول الأئمـــة » ، وكتاب « الأصول الأصلية » وكلها بروايات الثقات مسندة ، متصـــلة الاسناد الى أهل البيت ( ع ) •

واستطرد قائلا وأول من أفرد مباحثه بالتصنيف هشام بن الحكم (١) صنف كتاب « الألفاظ ومباحثها » (٢) •

كما نقل الدكتور يعقوب الباحسين نحو هذا عن كتاب « تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام » للمؤلف نفسه وفى هذا صرح المؤلف بتقدم هشام ابن الحكم على الامام الشافعى ـ رضى الله عنه ـ بالتصنيف فى الأصـــول (٣) •

كما نقل نحو ذلك عن السيد حسين مكى العاملى فى كتابه « عقيدة الشيعة فى الامام الصادق وسائر الأئمة » (٤) •

وقد ناقش الشيخ أبو زهرة هذه الدعوى فى أصوله (٥) • كمـــا ناقشها الباحسين كذلك (٦) •

والذى أود أن أضيفه الى مناقشة الشيخين أبى زهرة والباحسين لهذه الدعـــوى :

١ ـ ان كتاب « مباحث الألفـــاظ » لا يعرف منه غير عنوانـــه ، ولا يدرى الشيعة ولا سواهم ما اذا كان هذا الكتاب من كتب اللغة ، أو البلاغة ، أو التفسير ، أو هو فى مباحث الألفاظ من ناحية أصولية •

٢ ـ ان ما لا ينكره الصدر ولا سواه من علماء الشيعة أن كتاب « الكافى » للشيخ ( الصـــدوق ـ ثقة الاســـلام ـ الكلينى ) عندهم بمنزلة كتاب « صحيح البخارى » عند أهل السنة •

---

(١) المتوفى سنة ١٧٩ هـ .

(٢) راجع : الشيعة وفنون الاسلام ص ٥٦ .

(٣) راجع : اصول الفقه ٦٠٦ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ص ١٤ ـ ١٥ .

(٦) ص ٦٠٤ ـ ٦٠٩ .

وقد قال الكليني ــ وهو يتحدث عن أسانيد الشيعة ونقلها للأخبار والكتب والأحاديث ــ : « ان شيوخنا رووا عن الباقر وعن الصادق ، وكانت التقية شـديدة ، وكانت الشـيوخ تكتم الكتب ، فلما خلت الشيوخ ، وماتت وصلت كتب الشيوخ الينا ، فقال امام من الأئمـة : حدثوا بها فانها صادقة » (١) .

وذكر السيد حسين العاملي : ــ وهو يعلل لظهور أصول الفقـه والحاجة الداعية اليه ــ : ان الشيعة الامامية لم يكونوا فى حاجـة الى تأليف فى علم الأصول حينما كان الأئمة ــ عليهم السلام ــ موجودين وكان من الممكن الرجوع اليهم ، أو الى سفرائهم ووكلائهم لمعرفة أحكام الله ، ولكن بعد ــ غيبـة الامام المنتظر ــ التى ابتدأت فى حـدود سنة ٢٢٩ هـ . ظهرت الحاجة الى هذا العلم لغرض استنباط الأحكام (٢) .

وعلى هذا يكون من الثابت من أقوال أئمة الشيعة ــ أنفسهم ــ : أن الشيعة لم تظهر لأئمتهم كتب أصولية فى عصر الشافعى ، اما لأنهم كانوا يكتمون كل شيء تقيه كما هو تعليل الكلينى ، واما لأنهم لم يكونوا فى حاجة الى الكتابة فى هذا العلم أو سواه ، لأن حاجتهم اليها بدأت بعد سنة ٢٢٩ هـ ــ كما هو تعليل العاملى .

ومما قالوه هم لا غيرهم : يثبت أن ادعاء من أدعى منهم أن الامام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ مسبوق من قبل أى امام من أئمتهم دعوى لا دليل عليها ، ودوافعها غير خافية .

واذا كان المراد بهذه الدعوى المجردة عن الدليل ، ونحوها نسبة الفضل لهؤلاء الأئمة من آل بيت النبوة وتلامذتهم ، فان فى فضائلهم الثابتة المتواترة التى أطبقت عليها الأمة ما يغنيهم عن سواها .

---

(١) شرح الكافى ٢٨/١ والوشيعة فى نقـد عقائد الشـيعة لموسى جـاد الله ٤٧ .

(٢) راجع : عقيـدة الشيعة فى الامـام الصـادق وسائر الأئمـة ٢٩٢ – ٢٩٥ .

## المبحث الســادس

## منهج الشافعى فى تدوين عـلم الأصـول

كتب الشافعى رسالته مستهدفا ما سبقت اشارتنـا اليه ، وقـد ابتدأها بالبيان ، وقسمه الى بيان القرآن بالقرآن ، وبيان القرآن بالسنة، وبيانه بالاجتهاد واخرج الاستحسان عن مفهوم الاجتهاد ، وبين أن المراد منه القياس • ثم تحدث عما نزل من الكتاب عاما يراد به العام وعاما يراد به الخصوص ، وما أنزل من الكتاب عام الظاهر وهو يجمع العام والخصوص ، وما نزل عام الظاهر يراد به كله الخصـوص ، ثم تناول الصنف الذى يبين سياقه معناه ، وما نزل عاما دلت السنة خاصـة على أنه يراد به الخاص ، ثم بين أن الله تعالى فرض فى كتابه اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم — كما فرض الله طاعة رسـوله مقرونة بطاعة الله ومذكورة وحـدها •• ثم انتقل الى الكلام عن الناسخ وبين الناسـخ والمنسوخ الذى يدل الكتاب على بعضه والسنة على بعضه • ثم تكلم عن العلل فى الأحاديث ، ثم تكلم عن خبر الواحد والاحتجاج به •

وبعد ذلك تناول الاجماع ، ثم القياس وبين حجية كل منهما ، ثم تناول الاجتهاد واسـتدل على جوازه ، ثم تناول الاستحسان وأنكره وأوضح الفوارق بينه وبين القياس ، وما حمله على الاحتجاج بالقياس وانكار الاستحسان من الأدلة • وختم الرسالة بباب الاختـلاف — بين العلماء — وأوضح أن الاختـلاف يقع على وجهين : أحدهما محرم ، وقال : ولا أقول ذلك فى الآخر • ثم شرع فى تفصيل ذلك •

ولقد عرض كل هـذه المواضيع عرضا استدلاليا قائما على سرد الحجج الوافية ، ومناقشة المخالفين ، بشكل يدل على احاطته — رضى

الله عنه ـ احاطة تامة بفقه أهل الرأى وأهل الحديث ، واطلاع واسع على السنة ، ومعرفة كاملة لدقائق القرآن الكريم ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص وسواها ، فضلا عن معرفة بالعربية جعلته اماما فيها وحجة ، يضاف الى ذلك تحقيق وتدقيق لا يتأتيان لغير عالم قريش ذى البصيرة النافذة ، والملاحظة الدقيقة ، وكل ذلك بأسلوبه الفذ الذى لم تهجنه عجمه ، ولم تدخل عليه لكنة .

( للبحث بقية )

# الإسلام وأثره فى توجيه القائد الإدارى *

حامد الغار

---

( هذا مقال عن القائد الادارى المهتدى بفلسفة الاســلام وشرائعه يستعرض الكاتب فيه مقومات القيادة فى ثقافة الاسلام وهى جديرة بان توضع تحت نظر الباحثين الاداريين وبخاصة هؤلاء الذين يغمرهم الفكر الأوروبى والأمريكى بغزير الآراء عن القيادة فى العالم المعاصر ، وهى آراء ان حللت بعناية فى اطار منطقية الادارة فى ثقافة الاســلام لوجدنا أصولها فى العلم القرآنى الذى غاب عن كثير من علمــاء الاذارة غير الناطقين بلغة الضاد لعدم تفهمهم لآيات القرآن الكريم وســنة حبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام لغيابها عن مؤلفات المعرفة الادارية الناطقة بغير اللغة العربية ولعدم اعتناء أهل الادارة بتقصى فحواها من المستشرقين الذين كان فى امكانهم أن يهدوهم الى أصولها فى بساطة ويسر لطول ما صرفوا من الوقت فى فهم كنهها • ) التحرير •

جاء الاســلام دينا ودولة لتنظيم شئون الدنيا والآخرة من لدن حكيم خبير ، وكفل الله الخلود لهذا الاسلام ممثلا فى كتابه تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فبقى فوق متناول أيدى التحريف والتغيير فى شؤون الفرد والاسرة ، ومواقع العمل المختلفة ، وعلى الصعيد العالمى •

واذا كنا نتحدث عن الاسلام وأثره فى توجيه القائد الادارى ، فاننا بهذا نتناول زاوية واحدة من زوايا الاسلام البناءة الهادفة .

### اهمية الامن فى الدنيا والآخرة

لقد طلب خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام من ربه أن يقبل دعاءه الذى صدره يطلب الأمن حين قال : « رب أجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام » وقد طلب الأمن العام لينطلق الناس كل الى واجبه ونفسه مستقرة متمتعة بالاطمئنان على نفسه وأولاده وبيته وماله ، وما يسلكه من طريق وما يرجوه من مشروع الآمال .. ولن يتحقق ذلك الا بالتزام الفرد والجماعة بعقيدة الايمان وصالح الاعمال وعبادة الله الخالصة : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » .

ان اعتناق الايمان وتوفير مقتضياته من جميع الاطراف هو المنبع الوحيد للأمن فى الدنيا والآخرة ، فهو فى الدنيا أمان من مؤاخذة العدل والقائمين على حمايته ، وهو فى الآخرة أمان من عذاب النار ، قال تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

وبمقدار ما يتركه الخوف والفزع من أثر فى الانفس وفى المجتمعات ، وبمقدار ما يولده الحزن من سيىء الآثار .. تكون نعمة الأمن فبينما يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه يوم القيامة ، للسبب الذى قال عنه « لكل أمرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » .. يكون هناك الذين سبقت لهم الحسنى من الله فى مأمن من هذا كله : « لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون » .

### صفات لابد منها فى حماة الامن

والقائد الادارى فى كل موقع لابد أن يتمتع بصفات لا يستغنى عنها ، من أهمها أن يكون أمينا على ما اسند اليه من واجبات ، وهذه

مهمة من يرشحه ويختاره وأساس ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من استعمل رجلا من عصابة ــ أى اختار رجلا لعمل عام أو شارك فى اختياره ــ وفيهم من أرضى بالله منه .. فقد خان الله رسوله والمؤمنين » .

وان يكون قويا .. قوى الايمان .. قوى الفكر .. قوى الساعد . وأساس ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه حينما جاءه فقال : يا رسول الله الا تستعملنى ؟ ــ أى تولينى عملا عاما ــ قال : فضرب بيده على منكبى .. ثم قال .. « يا أبا ذر انك ضعيف وانها لأمانة وانها يوم القيامة خزى وندامـــة .. الا من أخـــذ بحقها وأدى الذى عليه فيهـــا » .

وأســـاس اشتراط القوة والأمانـــة على نحو ما ترى فى قول الله تعالى : « ان خير من استأجرت القوى الأمين » .

وان يكون يقظا يرعى مسئوليته ويتفقد أحوالها ، ويكافىء المجتهد منها ويحاسب المفرط حسابا عادلا ، يتحلى باللين فى غير ضعف ، وبالشدة فى غير عنف ، ليرقى بذلك روح العمل ، ولقد صور الله ذلك بقوله عن نبيه سليمان عليه السلام : « وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟ لأعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين » .

كما نجد ذلك فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : « الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالامام الذى على الناس راع وهـــو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مكان سيده وهو مسئول عنه ، الا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

امثـــلة حيـــة :

ومن شروط القائد الادارى ان يكون حافظا لما هو مطلوب منه ، عالما بأمثل الأساليب وأسماها ليكون هدفه واضحا وطريقه محـــددا ،

وحتى لا يزايغ به الهوى فيوقعه فيما يضره ويضر المجتمع ، وأساس ذلك قول يوسف عليه السلام وقد رأى نفسه يوما رجل الساعة الذى وضعته المقادير أمام مسئولية تعين عليـــه أن ينهض بها : « اجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم » .

ومن شروط القائد الادارى ان يحذر كل الحذر أن يكون أداة لسيد باطل مهما كانت شفاعة الشفعاء ، ومهما قويت الاعتبارات التى يخالفها فى سبيل الحق ، وبذلك ينهض بأقدس رسالة ، ويصون أكرم الأمانات ، قال تعالى : « وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم .. وان كثيرا من الناس لفاسقون » .

وقال رسول الله لاسامة بن زيد حينما جاءه ليشفع فى المرأة التى سرقت : « أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم قام وخطب فى الناس قائلا : انما أهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

وقد استرشد بهذا الخليفة الأول « أبو بكر الصديق » رضى الله عنه حين خطب يوم ان ولى الخلافة حيث قال : أيها الناس .. انى قد وليت عليكم ولست بخيركم .. ولكنه نزل القرآن وسن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلمنا فعلمنا وأعلمنا ، ان اكيس الكيس الهدى والتقى ، وان أعجز العجز الفجور ، وان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وان اضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق .

انما انا متبع ولست بمبتدع ، فان أحسنت فاعينونى وان زغت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله .. فان عصيت .. فلا طاعة لى عليكم » .

هذه هى روح الاسلام تتمثل فى التواضع الذى يزدان به السلطان ، وفى الارتفاع عن الاهواء الى تحكيم القرآن الكريم والسنة النبوية ، وفى

التزام الهدى والتقوى ، وفى التحذير من الفجور ، وفى احترام الحق وان ضعف عن ادراكه صاحبه ، وفى احتقار الظلم مهما يكن بطش الظالمين. انه رضى الله عنه لا يحيل الناس الى المجهول ، ولكنه يحيلهم الى ضوابط لا تلتوى موازينها ، اذ يعلن انه متبع وليس بمبتدع يمضى به الريح الى ما يرى هواه على حساب الدين ، ويطلب من الرأى العام ان يحرص على تنفيذه للحق فيعينه ان اصاب ، ويدعوه الى تصحيح الخطأ ان هو أخطأ .

ابدأ بنفسك :

ومن شروط القائد الادارى الناجح أن يطبق على نفسه ما يدعو الناس اليه ، وان يقبل النصيحة فى ذلك ، وان يقيم الدليل دائما أبدا على طهره ونقائه من الشبهات ، ونزاهة يده من حقوق الآخرين . ولقد أكد هذا المبدأ السامى أمير المؤمنين « عمر » حين خطب يوما وهو يرتدى ثوبين فقال : « أيها الناس اسمعوا وأطيعوا .. فوقف « سلمان الفارسى » وقال : لا سمع لك علينا ولا طاعة .. فقال عمر .. ولم ؟ قال سلمان .. لقد وزعت الغنائم فأخذت ثوبين بعد أن أعطيت كل واحد منا ثوبا واحدا. قال عمر : « لا تعجل ونادى يا عبد الله يا ابن عمر ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين .. قال : ناشدتك الله .. الثوب الثانى الذى ائتزرت لمن ؟ .. قال : لى وقد وهبته لك .. قال سلمان : الآن نسمع ونطيع .

الدين النصيحة :

أما قبول النصيحة من الناصحين فشاهده قول « عمر » الذى أعزه الله بالاسلام وأعز الاسلام به وقد خطب فى الناس يوما : « ان رأيتم فى أعوجاجا فقومونى » . فقال له رجل من عامة المسلمين : والله لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناه بسيوفنا ! فقال أحد الحاضرين : أبهذا الخطاب تخاطب أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر « دعه فليقلها لا خير فيكم ان لم تقولوها ولا خير فينا ان لم نسمعها » .

## تحري الحق :

ومن الأمور الهامة التى لابد من توافرها فى القائد الادارى ان يدرب على العدل فى القضاء وفى تحرى الحقائق واستخلاصها .

وشاهد التدريب على العدل ما فعله الله تعالى من تمرين « داود » على ألا يقضى الا اذا سمع من طرفى الخصومة مهما تكن حالة الطرف الأسبق الى رفع شكواه . فقد كان داود يجلس للقضاء يوما ويعتكف للعبادة والصيام فى المحراب يوما فجاء خصمان يوما وهو فى معتكفه ولم يدخلا عليه من الباب . وانما تسللا السور وفاجآه وهو فى خلوته ففزع منهما خشية أن يكونا قد أرادا به سوءا ، فطمأناه الى حسن نيتهما وعرض أحدهما عليه القضية فحكم له على الفور دون ان يستمع الى رأى الخصم الثانى . ثم أدرك داود عليه السلام خطأه فى التسرع فى الحكم فاستغفر ربه فتاب عليه . وفى هذا الموقف ألقى الله تعالى عليه درسا فى وجوب رعاية الحق والتنزه عن الأهواء الشخصية وحذره من الضلال عن سبيل الحق : « وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب ؟ اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا : لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط .. ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة ، فقال : أكفلنيها ( أى اعطنيها ليتم عدد غنمى مائة ) وعزنى فى الخطاب ( أى غلبنى على أمرى فى موقف الخصومة ) قال : لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه . وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب . فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب . يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .

ولابد ان نلاحظ هذه الروعة فى الربط بين ما لابد منه لصلاح أمر الدنيا وهو العدل ، وضرورة تجنب الانحراف والتذكير بيوم الحساب

من جانب آخر • وذلك لنعلم ان التوجيه الى رعاية الآخرة مرتبط أوثق الارتباط بمصالح المجتمعات وحقوق الأفراد •

أما وجوب تحرى الحقائق والتحفظ الشديد فى البحث عنها واجهاد جميع الطاقات بغية العثور على ضمانات لسلامة التصرف في العاجل والآجل ، وتجنبا لتوقيع العقوبات خطأ على الابرياء •• فذلك آمر استفاضت أدلته وتكاثرت شواهده الى الدرجة التى لا يسعنا أمامها غير الاكتفاء ببعض ما يتسع له المقام •

من ذلك ان الله تعالى ينهى عن الظن الذى لا تسانده قرائن ، ولا يبعثه غير الهوى الشخصي فيقول : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن أثم » •

وينهى عن ان يتبع الانسان ما لا يعلمه علم اليقين بواسطة السمع والبصر والفكر الثاقب فيقول تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » •

ويأمر بالتثبت أمام النبأ الفاسق والتبين أمام الشكاوى الكيدية فيقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » •

ويحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلطان المال اذا خاض معارك الظلم ضد الابرياء فيقول : «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش» • الراشي دافع الرشوة ، والمرتشي آخذها والرائش هو واسطة اتمام آثامها •

ومما يجب أن يتحلى به القائد الادارى ان تكون علاقاته قائمة على المودة والمحبة وتبنى مشكلات الآخرين والعمل على حلها ، كما كان يفعل الرسول الكريم « محمد » صلى الله وسلم ، والصحابة رضوان الله تعالى عليهم •

ولا نعرف جوا يترعرع فيه الوداد كلين الجانب وخفض الجناح وجميل التواضع • وهل هناك مقام يسامى مقام رسول الله عليه الصلاة

والسلام وهو الذى قال الله عز وجل له : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين » • وقال : « واخفض جناحك للمؤمنين » • وكان صلى الله عليه وسلم يتواضع للناس وهم أتباع ، ويخفض لهم جناحه وهو مطاع •• ومن تواضع فقد تأسى بالنبى وتحلى بأعظم فضيلة تجتذب القلوب •

وهل هناك ما ينمى علاقات المودة أعظم من معاونة ذوى الحاجات المشروعة ، ومعاونة أرباب الآمال الطيبة فى قضاء حوائجهم وتفريج كروبهم وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مشى فى حاجة أخيه قضيت أو لم تقض كان ذلك خيرا له من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرين » •

ومن أهم ما يصلح القائد الادارى ان يعلم انه ممتحن بما أتيح له من سلطان وأن عليه أن يحمى سلطانه من أن يكون معبرا الى غرض دنيوى باطل فان الله يبتلى العباد بالعطاء كما يبتليهم بالحرمان • وهذا «سليمان» عليه السلام يعلن هذا المبدأ حين يرى عرش ملكة سبأ وقد جاءه فى أقل من لمح البصر من اليمن الى الشام : « فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم » •

والذين ينجحون فى مضمار الاختبار بالعطاء هم الذين تكون سيرتهم مصداقا لقول ربهم : « الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور » •

اختيار البطانة :

ومن القيم الاسلامية للقائد الادارى ان يحسن اختيار بطانته ، وأن ينتقى أصحابه من ذوى الورع والتقى • ليعينوه على ما يريد من خير ، ولينبهوه الى أنواع البر ، ولينصحوه ان اتجه الى الشر ، يقول

النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان ، بطانة تأمره بالخير وتحضـه عليه ، وبطانة تأمرة بالسوء وتحضه عليه ، والمعصوم من عصمه الله » .

**الحكم بحكم الله :**

ومن القيم الاسـلامية للقائد الادارى ـ أيضـا ـ أن يرتبط فى اصدار أحكامه وتوجيهاته بالضوابط التى لا تلتوى أبدا ولا يرقى اليها باطل ، ولا يجوز عليها خطأ بحال من الأحوال ، الا وهى أحكام الله عز وجل وتشريعاته : فانها حق لايخالطه باطـل ، وعدل لا يلابسـه ظلم ، وصواب لا يعتريه خطأ والله تعالى يقول لرسـوله : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما . ( أى لاتكن مدافعا ولا محاميا ولا مجادلا لصالح الخائنين ) واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ، ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ، اذ يبيتون ما لايرضى من القول ، وكان الله بما يعملون محيطا ، هاأنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا ؟؟ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ، ومن يكسب اثمافانما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليما حكيما ، ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا » .

وهذه الآيات ـ كما ترى ـ تدعو الى استقاء الحق من موازينه فى كتاب الله ، وتنهى عن مساندة الخائنين وتحذر من تلفيق التهم للابرياء ، وتمزج ذلك كله بمشاعر الايمان . اذ تدعو الى الاستقامة وتذكر بيوم العرض على من لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

ومن القيم الاسلامية البعيدة الأثر فى توجيه القائد الادارى ان يتصف ـ اذا تورط فى خطأ أو زالت قدمه عن طريق الهدى والرشاد ـ بالصفات الحميدة ، ولن يزيده هذا الا رفعة وسموا .. فهذا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، يتحامل على نفسه فى مرضه الأخير ، ويستعين ببعض أصحابه حتى يذهب الى المسجد ليخطب فى الناس حتى يستريح ضميره ويلقى مولاه وهو عنه راض . فقال :

« أيها الناس .. من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه « أى فليقتص منه » ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه . ومن كنت أخذت منه مالا فهذا مالى فليستقد منه ، ولا يخشى الشحناء « أى لا يخشى ان يترك ذلك فى نفسى أثرا تخشى عواقبه » فانها « أى الشحناء » ليست من شأنى ولا من طبعى . الا وان أحبكم الى من كان له حق فأخذه منى وأنا طيب النفس . ان فضيحة الدنيا أهون على من فضيحة الآخرة » .

وبهذا الأسلوب يشيع فى الرعية الاتجاه الى الخير وهم آمنون من البطش والجور ، مطمئنون الى أنهم يعيشون فى ظل سلطة ترعى البناء وتنمو فى ظلها النهضات والحريات .

ومن القيم الاسلامية فى هذا السبيل الا يطالب ــ القائد الادارى ــ أحدا بطاعته على حساب الحق ، وقد جعل الله طاعته واجبة بشرط ألا يتعارض ذلك مع طاعة الله ورسوله ، وكل نزاع بينه وبين الذين يقودهم ويتولى أمورهم يجب أن يعرض دائما على كتاب الله وسنة رسوله ، ويجب أن يكون ذلك موقفه من نفسه حتى لا يأتى هواه بوجه وشريعة الله بوجه آخر . قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير ( أى فى الحال ) وأحسن تأويلا » ( أى فى المآل ) .

فى أطار هذه المعانى يأمر الاسلام الرعية بطاعة راعيها فيقول للنبى صلى الله عليه وسلم « السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » . ولا يتأثر

حق الراعي في طاعة الرعية له ــ ما دام هو ذاته مطيعا لله ورسوله ــ بلون البشرة أو موازين المجتمع الذى يستمد مفاهيمــه من خــارج الدائرة الشرعية • ولقد ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسامة بن زيد » ليجمع أسباب الامارة له ، ومشى فى ركابه ( أبو بكر ) استجابة لتوجيهات رسول الله القائل : « اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى كان رأسه زبيبة » •

ولقد بعث الله « طالوت » ملكا لبنى اسرائيل فى وقت من الأوقات الضارية فى أعماق التاريخ ، فنازعه اليهود فى حقه فى الملك بحجة أنه فقير• فبرهنوا بذلك على انهم لا يفهمون عوامل القيادة وأســباب الزعامة ، ولا يلفت أبصارهم ويجذب انتباههم سوى سلطان المال ، وذلك دابهم فى جميع العصور • قال تعالى : « وقال لهم نبيهم ، ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ، قالوا : أنى يكون له الملك علينا • ونحن أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ، قال : ان الله أصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم ، والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم » •

فأين هؤلاء من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أذعنوا وقالوا سمعنا وأطعنــا حين كان على رأس الجيش « أسامة بن زيد » وهو دون العشرين وتحت أمرته « عمر بن الخطاب » ، و « أبو عبيدة عامر بن الجراح » أمين الأمة ، و « أبو بكر » يمشى مودعا « أسامة » وهو راكب فيقول أسامة : يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن •• فيقول أبو بكر : والله لا نزلت ولا أركب وما على أن أغبر قدمى فى ســبيل الله ساعة !!

**نزاهــة القــائد :**

ومن أهم ما يقال فى توجيه القيم الاسلامية للقائد الادارى أن يحذر الهدية التى فيها شبهة الرشوة ، فقد رفضها « سليمان » عليه السلام من ملكة سبأ التى أوتيت من كل شىء ، تريد بها أن تصرف عنها دعــوة « سليمان » ظنا منها أنه ليس بنبى وانه قد يكون من طلاب الدنيا :

« فلما جاء سليمان قال أتمدونني بمـال فما آتاني الله خير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون • ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون » •

واذا كان « سليمان » رفض الهدية وبيده من الدنيا كل شيء ، فان مما يذكر في هذا المقام ان خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه رفض ما هو أعظم حفاظا على دينه ، مع أنه كان حينئذ لا يملك من الدنيـا شيئا •• وذلك يوم قال : « والله يا عمي لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يسـاري على أن أترك هـذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » •

**الناس على دين ملوكهم :**

ان الناس على دين ملوكهم • فمن التزم الحق والعدل وراقب الله صلحت له رعيته وشاعت فيها الفضائل والقيم الصالحة والمثل العليا • وانطلقت في ركب البشرية متبوئة مكان الطليعة والصدارة الى عز الدنيا ونعيم الآخـرة •

وأما جزاء القائد الذي يرعى هـذه المعاني بصدق واخـلاص ، وعمق وفهم وايمان ، فحسبنا ان نذكر انه في ظل عرش الرحمن جل جلاله يوم الفزع الأكبر كما أخبر الرسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك •

والاسلام بشهادة الواقع التاريخي يبني الحياة على أقوى الأسس وأكرم الأوضاع ، وهو الدين الذي عز الله به اسلافنا •

وان مما يزيدنا ايمانا ان المسلم اذا نظر في المواثيق الدولية وفي القوانين لتي انتجتها عقول العباقرة ، لا يجد فيها من خير الا قطرة من بحر الاسلام وقبسا من نوره ، ولا يجد الاسلام الا منزها عن قصورها وشرورهـا •

# النظام الاقتصادى فى الإسلام [1]

## بحث فى اهدافه وطبيعته

محمد عمر شبرا

---

**توطئة :**

( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ) •

آية ختم بها وحى السماء الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حجة الوداع وقد دنا يومه الذى يلقى فيه ربه •

وحولها يجمع المسلمون على أنها نزلت لتبين للناس أن الاسلام منهج كامل فيه المبادىء الأساسية التى تكفل تنظيم الحياة فى كافة نواحيها •

بيد أن الاجماع أثار تساؤلات حول ماهية الاسلام حتى قبل اذا كان يعتقد به هذا الاعتقاد ، فهل فيه نظام اقتصادى يتميز به عن غيره ؟ واذا كان الأمر كذلك ، فبم يختلف عن الرأسمالية والاشتراكية ، وهما النظامان الاقتصاديان السائدان فى الوقت الحاضر ؟

نتطلق من هذين التساؤلين لنستعرض بعض الملامح البارزة للنظام الاسلامى ، مع التنويه الى النقاط الرئيسية التى تميزه عن ذينك

النظامين ، معتمدين بصورة رئيسية على القرآن الكريم والسنة النبويـة الشريفة بصفتهما مصـدر العقيدة الاسـلامية ، ومشيرين الى الفقـه عند الاقتضـاء •

ويجدر بنا فى هـذا المقام أن نؤكد حقيقة هى أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لا يفرضان التفاصيل كلها ، وانما يعالجان بالدرجة الأولى تلك المبادىء الأساسية التى يمكن أن يستنبط منها من التفاصيل ما يلائم كل بيئة حسب زمانها ومكانها • ولهذا السبب فان أى بحث فى هذا النظام لا يتم ــ وفق الدراسات الحديثـة ــ الا بالرجوع الى ما جرى استنباطه منهما من تفسيرات واستنتاجات • والدين نفسه لايعارض هذا العمل اذا كانت الغاية منه تحرى الدقـة والامتثال للنصـوص الصريحة وعدم تجاوز جوهر الرسالة •

هذا ويمكننا أن نعتبر المبادىء التى جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لتنظيم الحياة فى جانبها الاقتصادى ذات شقين :

أولهما : يتعلق بالأهداف التى وضعها الاسلام أمام المسلمين وطبيعة النظام التى تعطى الأهداف شكلها العملى •

ثانيهما : يخص الاجراءات التى تتحقق بها الأهداف ، ونعنى بها الاطار الاجتماعى السياسى ، كالزكاة ، وتشريع الارث ، وتحريم الربا ، وغيرهـا •

ومع ان البحث يتركز على طبيعة النظام وأهدافه الا أنه لا يخلو من التلميح الى الاجراءات لألقاء الضوء على مكانتها وأهميتها داخل النظـام كله •

وقد رأينا أن ندرس طبيعة النظام بعد أن نوفى أهدافه حقها من البحث ، لعلمنا أنه ما من نظام اقتصادى الا ويكون لأهدافه آكبر الأثر على تحديد طبيعته ، الأمر الذى يجعـل الخوض فى الأهـداف شرطا مسبقا لفهم الطبيعة •

الاسلام ليس دين زهد ونسك ( ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ) [1] وليس من مرامية حرمان المسلمين من طيبات ما أحل لهم : ( قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ) [2] .

وله فى الحياة نظرة ايجابية : فهو لا يرى الانسان خطاء منذ خلق ، ملعونا أبدا لخطيئته الأولى ، بل يراه خليفة الخالق فى الأرض ، وما عليها كائن من أجله : ( واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة )[3] .

نلمس من هذه الآيات ، ومن كثير غيرها ، أن الزهد فى نعم الله ليس فضيلة ، وانما الفضيلة هى فى تمتع الانسان بها فى حدود القيم التى رسمها الدين لأثراء سعادته . وهذه القيم تتخلل نواحى النشاط الانسانى بأسرها ، ذلك ان الاسلام لا يرى أن فى الحياة قطاعا يمكن اعتباره قطاعا دنيويا بحتا . فالعمل فى كل مجال من مجالات النشاط الانسانى ، بما فيها النشاط الاقتصادى ، هو عمل روحى شريطة أن ينسجم مع قيم الاسلام وغاياته التى تسعى فى جوهرها الى تحديد نظامه الاقتصادى ، والتى يعتبر تفهمها مطلبا أساسيا للقدرة على رؤية هذا النظام رؤية واضحة .

**والأهداف هى :**

(أ) الرخاء الاقتصادى ضمن آداب الاسلام .

(ب) الأخوة والعدالة الشاملة .

(جـ) التوزيع المقسط للدخول .

(د) حرية الفرد فى حدود الرفاهية الاجتماعية .

---

(١) سورة الحديد ــ الآية ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف ــ الآية ٣٢ .

(٣) سورة البقرة ــ الآية ٣٠ .

وذكر هذه الأهداف لا يعنى حصرها ، فالمقصود بها أن نضع بين أيدينا مادة نستند اليها فى بحث النظام والتوسع فيه ، ومن ثم التركيز على سماته الخاصة التى تجعل منه نظاما متميزا عن الرأسمالية والاشتراكية معا .

**( أ ) الرخاء الاقتصادى ضمن آداب الاسلام :**

ـ ... ( كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين ) (1) .

ـ ( يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان ) (2) .

ـ ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون ) (3) .

تعرض هذه الآيات ، كما يعرض الكثير غيرها ، البنود الرئيسية للنظام الاسلامى وترغب المسلمين فى الاستمتاع بما أفاء الله عليهم من نعم ، دون أن ترسم حدودا لما يجب ان يكون عليه الازدهار فى المجتمع الاقتصادى المسلم .

ففى آية نرى السعى مقرونا بالعمل الصالح .

ـ ( فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ) (4) .

وفى حديث شريف : « اذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له أو ينكر له » (5) وللمسلم صدقة فيما يأكل الانسان أو الطير

---

(1) سورة البقرة ـ الآية ٥٩ .

(2) سورة البقرة ـ الآية ١٦٧ .

(3) سورة المائدة ـ الآيتان ٨٧ و ٨٨ .

(4) سورة الجمعة ـ الآية ٩ .

(5) رواه ابن ماجه ٧٣٧/١ وأحمد فى مسنده . والحديث ضعيف ( فيض القدير ٣٧١/١ ) .

أو البهيمة من زرعته • روى عنه ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : ــ ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو انسان أو بهيمة الا كان له به صدقة (1) •

ــ من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره لقى الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر(2) •

ولا يقتصر الأمر على ذلك فحسب ، بل المسلمون مطالبون بالسيطرة على الموارد الطبيعية وتسخيرها لما فيه نفعهم ، مصداق قوله تعالى :

ــ ( ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة (3) •

وقوله عليه الصلاة والسلام : ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء(4) •

ومنهما نلحظ أن الوصول الى مستوى عال من الازدهار الاقتصادى لابد أن يكون مشمولا فى الأهداف الاقتصادية للمجتمع المسلم لما فيه من دلالة على وجوب المثابرة على بذل الجهود للانتفاع بما أوجد الله سبحانه لخدمة الانسان وتحسين معاشه تحقيقا للغاية التى خلقه من أجلها •

وفى مقابل رفع المستوى المعاشى يقع النهى عن المسألة • ففى الحديث :

ــ ولا تسألوا الناس شيئا (5) •

ــ اليد العليا خير من اليد السفلى (6) •

ــ ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده (7) •

---

(1) رواه البخارى ١٢٨/٣ ومسلم والترمزى •

(2) المشكاة ــ للترمزى ٦٥٨/٢ •

(3) سورة لقمان ــ الآية ٢٠ •

(4) رواه البخارى ١٥٨/٧ وابن ماجه ١١٣٨/٢ •

(5) سنن أبى داود ٣٨٢/١ •

(6) رواه البخارى ١٣٣/٢ والنسائى ٤٥/٥ •

(7) رواه ابن ماجه ٧٢٣/٢ والنسائى ٢١٢/٧ •

ومنها يتضح ان أحد الأهداف الاقتصـادية للمجتمع المسلم هو ايجاد البيئة الاقتصادية التى تؤمن العمل لكل راغب فيه يكفل له رزقا يتناسب وقدرته . فاذا قصر المجتمع فى هذا الهدف ، فانه سـوف يقصر أيضا فى أهدافه الروحية حيث سيعانى العاطلون عن العمل شظف العيش ما لم يركنوا الى المسألة أو الانحراف الخلقى ، وهى أمور ينفر الدين منها أى نفور ولا سيما المسألة والانحراف .

وحرص الاسلام على الرخاء الاقتصادى نابع من طبيعة رسالته ، حيث أنزل ليكون رحمة للعالمين ، وليجعل الحياة أكثر ثراء وجدارة بان تعاش . وفى هذا نقرأ خطابه سبحانه الى رسوله الكريم : وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (1) ، وخطابه الى الانسان مبينا له ماهية الاسـلام وما يريده لهم :

- « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظـة من ربكم وشـفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين (2) .

- « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (3) .

- « يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » (4) .

- « ما يريـد الله ليجعـل عليـكم من حـرج ولكن يريـد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (5) .

واستنادا الى هذه الآيات قرر العلماء أن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق (6) . وفى هذا قال الامام الغزالى : « ومقصود الشرع من الخلق خمسة وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم ، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة وكل

---

(1) سورة الأنبياء - الآية ١٠٧ .
(2) سورة يونس - الآية ٥٧ .
(3) سورة البقرة - الآية ١٥٨ .
(4) سورة النساء - الآية ٢٨ .
(5) سورة المائدة - الآية ٦ .
(6) أصول الفقه - محمد ابو زهرة ص ٣٥٥ .

ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفع مصلحة (1) وقال ابن القيم : ان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد ، وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى ضدها ، وعن المصلحة الى المفسدة ، وعن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة (2) .

وفى السعى لحياة أكثر رخاء ورغدا يستطيع الانسان غير المسلم ان يذهب الى أبعد مدى ليتخذ الرفاه المادى غاية بذاته بتخليه عن القيم الروحية ، وبالكسب غير المشروع ، وباستغلال الآخرين وظلمهم . الا أن رغبة الانسان شىء وأمر الله شىء آخر . فالاسلام ينشد « تزكية » الحياة ، ولذلك يحذر القرآن المسلمين من الاقدام على هذا العمل بقوله :

ـ « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (3) .

وقد فهم العلماء ان المراد من « واذكروا الله » ليس قضاء الوقت فى الصلاة والتسبيح وانما انتهاج حياة خلقية مسئولة متمسكة بآداب الدين (4) يكسب الانسان رزقه بالحلال ويضع نصب عينيه ان المال ما هو الا استخلاف من الخالق سيحاسب عليه :

ـ « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم أجر كبير » (5) .

وقال عليه السلام : أيها الناس اتقوا الله وأجملوا فى الطلب فان

---

(1) المستصفى ، الغزالى ١/١٣٩ ـ ١٤٠ .

(2) اعلام الموقعين ـ ابن القيم ٣/١٤ .

(3) سورة الجمعة ـ الآية ١٠ .

(4) يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية ما معناه ان على المرء فى البيع والشراء والأخذ والعطاء ان يكثر من ذكر الله لئلا تشغله الدنيا عن الذى ينفعه فى الآخرة ( ٤/٣٦٧ ) .

(5) سورة الحديد ـ الآية ٧ .

نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وان ابطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم (١) .

ويتضح لنا فى هذا السياق تلك الآيات والأحاديث التى تبين ضآلة شأن الحياة الدنيا لا بمعناها المطلق وانما بمقارنتها بالقيم الروحية:

ـ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا (٢).

ـ أعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور . سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٣) .

ـ وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون (٤) .

وفى الحديث : ـ كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور (٥) .

ـ أزهد فى الدنيا يحبك الله ، وأزهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس (٦) .

ـ ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع (٧) .

---

(١) رواه ابن ماجه ٧٢٥/٢ .

(٢) سورة النساء ـ الآية ٧٧ .

(٣) سورة الحديد ـ الآيتان ٢٠ و ٢١ .

(٤) سورة العنكبوت ـ الآية ٦٤ .

(٥) رواه أحمد والترمذى وابن ماجه ١٣٧٨/٢ واخرج البخارى صدر الحديث فقط .

(٦) رواه ابن ماجه والبيهقى والحاكم وصححه .

(٧) أخرجه مسلم ٦٤٨/٢ .

ومع ذلك فان الفضيلة ليست فى التعفف عن هذا المتاع اذا لم تهدر فيه تلك القيم • فقال — صلى الله عليه وسلم — ( لا بأس بالغنى لمن اتقى (١) • اما اذا تعارض المتاع مع القيم فعلى المرء ان يقنع بالحلال ولو قل • والله سبحانه وتعالى يقول :

— قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون (٢) •

ومن لم تفتنه الدنيا لن تنازعه نفسه بين الاستمتاع بالخبيث الكثير وبين القناعة بالطيب القليل مهتديا بقوله عليه الصلاة والسلام :

حب الدنيا رأس كل خطيئة (٣) •

— من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى (٤) •

ومثل هذه الآيات والأحاديث يفسر لنا الأسلوب الذى يأخذ به الاسلام فى ايجاد تناسق بين المادة والاخلاق ، وفى حث المسلمين على ابتغاء السعادة المادية مع الاستقامة فى الطلب ، وفى صبغ العمل بصبغة روحية :

— وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك • ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين (٥) •

---

(١) اخرجه الحاكم وصححه واقره الذهبى ورواه البخارى فى الأدب المفرد ص ٢١٣ •

(٢) سورة المائدة — الآية ١٠٠ •

(٣) رواه البيهقى مرسلا ، كما فى المشكاة ٢/٦٥٩ •

(٤) اخرجه الحاكم واحمد وقال البيهقى : رجال احمد ثقات ورواه البيهقى فى شعب الايمان كما فى المشكاة ٢/٦٥٢ •

(٥) سورة القصص — الآية ٧٧ •

ويقول عليه السلام :

ـ أعظم الناس هما المؤمن يهتم بأمر دنياه وأمر آخرته (١) •

ـ ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرتـه لدنياه حتى يصيب منهما جميعا فان الدنيـا بلاغ الى الآخرة ولا تكونوا كلا على النـاس (٢) •

وهذا التشديد الآنى على الحياة فى ناحيتيها المادية والروحية هو صفة فريدة يتصف بها النظام الاقتصادي فى الاسلام • فالمادة والروح متلازمتان الى الحد الذى يمكن اعتبارهما ينبوعا مشتركا لقوة واحـدة يسعد الانسان بهما سعادة حقة ، وبدونهما مجتمعين لا تكمل سعادة الجنس البشرى • فاذا ابتغى الانسان سعادة مادية وقرنها بتكيفات خلقية وثقافية معوجة فان بغيته ستؤدى به الى امراض نفسية مختلفة كالاحباط والجريمة والخمر وعلاقات اجتماعية غير سوية وقتل نفس • وكل أولئك يدل على أن من يرزح تحت ثقلها انما يفتقر الى السعادة فى قرارة نفسه • واذا انصرف كلية الى الجانب الروحى فان غالبية الناس سترى انصرافه هذا شيئا ليس بواقعى ولا عملى ، وسيفضى به الى ازدواج داخل النفس وصراع بين القيم المادية والقيم الروحية قد يهدد بتدمير كل ما فى المجتمع البشرى من قيم •

والمزج بين الروح والمادة هو ما تفتقر اليه الرأسمالية والإشتراكية بسبب نزعتهما العلمانية من ناحية الروح والحيادية من ناحية الأخـلاق • صحيح انه ليس بوسع أحد ان ينكر ما وصل اليه النظام الرأسـمالى فى ميدان فعالية معدات الانتاج ومستويات المعيشة ، وما حققه النظـام الاشتراكى فى معدلات النمو الاقتصادى ، لكن ليس باستطاعة أحد أن يدافع عن اغفال كلا النظامين ما لشخص الانسان من حاجات روحية •

---

(١) رواه ابن ماجه ٧٢٥/٢ .

(٢) اخرجه ابن عساكر فى تاريخه .

( ب ) الاخوة والعدالة الشاملة :

ــ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير (١) .

ــ ان ربكم واحد وأباكم واحد فلا فضل لعربى على أعجمى ولا أحمر على أسود الا بالتقوى (٢) .

ــ ان الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ان أكرمكم عند الله أتقاكم (٣) .

يهدف الاسلام الى اقامة نظام اجتماعى تسوده روابط الأخوة والود كأفراد الأسرة الواحدة . أخوة لا تحصرها حدود جغرافية ، ولا تحتكرها عائلة أو قبيلة أو عرق . وفى هذا يوجه الله سبحانه الخطاب الى نبيه الكريم ليعلن رسالته للناس كافة :

ــ قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا (٤) .

وثنى النبى على ذلك فى حديثه :

ــ بعثت الى الأحمر والأسود (٥) .

والنتيجة الطبيعية لهذه الأخوة يظهرها التعاون المتبادل والمساعدة المتبادلة لا سيما بين المسلمين الذين توحدهم العقيدة بالاضافة الى الأصل المشترك كغيرهم من الناس . وقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم : اخوان فى الدين (٦) ، رحماء بينهم (٧) ، اخوانكم فى الدين (٨) ، انما المؤمنون اخوة (٩) .

---

(١) سورة الحجرات ــ الآية ١٣ .

(٢) الطبرانى فى الأوسط كما فى مجمع الزوائد ٨/٨٤ وفى رواية البزار : ان أباكم واحد وان دينكم واحد أبوكم آدم وآدم من تراب .

(٣) ابن كثير ــ فى تفسيره للآية ١٣ من سورة الحجرات ٤/٣١٨ .

(٤) سورة الاعراف ــ الآية ١٥٨ .

(٥) رواه الشيخان والنسائى ( الموافقات ٢/٢٤٤ ) .

(٦) سورة التوبة ــ الآية ١١ .

(٧) سورة الفتح ــ الآية .

(٨) سورة الاحزاب ــ الآية ٥ .

(٩) سورة الحجرات ــ الآية ١٠ .

كما يتجلى هـذا التعـاون والود فى الأحـاديث الشريفـة فى وصف ما ينبغى أن يكون عليه المسلمون فى شؤون معاشهم :

ــ الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله (1) .

ــ ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء (2) .

ــ مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (3) .

ــ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه (4) .

ومما يتصـل اتصالا وثيقا بمفهوم الاخوة توكيد الاسـلام على العدل . واقامة العدل صرح بها القرآن الكريم بما لا يدع مجالا للبس ، وقال بأنها هدف أساسى فى كل رسالة سماوية :

ــ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط (5) .

اما الايمان المشوب بالظلم فغير مقبول مصداق قوله تعالى :

ــ الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (6) .

والاسـلام لا يكتفى بمجرد نصـح المسلمين باقامـة العدل بل يأمرهم به :

ــ ان الله يأمر بالعدل والاحسان (7) .

---

(1) اخرجه ابو يعلى والبزار ورواه البيهقى فى شعب الايمـان كما فى المشكاة 2/613 .

(2) اخرجه الحاكم وصححه وأقره الذهبى ورواه ابو داود والترمذى كما فى المشكاة 2/608 .

(3) رواه البخارى 8/12 ومسلم 4/1999

(4) رواه مسلم 4/1986 .

(5) سورة الحديد ــ الآية 25 .

(6) سورة الانعام ــ الآية 83 .

(7) سورة النحل ــ الآية 90 .

ـ واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (1) •

وللعدل منزلة سامية فى الاسلام ، فهو مقياس تقوى الله والخشية منه • وهما صفتان يتميز بها المسلمون الذين يخاطبهم الله سبحانـه فى قرآنـه :

ـ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقو الله ان الله خبير بما تعملون (2) •

والعدل يجب أن يأخذ مجراه ولو على النفس أو القريب :

ـ واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى (3) •

ـ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيـا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعـدلوا وان تلووا أو تعرضـوا فان الله كان بما تعملون خبيرا (4) •

هذا وسيلقى بحثنا التالى فى العدالة الاقتصادية والعدالة الاجتماعية المزيد من الضوء على مضامين العدل فى الاسلام •

**العـدالة الاجتماعيـة :**

الناس فى نظر الاسلام أسرة واحدة ، متساوون عند خالقهم وامام شريعته لا فرق بين غنى وفقير ، ورفيـع ووضيـع ، وأسود وأبيض ، ولا تمييز بينهم فى عرق أو لون أو مكانة اجتماعية • فمكانة الرجـل تقاس بما هو عليه من خلق كريم ، وما يتمتع به من كفاءة ، وما يؤدى للانسانية من خدمات وقد بين صلى الله عليه وسلم ذلك فقال :

---

(1) سورة النساء ـ الآية 58 .

(2) سورة المائدة ـ الآية 8 .

(3) سورة الانعام ـ الآية 152 .

(4) سورة النساء ـ الآية 135 .

ـ ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم (١) •

ـ ان خياركم أحاسنكم أخلاقا (٢) •

وحذر من سوء المنقلب اذا عمت الناس المحاباة على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة ، فالحق لا يعرف صديقا ولا قريبا والجميع مسئولون :

ـ انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد • وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (٣) •

وورد فى سند الامام زيد وعلى الرضا حديث نصه : من استذل مؤمنا أو مؤمنة أو حقره لفقره وقلة ذات يده شهده الله يوم القيامة ثم يفضحه (٤) •

وكتب الخليفة عمر رضى الله عنه الى عامله أبى موسى الأشعرى : أن سو بين الناس فى مجلسك حتى لا ييأس ضعيف من عدلك ولا يطمع شريف فى حيفك (٥) •

عمت هذه الروح المجتمع الاسلامى فى العهد الراشدى لكنها لم تستمر كثيرا بعده • بيد أنها شوهدت فى هذا القطر أو ذاك ، نذكر منها على سبيل المثال ما كتبه أبو يوسف الى الخليفة هارون الرشيد :

---

(١) رواه مسلم ١٩٨٧/٤ •

(٢) رواه البخارى ١٥/٨ •

(٣) رواه البخارى ١٩٩/٨ والنسائى ٦٥/٨ •

(٤) مسند الامام على الرضا ص ٤٧٤ •

(٥) أبو يوسف ـ كتاب الخراج ص ١١٧ •

ـ واجعل الناس عندك فى أمر الله سواء القريب والبعيد ولا تخف فى الله لومة لائم (١) .

ـ فان صلاحهم باقامة الحدود عليهم ورفع الظلم عنهم (٢) .

ان مفهوم تآخى الناس والمساواة بينهم فى المجتمع وأمام القضاء لا معنى له اذا لم تعززه عدالة اقتصادية تضمن لكل فرد حقه ازاء ما يقدمه لمجتمعه أو للناتج الاجتماعى ، وتكفل ألا يستغل أحد أحدا . ولتحقيق هذا الضمان يطالب القرآن الكريم المسـلم بان يرضى بما قسم له فى معاشه لا يتخطاه ليحرم غيره من حقه . يقول الله تعالى :

ـ ولا تبخسوا الناس أشياءهم (٣) .

ويقول عليه الصلاة والسلام :

ـ اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة (٤) .

وهذا التحذير من الظلم والاستغلال يصون الحقوق ويحمى الناس، سواء كانوا مستهلكين أو منتجين أو موزعين ، أو مخدومين أو مستخدمين، ويعمل على تنمية الصالح العام ، وهو غاية ما يهدف اليه الدين .

والعلاقة بين صاحب العمل والعامل لها مكانتها فى هذه العدالة ، ويضعها الاسلام فى اطارها الصحيح فيحدد لها قواعد تنصف الطرفين . فالعامل له أجره العادل لقاء مساهمته فى الانتاج والمعاملة الحسنة من قبل صاحب العمل الذى حرم الدين عليه ان يستغل عمـاله . وقد أخبرنا رسول الله عن ثلاثة سيلقون غضب الرب يوم القيامة منهم صاحب عمل يبخس العامل حقه .

---

(١) ابو يوسف ، كتاب الخراج ص ٤ .

(٢) ابو يوسف ـ كتاب الخراج ص ٦

(٣) سورة الشعراء ـ الآية ١٨٣ .

(٤) اخرجه مسلم فى صحيحه .

ــ ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى حقه ولم يعطه أجره (١) .

لكن ما هو الأجر « العادل » ؟ وما هى الأمور التى تشكل استغلالا للعامل ؟ هذه قضايا تحدد على ضوء أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

يرى الاسلام ان هناك عوامل تسهم فى الانتاج بالاضافة الى العامل . ومن هذه الرؤية ندرك ان المفهوم الاسلامى لاستغلال العامل لا صلة له بنظرية فائض القيمة التى قال بها ماركس .

من الممكن القول نظريا ان الأجر « العادل » يجب أن يتساوى مع قيمة مساهمة العامل فى الانتاج . غير أن تحديد هذه القيمة ليس بالأمر الهين ، وانها لا تجدى عمليا فى تنظيم الأجور . لكن هناك أحاديث نبوية نستطيع على هديها ان نستنبط ، بشكل نوعى ، الأجر بحديه الأدنى والأمثل . ففى احدها يقول صلى الله عليه وسلم :

ــ للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ، ولا يكلف من العمل الا ما يطيق (٢) .

ومنه نلحظ أن الحد الأدنى هو ما يؤمن للعامل كفايته من طعام جيد وملبس حسن له ولأسرته دون أن يكلف ما لا يطيق . وقد رأى الصحابة الكرام أن الحد الأدنى يجب أن يكون أيضا بالقدر الذى يصون المستوى الروحى للمجتمع المسلم . وروى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قوله :

ــ لا تكلفوا الأمة ، غير ذات الصنعة ، الكسب ، فانكم متى

---

(١) رواه البخارى ٣/١١٢ .
(٢) رواه مسلم وأحمد فى مسنده ومالك فى الموطأ ٢/٩٨٠ .

كلفتموها ذلك كسبت من فرجها • ولا تكلفوا الصغير الكسب فانه ان لم يجد سرق • وعفوا اذا أعفكم الله • وعليكم من المطاعم بما طاب منها[1] •

اما الحد الأمثل فهو كما قرره النبى عليه السلام ، وهو الأجر الذى يمكن العامل من أن يأكل ويلبس كما يأكل صاحب عمله ويلبس • فقال :

ـ اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس •••• [2] •

وعليه ، فان الأجر « العادل » لايمكن أن يكون أقل من الحد الأدنى ، وان مستواه المطلوب هو بطبيعة الحال أكثر قربا الى الحد الأمثل ، وما ذلك الا لينخفض التفاوت فى الدخول ولتضيق الهوة التى تفصل العامل عن صاحب العمل فى شروط معيشتيهما ، وهى الهوة التى تخلق طبقتين متميزتين واحدة منعمة وثانية محرومة ، وتوهن روابط الأخوة التى تعتبر سمة أساسية من سمات المجتمع المسلم الحق • فى حين ان المستوى الفعلى للأجر والذى يقع بين حديه الأدنى والأمثل يتقرر حسب تفاعلات العرض والطلب ،ومدى النمو الاقتصادى ، ودرجة الوعى الاخلاقى فى هذا المجتمع من ناحية ، وحجم الدور الذى تلعبه الدولة فى ممارسة وظيفتها القانونية من ناحية أخرى •

هذا ، ومع ان الدين يعين الأجر الأدنى الذي يمكن أن يتقاضاه العامل ويؤثر ان يدفع له الأجر الأمثل ، الا أنه يشترط عدم تكليف العامل ما لا يطيق أو وضعه فى ظروف عمل تسىء الى صحته وتحرمه الاستمتاع بأجره أو تحول بينه وبين تكوين أسرة • واذا حدث وكلف بما فوق طاقته فمن الواجب عندئذ أن يساعد على أداء العمل بلا عنت • وهنا تقع تتمة الحديث السابق « •••• ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتوهم فأعينوهم » •

---

(١) رواه مالك ٩٨١/٢ •

(٢) رواه البخارى ١٦/١ ومسلم ١٢٨٣/٣ •

ولعلنا نستنتج من هذا الحديث أن اقرار الحد الأدنى وايجاد شروط عمل مناسبة واتخاذ اجراءات وقاية ضد مخاطر العمل هى أمور تتفق جميعها مع روح التعاليم الاسلامية . وخير مثال يضرب فى هذا الصدد شطر من حوار دار بين نبيين من أنبياء الله عندما استخدم أحدهما الآخر : «وما أريد أن أشق عليك ستجدنى ان شاء الله من الصالحين»(١).

وهذه المعاملة هى ما يأمل الاسلام نشوءها بين العامل وصاحب العمل . لكن لالتزامه جانب العدل عمل أيضا على حماية صاحب العمل ففرض التزامات أخلاقية معينة على العامل نفسه . أولاها أداء العامل لعمله بضمير مع بذل أكبر قدر من الحرص والمهارة . وللرسول الكريم أحاديث واضحة :

ـ ان الله كتب الاحسان على كل شيء (٢) .

ـ ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه (٣) .

ولا ريب ان العدالة الاجتماعية والاقتصادية التى أولاها الاسلام عناية خاصة تشترط حسن تنفيذ العمل الذى استخدم العامل من أجله . وفى الحديث :

ـ المملوك الذى يحسن عبادة ربه ويؤدى الى سيده الذى له عليه من الحق والنصيحة والطاعة له أجران (٤) .

وثانى التزام هو الاخلاص والأمانة . ويخبرنا القرآن فى سورة القصص : « ان خير من استأجرت القوى الأمين » (٥) . ويحدثنا رسول الله :

---

(١) سورة القصص ـ الآية ٢٧ .

(٢) رواه مسلم ١٥٤٨/٣ .

(٣) رواه البيهقى فى شعب الايمان .

(٤) رواه البخارى ١٨٦/٣ .

(٥) الآية ٢٦ : من سورة القصص .

ـ من استعملنـاه على عمـل فرزقناه رزقا فما أخـذ بعد ذلك فهو غلول (١) .

وهكذا نشاهد أنه حين وضع الاسلام ضوابط على صاحب العمل لم يترك العامل وشأنه اذ قيده بعدد من الالتزامات هي الضمير الحي والاجتهاد والأمانة والاخلاص . وبتلك الضوابط والالتزامات يسـود العدل الطرفين فى علاقاتهما الاقتصادية .

ومن خلال هذا التنظيم المتناسق للمسئوليات المتبادلة المشدد على التعاون وحسن الأداء فى جو الاخاء والعدالة وسيادة القيم الاخلاقية يتطلع المرء الى زوال أسباب التنافر بين الخادم والمخدوم ، والى افشاء السلام فى العلاقات الصناعية .

**( جـ ) التوزيـع العادل للدخول :**

أكثر الاسلام من التأكيد على الأخوة الانسانية والعدالة الاجتماعية والاقتصادية . وهذا التأكيد يعنى أن التفاوت الفاحش فى الدخـول والثروات ينافى جوهره لأن فيه قضاء محتما على مشاعر الأخوة التى يريد بثها بين الناس . وهذا يصدق على الموارد أيضا . يقول سبحانه :

ـ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا (٢) .

ولذلك ليس هناك أى مبرر يدعو الى حصرها عند قلة من الناس طالما أن الخالق نفسه لم يجعلها وقفا على فئة معينـة . ومن هنا ينبثق اهتمام الاسلام بعدالة التوزيع فيضع برنامجا يوفر لكل فرد مستوى من المعيشة يهيئه لأن يحيا حياة تليق بكرامة الانسان الذى قال سبحانه فى حقـه :

ـ « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » (٣) .

---

(١) رواه ابو داود ٢/١٢١ والحاكم وصححه واقره الذهبى .
(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٩ .
(٣) سورة البقرة ـ الآية ٣٠ .

والمجتمع الاسلامى الذى يعجز عن ضمان هذا المستوى يصبح غير جدير بهذا الاسم • وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع الى جنبه (١) • ويعبر الخليفة عمر بن الخطاب عن رأيه فى عدالة التوزيع فيقول رضى الله عنه فى خطبة له :

ــ ما من الناس أحد الا له فى هذا المال حق أعطيه أو منعه ، وما من أحد أحق به من أحد الا عبد مملوك ، وما أنا فيه الا كأحدهم ولكنا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله فالرجل وبلاؤه فى الاسلام والرجل وحاجته والله لئن بقيت ليأتين الراعى بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه (٢) •

وقال على كرم الله وجهه :

ــ ان الله عز وجل فرض على الأغنياء فى أموالهم ما يكفى الفقراء • فان جاعوا أو عروا أو جهدوا فيمنع الأغنياء • وحق على الله تبارك وتعالى ان يحاسبهم ويعذبهم (٣) •

والعلماء مجمعون على أن واجب المسلمين عامة وأغنيائهم خاصة أن يقوموا بأود الفقير ، وعلى الدولة أن تكرههم عليه اذا لم يبادروا هم اليه •

ويتألف برنامج التوزيع من ثلاث نقاط :

الأولى : تأمين عمل لمن يبحث عنه ولا يجبره ، واثابة العاملين بالأجر العادل •

الثانية : ايتاء الزكاة ليعاد توزيع الدخل • فيؤدى الأغنياء زكاة أموالهم للفقراء (٤) الذين لا يستطيعون ضربا فى الأرض ، أو يعانون من

---

(١) رواه الحاكم والطبرانى وأبو يعلى ورواته ثقات والبخارى فى الأدب المفرد ص ٥٢ •

(٢) الفاروق عمر ــ لمحمد حسين هيكل ٢/٢٣٣ •

(٣) أبو عبيد ــ كتاب الاموال ص ٥٩٥ ونهج البلاغة ٣/٢٣١ •

(٤) عن معاذ رضى الله عنه قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اميرا على اليمن فقال : .... فأعلمهم ان الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم رواه البخارى ٢/١٢٤ والترمذى والنسائى •

معوقات عقلية أو جسمية ، أو يرزحون تحت وطأة ظروف خارجة عن ارادتهم كالبطالة مثلا • وذلك عملا بقوله تعالى : « كى لا يكون ( المال ) دولة بين الأغنياء منكم » (١) •

الثالثة : التوريث وفق دستور الهى ليؤول الارث الى أكبر عدد من النــاس •

هذا ولا يذهبن الظن بأن مفهوم عدالة توزيع الدخول ومفهوم العدالة الاقتصادية يرميان الى تساوى الجميع فى الأجر • ان ظنا كهذا يقع على طرفى نقيض من الدين الاسلامى • فالاسلام يتسامح تجاه بعض التفاوت لأن الناس ليسوا سواء فى صفاتهم وقدراتهم وخدماتهم لمجتمعهم • والقرآن الكريم يبين هذه الناحية :

ــ وهو الذى جعلكم خلائف فى الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فى ما آتاكم (٢) •

ــ أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون (٣) •

اذن ، وبعد ضمان مستوى معاش لائق للجميع بفريضة الزكاة ، فان عداله التوزيع فى المجتمع الاسلامى تجيز هذا التفاوت فى الكسب فيثاب كل امرىء بما يتناظر وقيمة خدماته لمجتمعه •

وحرص الدين على عدالة التوزيع جعل بعض المسلمين يميلون الى الاعتقاد بالمساواة المطلقة فى الثراء فالصحابى الجليل أبو ذر الغفارى رأى انه لا يحل المسلم ان يمتلك ما يزيد عن الحاجة الأساسية لأسرته • بيد ان غالبية الصحابة لم تقره على هذا الرأى المتطرف. وحاولوا ثنيه عنه • ومع ذلك فأبو ذر نفسه لم يكن يدعو الى تساوى الدخول وانما

---

(١) سورة الحشر ــ الآية ٧ •
(٢) سورة الانعام ــ الآية ١٦٥ •
(٣) سورة الزخرف ــ الآية ٣٢ •

كان يحبذ المساواة فى الادخار ، وأكد أن هذه المساواة ليست بالأمر المتعذر اذا أنفق الرجل ما يفيض عن مصروفه الأصـلى ، أى اذا انفق العفو ، على تحسين أحوال من هم أقل حظا منه • ورغم ميل العلمـاء الى جانب عدالة التوزيع ، الا أنهم كانوا يرون أنه اذا ابتغى المسـلم رزقه بالحلال وآتى الزكاة وأسهم فى وجوه البر فى مجتمعـه فلا بأس عليه فى أن يمتلك أكثر من غيره • وفى الواقـع ، ان الامتثـال لتعاليم الاسلام فى الحلال والحرام فى الكسب ، وتطبيق قواعد العدل على العمال والمستهلكين ، والتقيد بأحكام الميراث واعادة توزيع الدخول والثروات كل أولئك أمور تجعل المجتمع المسلم بمنأى عما يخلق التفاوت الضخم فى الدخول والثروات من مشاكل •

**( د ) حرية الفرد فى سياق الرفاهية الاجتماعية :**

الايمان بأن الله خالق الانسان ، وأن الانسان لا يوصف بالعبودية الا له ، هو الركن الهام من أركان الاسلام •

ـ قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به [١] •

ـ ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسـك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور [٢] •

وهو جوهر الميثاق الاسلامى للتحرر من كل أنواع العبودية • وبين لنا سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم أن من المهام التى بعث بها النبى عليه الصلاة والسلام الى الناس أنه :

ـ ( يضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ) [٣] •

وبهذا الايمان قال الخليفة عمر رضى الله عنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا [٤] وبه أيضا قال الامام الشافعى : ان الله خلقك حرا فكن كما خلقك [٥] •

---

(١) سورة الرعد ـ الآية ٣٦ •

(٢) سورة لقمان ـ الآية ٢٢ •

(٣) سورة الاعراف ـ الآية ١٥٧ •

(٤) اخبار عمر ـ على وناجى الطنطاوى ص ٢٦٨ •

(٥) الاسلام ونظرية الحياة ـ م• يوسف الدين ١/١٤٠ •

وانطلاقا من هذا الايمان لا يحق لأحد أن يحجر على حرية الفرد ، ولو كان هذا الأحد هو الدولة . وقد أجمع الفقهاء على عدم جواز الحجر على رجل حر عاقل راشد . ويذهب أبو حنيفه الى انه لايحجر على الحر البالغ العاقل السفيه ، وتصرفه فى ماله جائز وان كان مبذرا مفسدا يتلف ماله فى ما لا غرض فيه ولا مصلحة .

ولأبى حنيفة رحمه الله : انه مخاطب عاقل ، فلا يحجر عليه اعتبارا بالرشيد وهذا لأن فى سلب ولايته اهدار آدميته والحاقه بالبهائم وهو أشد ضررا من التبذير ، فلا يتحمل الأعلى لدفع الأدنى ، حتى لو كان فى الحجر دفع ضرر كالحجر على المتطبب الجاهل ، والمفتى الماجن والمكارى المفلس ، جاز فيما يروى عنه اذ هو دفع ضرر الأعلى بالأدنى .

لكن مهما تعددت الآراء فان الخلاف فى الاجتهاد يحدث اذا تعلق الأمر برجل يلحق الضرر بمصلحته الشخصية دون أن يتجاوز آداب الدين . أما اذا وقع الضرر بالغير فلا خلاف ، فالحد من الحرية فى وضع كهذا جائز . والعلماء جميعهم متفقون على ضرورة فرض القيود اذا كان فرضها يحول دون الحاق الضرر بالآخرين ، أو يصون المصلحة العامة . وفى هذا رأى الامام أبو حنيفة أنه يجب الحجر على المفتى الماجن والطبيب الجاهل والمكارى المفلس لأن هذا الحجر يدرأ ضررا أكبر بانزال ضرر أصغر (١) ان الصالح العام له مكانته الهامة فى الاسلام . أما حرية الفرد فمع ما لها من أهمية أولية ، الا أنها ليست بمعزل عن ضوابطها الاجتماعية . والعلماء سعيا منهم لوضع حقوق الفرد فى منظورها الصحيح من حيث حقوق الناس وحقوق المجتمع ، اتفقوا على المبادىء التالية (٢) :

١ ــ مصلحة المجتمع تتقدم على مصلحة الفرد .

---

(١) كتاب الهداية للمرغينانى ٢٨١/٣ وكتاب الفقه على المذاهب الاربعة للجزيرى ٣٤٩/٢ .

(٢) للبحث فى هذا الموضوع ينظر فى : كتاب الموافقات فى الاصول للشاطبى ، اصول الفقه لمحمد أبو زهرة ، المدخل الى اصول الفقه لمحمد معروف الدواليبى .

٢ ــ « رفع الحرج » و « تنمية النفع » هدفان من أهــداف الشريعة ، غير أن الأول مقدم على الثانى •

٣ ــ لا يوقع الضرر الأكبر لازالة الضرر الأصــغر ، ولا يضحى بالمنفعة الأكبر فى سبيل المنفعة الأصغر • وبالعكس ، يمكن رفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر ، كما يضحى بالمنفعة الأصغر فى سبيل المنفعة الأكبر •

والملموس من هذه المبادىء أن حريــة الفرد ضمن حدود آداب الاسلام تبقى أمرا مقدسا ما بقيت غير متعارضة مع المنفعة الأكبر للمجتمع، وما بقى الفرد غير متجاوز حدود الآخرين •

( للبحث بقية )

# مفاهيم إسلامية في النقود
# والفرق بين الإكتناز والإدخار

د. شوقي اسماعيل شحاته *

---

**النقود مال نام حكما وبالقوة :**

يقول السرخسي : الذهب والفضة خلقا جوهرين للأثمان لمنفعة التقلب والتصرف فكانت معدة للنماء على أي صفة كانت .

ويقول ابن قدامة : « الأثمان هي الذهب والفضة ، والأثمان قيم الأموال ورأس مال التجارات ، وبهذا تحصل المضاربة والشركة ، وهي مخلوقة لذلك ، فكانت بأصل خلقتها كمال التجارة » . والمضاربة الشرعية « المقارضة » هي شركة بمال من جانب رب المال وعمل من جانب آخر هو جانب المضارب بحصة شائعة معلومة بينهما في الربح .

يقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة (١) : والنقود لا تنمو بذاتها ولكنها تنمو باستخدامها في التجارة أو الصناعة ، وهي قد خلقت لذلك فهي لا تشبع الحاجات بنفسها ولكن تشبعها بما تتخذ وسيلة في جلبه ، وهي مقياس القيم للأشياء ، وموازين الأموال ، بها تعرف ماليتها ، فهي

---

(١) مجلة لواء الاسلام ــ العدد السادس ــ السنة الرابعة ــ ص ٤٣٩

(*) استاذ النظم المحاسبية في الاسلام بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

بشكل عام مقاييس الأعيان والمنافع ، بها تحد وتعرف ، ولهذا عدت مالا ناميا بالقوة وان بقيت فى الخزائن لم تخرج منها ، ولأنه كان ينبغى أن يخرج ويمد العمران بحاجاته ويشبع النواحى الاجتماعية والاقتصادية والشخصية ، **ولا تكون كالماء الآسن الراكد الذى يفسده الركود ويغيره** الاختزان ويجعله مأوى للمفاسد ، فاذا كانت عدت مالا ناميا بالقوة فلأن الشارع الاسلامى حريص على أن تبرز النقود الى الوجود عاملة متحركة مقيمة وسائل الاستغلال على دعائم من العلم صالحة قوية .

ولهذا تجب زكاة المال فى النقود متى بلغت نصابا وحال عليها الحول ولم يكن لها نماء حقيقة وبالفعل لانها مال نام حكما وبالقوة والزكاة متعلقها الأموال ذات النماء بالقوة أو بالفعل . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثمروا أموالكم فان الزكاة تكاد تأكلها » .

**حتمية تزاوج النقود مع عنصر او أكثر من عناصر الانتاج كشرط اساسى لنموها بالفعل :**

لكى تنمو النقود بالفعل يتعين فى الفقه الاسلامى ان تتزاوج وتتضافر وتشترك مع عنصر أو أكثر من عناصر الانتاج الأخرى ، والصورة التى تنمو فيها النقود ذاتيا باقراضها بفائدة هى ربا حرمه القرآن ، والزيادة على رأس المال النقدى عن طريق الاقراض وفى مقابل الزمان والامهال والانتظار كسب خبيث ، لأنه بغير عوض ولا يمكن جعل الامهال والزمان عوضا اذ الامهال والزمان ليسا بمال حتى يكونا فى مقابلة المال . وطريق الربح الحلال والنماء الطيب الذى رسمه الاسلام هو طريق الشركة — لا القرض — حيث يتزاوج ويشترك رأس المال النقدى مع عنصر أو أكثر من عناصر الانتاج الأخرى ويسهم فى تمويل المشروعات الاقتصادية بالمشاركة فى الربح والخسارة ويكون الغنم بالغرم، وقد أقر الاسلام شركة المضاربة الشرعية « المقارضة » وهى شركة بمال من جانب المال وعمل من جانب آخر هو جانب المضارب بحصة شائعة معلومة بينهما فى الربح ، وبتزاوج رأس المال النقدى والعمل يطيب المال ويطيب الاقتصاد القومى وتطيب النفوس .

قال الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز فى مؤتمر القانون الاسلامى المنعقد فى باريس فى سنة ١٩٥١ « أما ان الربح ليس ثمرة عنصر واحد بل ثمرة عنصرين متزاوجين فذلك حق لا شبهة به وليس لنا أن نتلكأ فى قبوله غير أن المعارضين قد فاتهم شىء جوهرى وهو أنه بمجرد عقد العرض أصبح العمل ورأس المال فى يد شخص واحد . فاذا أصررنا على اشراك المقرض فى الربح الناشىء وجب علينا فى الوقت نفسه ان نشركه فى الخسارة النازلة اذ كل حق يقابله واجب ، ومتى قبلنا اشراك رب المال فى الربح والخسر معا انتقلت المسألة من موضوع القرض الى صورة مقابلة أخرى وهى الشركة التضامنية الحقيقية بين رأس المال والعمل وهذه الشركة لم يغفلها القانون الاسلامى بل أساغها ونظمها تحت عنوان المضاربة أو القراض .

هذا واذا لم تتزاوج وتشترك النقود مع عنصر أو أكثر من عناصر الانتاج لتثمير رأس المال النقدى بالفعل فانها تخضع ـ بوصفها مالا ناميا حكما وبالقوة ـ لاستقطاع مالى سنوى نظمته زكاة المال حتى تكاد تأكلها . ولاشك فى أن هذه الوظيفة الاقتصادية لزكاة النقود تلعب دورا هاما وبارزا فى اتاحة السيولة النقدية اللازمة وتوفير مصادر التمويل الداخلى للمشروعات الاقتصادية ، وقد أسلفنا ان التمويل فى الاقتصاد الاسلامى طلبا للربح طريقه وسبيله هو الشركة لا القرض بالفائدة الربوية ، وأن نماء النقود عن طريق الاستثمار هو النماء الحلال الطيب أما بطريق القرض بالفائدة فهو كسب خبيث وربا حرمه القرآن والسنة .

**مفهوم الاكتناز فى الفقه الاسلامى :**

قال سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وظهورهم هذا

ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » (١) وقال تعالى : « كلا انها لظى • نزاعة للشوى • تدعو من أدبر وتولى • وجمع فأوعى » (٢) •

يقول الامام القرطبى (٣) : واختلف العلماء فى المال الذى أديت زكاته هل يسمى كنزا أم لا ، فقال قوم نعم • وقال قوم : ما أديت زكاته فليس بكنز • قال ابن عمر : ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين ، وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الأرض •

ويقول ابن كثير (٤) : وأما الكنز فقال مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : هو المال الذى لا تؤدى منه الزكاة • وروى الثورى وغيره عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : ما أدى زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين ، وما كان ظاهرا لا تؤدى زكاته فهو كنز •

ويقول الشيخ طنطاوى جوهرى (٥) : المراد بالمال المكنوز ما لم تؤد زكاته ولو لم يكن مكنوزا • قال صلى الله عليه وسلم « ما أدى زكاته فليس بكنز » أى ليس بكنز أوعد عليه •

وقال الأستاذ الدكتور محمد عبد الله العربى (٦) : فالتقتير وما يقترن به من اكتناز الذهب والفضة أو غيرهما من وسائل النقد يحول دون نشاط التداول النقدى ، وهو ضرورى لانتعاش الحياة الاقتصادية فى كل مجتمع • فحبس المال تعطيل لوظيفته فى توسيع ميادين الانتاج وتهيئة وسائل العمل للعاملين •

---

(١) الآيات ٣٤ ، ٣٥ من سورة التوبة .
(٢) الآيات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ من سورة المعارج .
(٣) الجامع لأحكام القرآن .
(٤) تفسير القرآن العظيم ص
(٥) الجواهر فى تفسير القرآن الكريم جزء ٤ ص ٩٤ .
(٦) النظم الاسلامية الاقتصادية ص ١١٦ .

وقد أثار الامام القرطبى مسألة « من لم يكنز ومنع الانفاق فى سبيل الله ، فقال : قال علماؤنا : ظاهر الآية تعليق الوعيد على من كنز ولا ينفق فى سبيل الله ، وينهض للواجب وغيره ، غير أن صفة الكنز لا ينبغى أن تكون معتبرة فان من لم يكنز ومنع الانفاق فى سبيل الله فلابد من أن يكون كذلك ، الا أن الذى يخبأ تحت الأرض هو الذى يمنع انفاقه فى الواجبات عرفا فلذلك خص الوعيد به .

ومفهوم الاكتناز فى الفكر الاسلامى يشمل منع الزكاة وحبس المال : ومنع الزكاة منع للانفاق فى سبيل الله لأن الزكاة واجبة فى سبيل الله وحق ثابت فى المال .وايجاب الزكاة فى المال النامى بالقوة أو بالفعل ينطوى ضمنا على محاربة اكتناز النقود وتجميدها وحبسها وتعطيلها عن أداء وظائفها الأساسية ، اذ أن النقود مال نام حكما وبالقوة وايجاب الزكاة فيها ولو لم يكن لها نماء بالفعل مدعاة لعدم اكتنازها بل انه مدعاة لتوجيهها للاستثمار والتنمية لكى يكون اخراج زكاتها من النماء لا من رأس المال . يقول الزيلعى : ان الواجب جزء من الفضل لا من رأس المال لقوله تعالى « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو » أى الفضل ، والنمو انما يتحقق فى الحول غالبا فأقيم السبب الظاهر وهو الحول مقام المسبب وهو النمو ، قال صلى الله عليه وسلم « لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول » ولذلك ضرب الحول مدة لتحصيل النماء .

**أبو ذر ومفهوم الكنز :**

يقول الامام القرطبى : « وقيل الكنز ما فضل عن الحاجة . روى عن أبى ذر وهو مما نقل من مذهبه ، وهو من شدائده : ومما انفرد به رضى الله عنه . قلت : ويحتمل أن يكون مجمل ما روى عن أبى ذر فى هذا ما روى أن الآية نزلت فى وقت شدة الحاجة وضعف المهاجرين وقصر يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كفايتهم ولم يكن فى بيت المال ما يشبعهم وكانت السنون جوائح هاجمة عليهم ، فنهوا عن امساك

شيء من المال الا قدر الحاجة • ولايجوز ادخار الذهب والفضـة فى مثل ذلك الوقت • فلما فتح الله على المسلمين ووسع عليهم أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مئتى درهم خمسة دراهم وفى عشرين دينارا نصف دينار ، ولم يوجب الكل واعتبر مدة الاستنماء فكان ذلك منه بيانا صلى الله عليه وسلم •

ويقول : روى أبو داود عن ابن عباس قال : لما نزلت هـذه الآية « والذين يكنزون الذهب والفضة » قال : كبر ذلك على المسلمين فقال عمر : أنا أفرج عنكم ، فانطلق فقال : يا نبى الله ، انه كبر على أصحابك هذه الآيةفقال : « ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقى من أموالكم وانما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم » قال : فكبر عمر • ويقول الامام القرطبى : « قرر الشرع ضبط المال وأداء حقه • ولو كان ضبط المـال ممنوعا لكان حقه أن يخرج كله وليس فى الأمة من يلزم هـذا • وحسبك حال الصحابة وأموالهم رضوان الله عليهم » •

قلت هذا الذى يليق بأبى ذر رضى الله عنه ان يقول به ، وان ما فضل عن الحاجة ليس بكنز اذا كان معدا لسبيل الله •

**الفرق بين اكتناز النقود والادخار فى الفكر الاسلامى :**

وعلى هذا فان الادخـار يختلف عن الاكتناز المنهى عنه ، وكل ما فضل عن الحاجة وهو يمثل الادخار على المستوى الفردى ليس بكنز اذا كان معدا لسبيل الله ، وسبيل الله هو سبيل النفع والخير العـام وسبيل المصلحة العامة وسبيل اعلاء كلمة الله ونصرة الاسـلام وأهله وقوتهم •

فاذا أدخر الشخص بعض ماله وأمسك الفضل من كسبه الطيب ــ بعد انفاقه القصد ــ وقدمه لمواجهة احتمالات المستقبل وليوم فقره وحاجته فليس ذلك بكنز • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله امرأ اكتسب طيبا ، وانفق قصدا ، وقدم فضلا ليوم فقره وحاجته » •

واذا أمسك الشخص بعض ماله عدة للسيولة النقدية فليس ذلك بكنز • قال صلى الله عليه وسلم « لا عليك أن تمسك بعض مالك فان لهذا الأمر عدة » • وقال صلوات الله وسلامه عليه « امسك عليك بعض مالك فهو خير لك » •

والنماء والتنمية تتحقق بالاستثمار لا بكنز المال وحبسه ، لذلك كان الاستثمار وكانت التنمية اعدادا لسبيل الله وقوة للمسلمين ، وكان الاكتناز صدا عن سبيل الله •

ان المال المزكى — وهو مال نام — يمر فى كل حول بعملية أو عمليات استثمارية ليكون اخراج زكاته من نمائه لا من رأسماله • وبذلك يطيب المال ويطيب المجتمع بأداء زكاته ويطيب به مالكه ويطيب به الاقتصاد القومى باستثماره ومداومة الاستثمار •

## بعض صعوبات محاربة الاكتناز وتعبئة المدخرات الصغيرة فى الدول النامية

يقول ••• هانسون فى العمل على ابطال عادة الاكتناز وتنشيط الادخار وتعبئة المدخرات الصغيرة • وقد يقال أحيانا : ان فى متناول الحكومة وسيلة أسهل لتعبئة المدخرات الصغيرة وتتلخص — كما يرى البعض — فى استيلاء الحكومات على المكتنزات وقد تبلغ فى جنوب آسيا والشرق الأوسط ما يقرب من ١٠ فى المائة من الدخول القومية • واذا انطلقت هذه المكتنزات من مكامنها ، وانفقت فى فترة خمسة أعوام فانها قد تسهم فى تكوين رأس المال سنويا بما يبلغ ٢ فى المائة من الدخول القومية ، ولكن العيب الواضح فى هذه المكتنزات هو صعوبة تحديد مكانها وصعوبة الاستيلاء عليها •

الاسلام يتغلب على تلك الصعوبات فى محاربة الاكتناز بمخاطبة ضمائر الكانزين وتوعدهم واعتبار الاكتناز صدا عن سبل الله :

ان الصـعوبات التى تكتنف تحـديد مـكان المكتنزات يتغلب عليها الاسلام بالنهى فى تعاليمه عن الاكتناز واعتباره صدا عن سبيل الله وقد توعد الله الكانزين بالعذاب الأليم فى الآخرة ليذوقوا جزاء ما كنزوا لأنفسهم وجزاء صدهم عن سبيل الله واضرارهم بالناس وتعطيلهم للوظائف الأساسية للنقود • وهكذا فان الاسلام بمخاطبة الضمير الانسانى ومن خلال عقيدة الجزاء والثواب والعقاب من الله سبحانه وتعالى يستأصـل شأفة الاكتناز ليرسى فى النفوس مبدأ الانفاق فى سبيل الله والادخـار اعداد لسبيل الله ، واستثمار المال ومداومة استثماره • وكل انفاق فى غير معصية على استهلاك وعلى الاستثمار هو انفاق فى سبيل الله •

وقد كان عمر بن الخطاب ــ أبو المالية والاقتصـاد الاسلامى ــ ينصح المسلمين بالادخار من عطائهم واستثماره فقد روى خالد بن عرقطة القدرى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له : « فلو أنه اذا خرج عطاء أحد هؤلاء ابتاع منه غنما فجعلها بسوادهم فاذا خرج عطاؤه ثانية ابتاع الرأس والرأسين فجعله فيها فان بقى أحد من ولده كان لهم شىء قد اعتقدوه وانى لأعم بنصيحتى من طوقنى الله أمره فان رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال « من مات غاشا لرعيته لم يرح ريح الجنة » • ها هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوجه ما فضل عن الحاجة لا للاكتناز بل للادخار والاستثمار ومداومة الاستثمار •

**ابن خلدون ومفهوم الاكتناز وانكماش التيار النقدى على المستوى الحكومى :**

يقدم ابن خلدون مفهوما للاكتناز وحبس المال على المستوى الحكومى فيقول : فاذا احتجن السلطان الأموال أو الجبايات أو فقدت فلم يصرفها فى مصارفها قل حينئذ ما بأيدى الحاشية والحامية ، وانقطع أيضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم ، وقلت نفقاتهم جملة وهو معظم السواد ، ونفقاتهم أكثر مادة للأسواق مما سواهم ، فيقع الكساد حينئذ فى الأسواق وتضعف الأرباح فى المتاجر فيقل الخراج لذلك ، لأن الخراج والجباية انما يكون من الاعتماد والمعاملات ونفاق ــ رواج ــ الأسواق وطلب

الناس للفوائد والأرباح ، ووبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلة أموال السلطان حينئذ بقلة الخراج . فان الدولة كما قلنا هى السوق الأعظم أم الأسواق كلها وأصلها ومادتها فى الدخل والخراج ، فان كسدت وقلت مصـــارفها فأجدر بما بعدها من الأســـواق أن يلحقها مثل ذلك وأشد منه .

وأيضا فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم ، فاذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعية ، سنة الله فى عباده .

وقد أورد ابن خلدون نص الكتاب المشهور الذى كتبه طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما عهد اليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج اليه فى دولته وسلطانه ومما كتبه فى هذا الكتاب ما نحن بصدده :

« وأعلم ان الأموال اذا كنزت وادخرت فى الخزائن لاتنمو واذا كانت فى صـــلاح الرعية وعطاء حقوقهم وكف الأذية عنهم نمت وزكت وصلحت به العامة وبرحت به الولاية وطاب به الزمان وأعتقد فيه العز والمنفعـــة .

فليكن كنز خزاتك تفريق الأموال فى عمارة الاسلام وأهله ، ووفر منه أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف من ذلك حصصـــهم ، وتعهد ما يصلح أمورهم ومعايشهم ، فانك اذا فعلت قرت النعمـــة لك واستوجب المزيد من الله تعالى ، وكنت بذلك على جباية أموال رعيتك وخراجك أقدر ، وكان الجمع لمـــا شملهم من عدلك واحسانك أساسا لطاعتك .

وانما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل الله وفى سبيل حقه .

وأعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمى أهل عملك رعيتك لأنك راعيهم وقيمهم فخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ونفذه فى قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم . وأنظر هـــذا الخراج الذى

استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للاسلام عزا ورفعة لأهله توسعة ومتعة موزعة بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف أمرا فيه شطط .

وأعرف ما تجمع عمالك من الأموال وما ينفقون :

وهكذا يقرر ابن خلدون وغيره منذ أكثر من ستة قرون ان المال يتردد بين الرعية والسلطان ، منهم اليه ومنه اليهم ، وهو ما يقرره أساتذة وعلماء الاقتصاد من وجود تيار نقدى متدفق من الأفراد الى الدولة ومن الدولة الى الأفراد ، وأن توسيع أو انكماش التيار النقدى يمكن أن ينشأ فى أى نقطة من الدورة النقدية . ويحذر ابن خلدون وغيره الحاكم من الآثار السيئة الوبيلة التى تترتب على حبس الايرادات العامة وأموال الدولة فى خزائنها ويؤكدون أهميــة الانفاق الحكومى فى شتى صوره وآثاره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

**الوظيفة الاقتصادية لمصارف الزكاة فى دعم الدورة النقدية وتوسيع التيار النقــدى :**

من المقرر ان هناك تيارين : تيارا سلعيا وتيــارا نقديا يسيران فى اتجاهين متضادين ويكمل احدهما الآخر . وتتمثل الدورة النقدية فى ان الأفراد يحصلون على دخل نقدى ويتقاضون نقودا من المنشآت مقابل عرضهم للخدمات وعوامل الانتاج المختلفة ، ثم يقوم الأفراد بدورهم باستخدام هذا الدخل النقدى لمواجهة الانفاق على الاستهلاك وشراء السلع الاستهلاكية مما يغذى المنشآت بدخــل نقدى من عمليات البيع لتبدأ الدورة النقدية من جديد وهكذا .

والأصل فى المسلم أن يعمل ويكتسب ويسهم بكســبه فى الدورة النقدية وفى تغذية تيارها النقدى . والاسلام يعتبر العمل عنصرا أساسيا من عناصر الانتاج بل ويجعل العمل ضربا من العبادة . وقد يكون المسلم قويا قادرا على الاكتساب الا انه ــ كما يقول أبو عبيدة « فى كتاب الأموال » قد يكون مكدودا عن الرزق وهو فى ذلك مجتهد فى السعى

على عياله حتى يعجزه الطلب ، فاذا كانت هذه حاله فان له حينئذ حقا فى أموال المسلمين يقول الله تبارك وتعالى « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم » • وبعبارة أخرى قد يكون قويا قادرا على الاكتساب ولكنه يعانى من البطالة الاجبارية •

ولذلك تسد مصارف الزكاة للفقراء والمساكين الثغرة بين الدخل والانفاق على الاستهلاك العائلى لعديمى أو محدودى الدخل فى شكل مال نقدى يستخدمونه للانفاق على الاستهلاك العائلى وشراء ما يحتاجون من السلع والخدمات التى يرغبون فيها ، أو بتقديم الزكاة فى شكل عينى لاستخدامها مباشرة فى اشباع رغباتهم • والعبرة فى الاداء النقدى أو العينى بأيهما أيسر وأسهل وأكثر ملاءمة فى كل زمان ومكان • يقول أبو عبيدة ( كتاب الأموال ص ٤٢٧ ) « انا قد وجدنا السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه انه قد يجب الحق فى المال ثم يحول الى غيره مما يكون اعطاؤه أيسر على معطيه فى الأصل » • وروى سحنون عن الامام مالك « المدونة الكبرى ج ٢ ص ٩١ » قوله « ان من كره الأداء النقدى للزكاة فذلك مخلفة ، وان بعض من يدفع الزكاة من يكره ذلك الأداء النقدى وان كان البعض الآخر قد لا يرى به بأسا » ويقول ابن رشد « بداية المجتهد ج ١ ص ٢٤٢ » : « والحنفية تقول انما خصت بالذكر أعيان الأموال تسهيلا على أرباب الأموال » •

ومصرف الغارمين — وهم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم — يمد من ركبه الدين — فى غير معصية — فى مصالح نفسه أو فى مصلحة عامة بالمال النقدى اذا أحاط الدين بماله ولم يف ما عنده بدينه • وقد يكون الغارم تاجرا لزمته ديون تجارية وهو يحسن تدبير تجارته • يقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة : « وان الاسلام يجعل الديون العادلة تؤدى من بين مال الزكاة ، وقد سبق الشرائع الانسانية كلها سبقا بعيدا وخصوصا الشرائع التى عاصرت نشأته وحسبك ان تعلم ان القانون الرومانى فى بعض أدواره كان يسوغ للدائن أن يسترق المدين أما شريعة

اللطيف الخبير فقد جعلت دين المعسر تؤديه الدولة عنه » ويقول : « ويصح بالقياس على ذلك ان يقرض من مال الزكاة القرض الحسن لأنه اذا كانت الديون العادلة تؤدى من الزكاة فأولى ان تعطى منها القروض لترد الى بيت المال » .

اما مصرف « فى سبيل الله : فاذا قصرنا مفهومه على الصرف على القتال والجهاد فى سبيل الله واعداد وتجهيز الجيوش والقوات المسلحة فهو الانفاق العسكرى وهو انفاق على استهلاك من سلع وخدمات . واذا توسعنا فى مفهومه على انه الصرف فيما يعم كل مصالح المسلمين فهو الانفاق فى جميع وجوه الخير والنفع والمصلحة العامة وهو أيضا انفاق على الاستهلاك مع سلع وخدمات .

وبصفة عامة فان مصارف الزكاة تؤدى الى زيادة الانفاق الكلى على الاستهلاك سواء على الاستهلاك الفردى والعائلى أو على الانفاق العسكرى الحكومى مما يتولد عنه طلب قد يؤدى الى زيادة حجم الوظائف . وتلك التعديلات بالزيادة فى الانفاق الكلى على الاستهلاك التى تؤدى اليهما مصارف الزكاة ذات أهمية فى تحقيق مستوى أعلى من التوظف فى الاقتصاد القومى يعمل على تحقيق زيادة فى الاستثمار ، بالاضافة الى أن مصارف الزكاة تعمل على دعم الدورة النقدية وتوسيع التيار النقدى .

وتجدر الاشارة الى أنه لما كان القرض الحسن ـ وهو قرض بدون فوائد ـ يجوز تقديمه من مال الزكاة كما اسلفنا فان بيت مال الزكاة يلعب بذلك دورا هاما كمؤسسة للقرض الحسن فى زيادة حجم الأموال النقدية المتاحة للاقراض فى قروض اجتماعية أو فى قروض انتاجية كما يعمل على دعم الائتمان .

وفضلا عن مصارف الزكاة توجد مصارف الكفارات كالكفارة فى الحج ، والكفارة فى الصيام ، وكفارة حلف اليمين . وكفارة الصيد فى الاحرام . وتوجد مصارف النذور . وغير ذلك من الحقوق الواجبة

الثابتة فى المال فى محيط الأسرة والتكافل الاسرى كالانفاق على الوالدين فى حالة العجز عن الكسب • وهى كلها روافد تمد تيار الانفاق على الاستهلاك العائلى يضاف الى ذلك الانفاق الاختيارى على سبيل التطوع والندب •

وهكذا فان مصارف الزكاة تؤدى وظيفة اقتصادية هامة بما تتيحه من دخل نقدى للأفراد عديمى الدخل ومحدودى الدخل ، وما تمدهم به من قوة شرائية للانفاق على الاستهلاك ، ولاشك أن ذلك يعمل على دعم الدورة النقدية وعلى تحقيق تناسب ملائم بين التيار السلعى والتيار النقدى •

وقد بينا فى مقالنا السابق ان النماء والتنمية يتحققان بالاستثمار لا بكنز المال وحبسه ولذلك كانت التنمية اعدادا لسبيل الله وقوة ، كما بينا أن المال المزكى — وهو مال نام — يمر فى كل حول بعملية أو عمليات استثمارية ليكون اخراج زكاته من نمائه لا من رأس المال حتى لا تأكله الزكاة • ولاشك فى ان زكاة المال وزكاة النقود تؤدى وظيفة اقتصادية هامة فى الاستثمار والتنمية ، وفى اتاحة السيولة النقدية والتمويل الداخلى للمشروعات الاقتصادية وهذا اجمال له تفصيل باذن الله •

وننتقل الى الكلام عن « وحدة النقود » • فى الفكر الاسلامى الاقتصادى وهى الدينار الشرعى والدرهم الشرعى •

( للبحث بقية )

# وكالات توزيع المسلم المعاصر

| | |
|---|---|
| جمهورية مصر العربية : | الاهرام ـ ادارة التوزيع<br>شارع الجلاء ـ تلفون ٤٦٤٦٠ القاهرة |
| الجمهورية العربية الليبية : | الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان<br>تلفون ٤٥٧٧٣ طرابلس ص·ب ٩٥٩<br>تلفون ٩٢٤٣٣ بنغازي ص·ب ٣٢١<br>تلفون ٢٠١٠٨ سبها ص·ب ٧١٦ |
| الجمهورية التونسية : | الشركة التونسية للتوزيع<br>٥ شارع قرطاج ـ ص·ب ٤٤٠ ـ تلفون ٢٥٥٠٠٠ تونس |
| المملكة العربية السعودية : | مكتبة مكة ص·ب ٦٠ ـ تلفون ٤٢٦٦٨ الخبر<br>ص·ب ٤٧٧ ـ تلفون ٢٤٧٥١ جدة<br>باب شريف ص·ب ٤٧٢ ـ تلفون ٢٥٠٩٨ الرياض |
| دولة الكويت : | دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع<br>ص·ب ٢٨٥٧ ـ تلفون ٤٣١٩٨٢ ـ كويت |
| دولة البحرين : | الشركة العربية للوكالات والتوزيع<br>ص·ب ١٥٦ ـ تلفون ٥٥٧٠٦ ـ المنامة |
| U.K. | MUSLIM WELFARE HOUSE<br>86 Stapleton Hall Road<br>London N4 4QA Tel. 340 6481 U.K. |
| DENMARK | ISLAMIC BOOKSHOP<br>Valby Langgade 25<br>2500 Valby — Kobenhagen — DENMARK |
| U.S.A. | ISLAMIC BOOK SERVICE<br>407 N. Ingalls stheet, Ann Arbor,<br>Tel (313) 994 — 5752 MICH 48104 U.S.A. |

# حوار

## المسلمون وحق الانتماء السياسى

د . مصطفى كمال وصفى(*)

كتب الأستاذ الدكتور محمد رضا محرم فى هــذه المجلة ( عدد شوال ١٣٩٧ ــ أكتوبر ١٩٧٧ ) مقالا بالعنوان عاليــه انتهى فيه الى ترجيح رأى أبداه المفكر الاسلامى الكبير الأستاذ فتحى عثمان فى بعض اعداد هذه المجلة ، أجاز فيه أن يكون المسلم يساريا ، وحــدد بعض ملامح المسلم اليسارى . وقد أيد الدكتور رضا هــذا الرأى بحجــة تاريخيــة هى أن المسلمين لم يكونوا فرقة سياســية واحدة ، بل فرقا متعددة ، وحجة فقهية هى أن حق الاجتهاد وحق المشــاورة مكفولان للمسلم ، وأن هذا يؤدى الى الانتماء السياسى .

وهذه القضية ــ فيما أرى ــ هى قضية شديدة الأهمية والخطورة وتتطلب أشد العناية فى تناولها وفى حسمها .

### الحق والحرية فى الاسلام :

ومدخل هذه القضية هى تفهم معنى الحق والحرية فى الاسلام .

فان حقيقة معنى « حق الانتماء السياسى » أى حرية هذا الانتماء ، وهى حرية معروفة فى مختلف النظم الدستورية قديمها وحديثها تقوم على حق الانسان فى الانضمام الى حزب سياسى معين .

(*) نائب رئيس مجلس الدولة المصرى .

فاذا نظرنا الى الانتماء السياسى على أنه حق ، فانه لم يرد فى الاسلام تعريف معين للحق • وانما يستعمل هذا المصطلح ــ عادة ــ بمعنى الثبوت • فيقال لفلان الحق فى كذا ، أى ثبت له كذا • وأما الحق بمفهومه الحديث فيستعمل له لفظ « ملك » بكسر الميم وسكون اللام • فليس هذا اللفظ قاصرا على حق الملكية proprieté أى استئثار الانسان بمال معين بحيث يكون له عليه حقوق الاستعمال والاستغلال والتصرف ، بل هو يستعمل كذلك فى حق الانسان على زوجته فيقال : يملك الاستمتاع بها ، وحقه فى رقيقه فيقال : يملك رقبته وهى اجتماعية Fonction sociate بمعنى أن المسلم يكون مكلفا باقامة فى الواقع ولاية شرعية على محجور عليه هو الرقيق •

وهذا الملك ــ أو الحق بالمفهوم الشرعى ــ هو اختصاص شرعى أى ولاية تستهدف تحقيق المقاصد الشرعية ، أو بالمصطلح الحديث وظيفة المصالح الشرعية المنوطة بهذا الحق •

ولذلك فان الحق فى الاسلام تكليف • وليس مصلحة شخصية كما هو الحال فى الفكر القانونى الحديث •

ويؤدى بنا هذا القول : الى أن حق الانتماء السياسى هو واجب على المسلم وتكليف ملزم له ، وليس قدرة اختيارية ارادية ان شاء أتاها أو لم يأتها •

وهذه النتيجة بذاتها نصل اليها اذا نظرنا الى الانتماء السياسى على أنه حرية •

فالحرية فى الاسلام هى قدرة الانسان على أن يفعل الصواب ، أى ما يطابق الأحكام الالهية •

ولم ترد لفظة الحرية بهذا المفهوم فى كتب الفقه ، بل استعملت هذه اللفظة للدلالة على حالة عدم الرق • ولكن عرض الفقه لبعض جوانب

الحرية بمفهومها الحديث فى أبواب عديدة منها باب الاباحـة ، وباب الاختيار ( ضد الاكراه ) وباب التكليف •• ومنها يستخلص اننا ـ فى الاسلام ـ لا تعطى الحرية ـ بالمفهوم الحديث ـ الا لمن هم أهل للتكليف اذ لا يسوغ اعطاؤها للسفهاء والبلهاء والمجانين ونحوهم • وانهم انما يعطون هذه الحرية لاقامة المصالح المعتبرة شرعا ، اذ لا يعقل ـ بطبيعة الحال ـ أن تعطى لأهل الفساد والاجرام يعبثون بها فى الأرض ، ولذلك فالحرية فى الاسلام مقيدة بأنها لمن هم أهل لها ليصلحوا بها • ومن هنا كانت حرية الانتماء السياسى ـ وغيرها من الحريات ـ تكليف وواجب لادراك المصالح التى يعتبرها الشرع •

**الاسلام ووحدة الفكر :**

والاسلام بطبيعته يؤدى الى وحدة الفكر •

لأنه نظام عقيدى أو مذهبى يقوم على ايمان عام •

فكلما كان الايمان صحيحا خاليا من الانحرافات ، كلما أدى ذلك الى تضامن الأمة وتماسكها ووحدة عقيدتها ، كما كان الأمر فى عهده صلى الله عليه وسلم •

أما اذا اختلفت الأمـة فى المسائل العقيدية ، فان هذا يؤدى الى تشقق القاعدة الشعبية وهى الأمة ، فتنقسم الى فرق ( جمع فرقـة ) كل فرقة تجتمع حول أمر خلافى من أمور العقيدة ، وربما تفاقم الخلاف فتحول الى حرب أهلية على الوجه الذى حدث فى فتنة على ومعاوية فى أيام الاسلام الأولى •

ففى أيام الفتنة المذكورة هال الناس اختلاف كبار الصحابة ومحاربة المسلمين بعضهم لبعض • وبرزت الى الاذهان مسألتان من مسائل العقيدة وهما : ما تأثير المعصية فى الايمان ، وهل يظل المسلم مسلما اذا ارتكب الكبائر ؟ والأخرى : هل كانت هذه الفتنة أمرا مقدرا من قبل أم أنه

لا قدر وأن الأمور بداء ( بضم الباء ) تستأنف فى حينها وبمعنى هل الانسان مسير أم مخير فيما يفعل ؟

وبسبب الاختلاف فى هذه الأمور العقيدية ـ وغيرها ـ انقسم المسلمون الى فرق . فذهبت فرقة الى أن مرتكب الكبيرة كافر ، أى يحل دمه وماله وعرضه ( بقذفه ) وكان هذا هو رأى الخوارج ولذلك استباحوا دم على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وطلحة . وذهبت فرقة أخرى الى أن مرتكب الكبيرة هو مؤمن عاصى ومصيره الى الجنة . وكان هذا هو رأى السلف الصالح من الأشاعرة ومن نهجوا منهجهم . وذهبت فرقة ثالثة الى أن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين لا هو مؤمن ولا هو كافر وكان هذا هو رأى المعتزلة .

ومن ناحية أخرى فقد انقسم المسلمون تبعا لرأيهم فى القضاء والقدر ـ الى فرق عديدة منهم الجبرية أو الجهمية الذين يرون أن الانسان مسير بصورة مطلقة ، ومنهم المعتزلة وهم الذين يرون أن الانسان مخير وأن الأمور بداء مستأنفة فى حينها . واتخذت الفرق المختلفة أحد هذين الاتجاهين ـ أو غيرها ـ بصورة تبعية ، فكان الشيعة عموما على رأى المعتزلة ، وكان من الخوارج من على رأيهم أو على غير رأيهم . وعلى هذا المدار تعددت الفرق الاسلامية فى الغالب ، وان ساهمت مسائل أخرى فى تعددها كمسالة أن الايمان هل هو بالقلب فقط أو باللسان فقط أو بالعمل فقط أو هو جامع لبعض هذه العناصر أو لها كلها ، مما أنشأ فرق الكراجية ( بتشديد الراء ) والمرجئة ( بكسر الجيم ) وغيرها . . . .

ولما كان الخلاف المذهبى يؤدى بطبيعته الى انشاء النظم السياسية ، فقد تحولت كل فرقة من هذه الفرق الى حزب سياسى يسعى لاقامة النظام السياسى الذى تقتضيه عقيدته ومن ثم فقد وجد حزب من الخوارج ـ تقسم فيما بينه الى أحزاب كالصفرية والنجدات والاباحية وغيرهم ؛ كما وجد حزب الشيعة تقسم الى فرق كثيرة منها الزيدية والامامية ـ بأقسامها ـ والجارودية وما استجد بعدها من فرق أخرى .

وعلى ذلك فان انقسام المسلمين الى فرق كان مرضا انتاب جسد الأمة ولم يكن ظاهرة صحية يحتج بها . وذلك لقوله تعالى :« ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » . ولأنه لم يكن ثمة فرق فى عهده صلى الله عليه وسلم حتى قامت الفتنة بين على ومعاوية رضى الله عنهما .

وهذه ملاحظة نقدمها للاستاذ الدكتور رضا محرم — مع أشد الاحترام — على الحجة التاريخية التى ساقها ، واستشهد فيها بما نقله عن المرحوم الاستاذ أحمد بك أمين .

فليس قيام الفرق الاسلامية — وما يتبعه من قيام الأحزاب — من خصائص الاسلام ولوازمه ، بل كان ذلك كما أوضحنا مرضا انتاب الامة فى ذلك الحين ، وعلينا أن نحرص على تجنيبها اياه كلما بدت أعراضه وبوادره .

ونكمل ذلك الرد ، بما استدل به سيادته من أن الاسلام يقرر الاجتهاد والشورى ، وأن ذلك من شأنه أن يفتح أسباب الانتماء السياسى .

وفى ذلك نبين : أن الخلاف فى الاجتهاد يؤدى الى انشاء مذاهب فقهية لا فرق دينية . فالخلاف فى العقيدة يؤدى الى انشاء الفرق . والخلاف فى الاجتهاد يؤدى الى انشاء المذاهب . وهذه الدرجة من الخلاف فى الرأى يؤدى الى استفحال الخلاف لدرجة انشاء الأحزاب تبعا لها ، لانه ليس من الجسامة بحيث يجعل المسلم ينتمى الى طائفة خاصة ، أو يخرجه من طائفة لينتمى الى أخرى ولذلك نجد أن فقه المذاهب المنتمية الى الفرق المختلفة يأخذ من بعضه بعضا فى كثير من الامور حتى عرف عن الشيعة الزيدية أنهم يذهبون مذهب أبى حنيفة فى الفقه .

والاجتهاد بطبيعته يكون فى الفروع والنوازل لتعرف حكم الله فيها ، وقد يقع الاختلاف فيه بسبب الاختلاف فى الاخذ ببعض الأحاديث فيحتج البعض بالحديث ولا يحتج البعض الآخر به لطعن يلغهم فى

أحد رواته مثلا أو نحو ذلك ، أو بسبب الاختلاف فى الفهم اللغوى لبعض العبارات كما فى حديث العزل ، اذ فهم بعضهم قول النبى صلى الله عليه وسلم لمن أرادوا العزل : « افعلوا أو لا تفعلوا فما من نفس كتب الله لها أن تخرج الا خرجت » أو كما قال ، ففهمه البعض على أنه اباحة وفهمه البعض الآخر على أنه نهى . أو كما فى غسل الرجلين أو مسحها فى الوضوء فالذين قرأوا قوله تعالى : ( وامسحوا برؤسكم وأرجلكم ) بكسر اللام رأوا مسح الرجلين ، والذين قرأوها بفتح اللام عطفا على قوله تعالى : ( فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ) رأوا غسل الرجلين . وليس فى ذلك أو أمثاله ما يجعل الانسان يتبرأ من أخيه ويخرجه من طائفته ويقاتله . بخلاف ما لو اختلف معه فى أمر من أمور العقيدة فانهما ينفصلان بذلك .

وهكذا فان اختلاف المسلمين فى الاجتهاد — ونشوء المذاهب تبعا لذلك — لا يفتح باب الانتماء السياسى ولا ينشىء الأحزاب •• وكثير من المسلمين يطبقون المذاهب المختلفة فى عملهم ويأخذون من كل مذهب بما يرونه ، ومنهم من ليس على مذهب ، بينما يتعذر فى المسائل العقيدية أن يجمع بين فرقتين ، لأنه يستحيل أن يؤمن وينكر فكرة معينة فى وقت واحد .

ولذلك فاننى لا أوافق على قول الاستاذ الدكتور رضا أن اعتراف الاسلام بالاجتهاد يتطلب الاعتراف بحق المسلم فى الانتماء السياسى ••

وكذلك لا أرى رأيه فى أن الاعتراف بالشورى توجد مناسبة الانتماء •• فمجال الشورى هو الأمور المباحة فقط والتى لا نص فيها . ولذلك فهو لا يوجد أى مناسبة للخلاف الجدى الذى يفترق به مسلم عن آخر •• فهى مسائل تقديرية بحتة قد يكون مردها للخبرة العملية فحسب ، وذلك كنزول القائد بالجيش فى موضع معين على ما حدث فى غزوة بدر فهى مسألة مباحة لا نص فيها ومرجعها الى الملائمة والتقدير فحسب ، ومثلها مسألة حفر الخندق فى غزوة الأحزاب ، وكذا مسألة تأبير النخل فالمرجع فيها الى الخبرة الزراعية ولذلك قال النبى

صلى الله عليه وسلم فيها : « أنتم أدرى » أو أعلم « بشئون دنياكم » وقد بين الامام البخارى ذلك بوضوح فى باب « وأمرهم شورى بينهم » ( طبعة الشعب الجزء ٩ صفحة ) فقال « وكان الأئمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمناء من أهل العلم فى الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها فاذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه الى غيره » وضرب مثلا من ذلك انه لما عزم أبو بكر على قتال مانعى الزكاة عارضه عمر ، ولكن لما تبين أبو بكر أن ذلك تبديل للدين لأنه تفريق بين ما جمع رسـول الله صلى الله عليه وسلم من أمور الايمان ، حاربهم . لأن المسألة انتقلت الى الخلاف فى العقيدة ولم تعد من المباحات التى تجوز الشورى فيها

ولذلك فمن رأيى أيضا أن اعتراف الاسلام بحق الشورى لا يعنى اعترافه بالانتماء السياسى وليس حجة فيما أراد الاستدلال به .

**رد على ما نقله عن الاستاذ فتحى عثمان :**

وفى الواقع فاننى لم أطلع على ماكتبه الاستاذ المفكر الكبير فتحى عثمان فى وقته

ولكن الاستاذ الدكتور رضا نقل عنه أنه حدد بعض ملامح المسلم اليسارى بما يلى :

« اذ يجاهد فى سبيل الله والمستضعفين ويناصر الأيدى العاملة التى يحبها الله ورسوله ، ويسـعى الى الحلول الجـذرية للقضايا السياسية والاجتماعية . ويؤمن بأن الجذرية لابد منها وأن تستوعب الأصـول والأسس والجذور من واقع الكيان الروحى والمادى معا ، كما أنه يتمسك بالديموقراطية اذ هى حكم الله فى المصـالح والعلاقات الانسـانية حيث لا يكون النص الالهى القاطع فى وروده ودلالته الخ .. »

والذى نلاحظه على هذه العبارة ــ مع أشد الاحترام ــ أن بعض ما ورد بها خطاب عام لكل المسلمين ولا يصح أن يميز بين مسلم وآخر فيجعل هـذا يمينيا وذاك يساريا . كمـا أن البعض الآخر منها ورد فى

عبارات مرسلة مجملة ليس لها مدلول خاص وان البعض الثالث ليس صحيحا فى ذاته .

فاما الذى يعتبر خطابا عاما للمسلمين وهو أن « يجاهد فى سبيل الله والمستضعفين ويناصر الأيدى العاملة »

وأما ما ليس له مدلول خاص فى نظرنا فهو أن « يسعى الى الحلول الجذرية للقضايا السياسية والاجتماعية ، ويؤمن بأن الجذرية لابد منها وأن يستوعب الأصول والأسس والجذور من واقع الكيان الروحى والمادى معها » فاذا أخرجنا ما يجب أن يسعى اليه جميع المسلمين من أن يردوا الأمور كلها الى الله ورسوله لوجدنا أن سائر العبارة لا مدلول لها .

وأما ما ليس صحيحا فى نظرنا فهو قوله « كما أنه يتمسك بالديموقراطية » اذ عرفها بأنها حكم الله فى المصالح والعلاقات الانسانية حيث لا يكون النص الالهى والذى نعرفه أن الديموقراطية هى حكم الشعب فهى مشتقة من لفظين هما Demos أى شعب و Cratos أى حكم . وهى تجعل الشعب مصدر السلطات وتتخذ الوسائل لمنع الحاكم من الاستبداد بالسلطة ، وذلك باقرار وسائل اقامة مجلس شعبى منتخب يعهد اليه بالسلطة التشريعية ، واقامة الفصل بين السلطات واستقلال القضاء ، واقرار سيادة القانون واحترام الحريات . وهذا النظام يقتضى أن الشعب مصدر السلطات وانه يملك السلطة التشريعية ويسن من القوانين ما يشاء ، وهذا يختلف تماما عما أورده الاستاذ الكبير من أن الديموقراطية « هى حكم الله فى المصالح » . وانما حكم الله فى المصالح هو طريق من طرق الاجتهاد الشرعى المقيد ، وهذه المصالح محددة بأنها اقامة الضرورات والحاجيات والتحسينيات فى أمور الدين والنفس والمال والنسل والعقل والمال بترتيب وضوابط معينة ، وذلك فلا علاقة بين المصالح المرسلة ، والاستحسان ، والتقبيح والتحسين العقليين ونحو ذلك من طرق انزال المصالح ، وبين الديموقراطية .

والواقع أن أصـحاب المذاهب الديموقراطية المعاصرة أرادوا أن يتطرقوا الى الاسلام وأن يتقربوا اليه بأن يتمحل كل فريق منهم ببعض خصائص الاسلام : فالديموقراطية الحرة أو الليبرالية ( وهى التى تتخذ النظام الرأسمالى اقتصاديا ) قربت نفسها الى الاسلام بجامع اعتبـــار الحرية ومكانتها فى النظامين . فقالوا : نحن كالاسلام لأن كلا منا يعلن الحرية ويقوم عليها .

والديموقراطية الشعبية ( التى تتخذ النظام الاشتراكى اقتصاديا ) قالت نحن كالاسلام فى خواصنا النظامية والتضامنية ..

وهذا كله تلبيس . لأن الاسلام حقيقة واحدة تجمع فى نفس الوقت بين الحرية واحترام الكيان الفردى ، وبين النظامية والتضامن الاجتماعى

ولا يجوز للمسلم أن يفرق بين هذه الخصائص فيعلى بعضـــها ليقرر أنه مسلم يمينى ــ أخذا باعتبارات الحرية ــ أو يعلى بعضـــــها الآخر ليقرر أنه مسلم يسارى أخذا باعتبارات النظامية والتضامن . فهذا مما ينطبق عليه قوله تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيــــامة يردون الى أشد العذاب » البقرة .

**كل مذهب سياسى يقوم على عقيدة :**

وكما قال الدكتور رضا فان فكرة اليمينى واليســـارى والوسط والوسط جاءت ــ فى هذا العصر ــ من مدى الانحياز الى الاشتراكية ، بسبب أن النظام الاشتراكى طرأ على النظام الذى كان معروفا قبلها وهو النظام الديموقراطى الحر ( الرأسمالى ) فصار الآخذ بهذا الجديد يساريا لأنه معارض للقديم المستقر • وصار المؤيد للقديم المستقر يمينيا لتأيده للنظم والأفكار القائمة وصار المتوسط بينهما بما يبديه من حلول وسيطة من أهل الوسط .

وفى الواقع كان كل من النظامين الديموقراطى الحر ( الرأسمالى ) والاشتراكى ( اليسارى ) يرتكز على عقيدة خاصة به هى التى انشأت النظامين وجعلت حلولهما مختلفة .

فالنظام الديموقراطى الحر يقوم على فلسفة فردية ، هذه الفلسفة تقتضى أن الانسان حر حرية مطلقة وحقه فى الملكية مطلق مالم يقيده القانون . وهذه الفلسفة تقوم على فكرة العقد الاجتماعى ومؤداها أن الانسان كان فى حالته الطبيعية الأولى state of nature حرا حرية كاملة مالكا لكل شيء فلما عنت حاجته للاجتماع عقد عقدا اجتماعيا تنازل فيه عن بعض حرياته وحقوقه للاحتفاظ بسائرها . فاذا أرادوا اضافة قيود جديدة الى هذا العقد فانهم يلجئون الى مجلس شعبى منتخب لاضافة هذه التعديلات . وهذا يقتضى أن ارادة الشعب هى المسيطرة على النظام وأن الشعب مصدر السلطات ولا قيود على هذه السلطة المطلقة من أى باب .

وأما النظام الاشتراكى فيقوم على فلسفة جماعية ، وهى أن الانسان يدين بوجوده وحقوقه للمجتمع ولم يكن فى يوم من الأيام فى الحالة الطبيعية التى يزعمها أصحاب المذهب السابق ، وأن الاقتصاد هو المسيطر على الانسان لأنه بالتحليل المادى للتاريخ يتبين أنه كان ثمة صراع دائم بين الطبقات وأنه يجدر هدم النظام الحالى لأنه صنيعة الرأسمالية ، واقامة نظام جديد يقوم على الغاء الملكية الخاصة الانتاجية والغاء الأسرة ، والأديان ، واقامة عدالة اجتماعية على أسس مادية .

أما النظام الاسلامى فيقوم على التوحيد . فعقيدة التوحيد ليست ايمانا فى القلب فقط ولا قولا باللسان فحسب بل هى بالعمل على مقتضى هذا التوحيد بتنفيذ ما أمر الله به ومنع ما نهى الله عنه وتقتضى هذه العقيدة أن الله سبحانه وتعالى هو الذى كتب القضاء والقدر وهو يسيره حسب مشيئته .

ومن المستحيل على المسلم أن يجمع بين هذه العقائد الثلاثة فى وقت واحد ، وبالتالى يستحيل أن يصير مسلما يمينيا أو يساريا أو وسطا .

فانه طبقا للمذهب الديموقراطى الحر أو الليبرالى ( الرأسـمالي ) ـ وهو اليمينى فى المصطلح الحديث ـ يكون الانسـان هو صـانع التاريخ وارادته الحرة هى المسيطرة عليه وله أن يفرض من النظم ويسن من الشرائع ما يشاء .

وطبقا للمذهب الاشتراكي ـ وهو اليسارى فى مصطلحهم ـ يكون الاقتصاد هو صـانع التاريخ والمسيطر عليه ويجب أن تسن التشريعات بحيث تمنع الاستغلال والصراع الطبقى .

وطبقا لعقيدتنا الاسـلامية يكون الله وحده لا شريك له هو صانع التاريخ والمهيمن عليه والمسيطر على حوادثه ويجب أن تقوم النظم وفقا للاحكام الالهية .

ومن المستحيل أن يعتقد المسلم أن لله شريكا فى أمور الكون فان ذلك يكون اشراكا كما هو ظاهر .

ومن هنا كانت خطورة انسياق المسلم ـ بحسن نية ـ الى الباس عقيدته الخاصة فى الله وحده لا شريك له ، بغيرها من العقائد التى تجعل لله شريكا من ارادة الانسان أو من هيمنة الاقتصاد .

ويترتب على ذلك أنه فى النظام الديموقراطى الحر يرى النـاس أنه يجوز اصدار أى قانون لأى غرض ، حتى لقد صدرت ـ فى بعض البلاد ـ قوانين باباحة الشذوذ الجنسى وبزواج الرجل من أخته . وانه فى النظام الاشتراكى يجوز اتخاذ أى اجراء لمنع الاستغلال والصراع الطبقى مهما كان عنيفا ومهما كان فيه من معانى اهدار الحريات والحقوق وكرامة الانسان ، وبذلك فان المسلم « اليمينى » لا يستنكر أى قانون صـدر بارادة المجلس الشعبى المختص والمسلم « اليسارى » لا يستنكر أى اجراء اتخذ للحماية من الاستغلال والصراع الطبقى ويغفلان تماما عن أحكام الشرع فى ذلك .

ومن المؤكد أن التطبيقات تختلف تماما من نظام لآخر تبعا للعقيدة الموحية بالنظام .

فاذا نظرنا الى الزنا مثلا ، لوجدنا أن النظام الليبرالى الحر لا يرفضه الا فى الحدود التى يمنعها القانون صراحة . لأنه يرى أن الانسان حر حرية مطلقة فى كل أموره فمن حقه أن يزنى كما يشاء . ولكن اذا نص القانون صراحة — كما فى حالة الاكراه والزنا بقاصر والمتزوجة التى تزنى بغير اذن زوجها ومن تفعله علنا — فانه فى هذه الحدود فقط تتقيد حرية الانسان فى هذا الأمر المباح فى الأصل . وأما النظام الاشتراكى فهو — فى الأصل — لا يحرم الزنا لأنه يرحب بالانجاب لحاجة العمل والجيش ويرى أن الأسرة من عوامل الطبيعة لأنها تشجع على التراكم للتوريث وتؤدى الى التباهى بالأصول ، وهى اذا لم تصرح بذلك فانما هو لاحترام غرائز الناس وخوفا من نفورهم . وأما النظام الاسلامى فهو يمنع الزنا وما يؤدى اليه بالنص ، لقوله تعالى : « ولا تقربوا الزنا » والأخذ بعقيدة التوحيد تقتضى الرضوخ للنصوص كما هى . وهذا من شأنه أن يؤثر فى كثير جدا من قضايا المرأة والشباب والأمور الاجتماعية بحيث نجدها مختلفة تماما فى كل نظام من النظم تبعا للحتمية التى تتبعها .

واذا نظرنا الى الملكية الخاصة فاننا نجدها فى النظام الليبرالى حقا مطلقا فيما لم يقيده القانون ، وهى تعتبر هذا الحق أقدس الحقوق وأساسها . أما النظام الاشتراكى فهو يراها العامل الأساسى للاستغلال والطبقية وهو يحربها لأنه يرى أنها حصيلة تراكم فائض قيمة العمل ولذلك فهو يسوغ الغاءها ووضعها فى يد جماعية كالدولة وفروعها . وأما الاسلام فهو يراها وظيفة اجتماعية موجهة للمصالح الشرعية لأنه يرى أن اقامة هذه المصالح هو فرض كفاية ويرى أن الله سبحانه وتعالى عهد بها للناس لأنفاقها للصالح العام وقال الله تعالى « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » وقال : « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ولذلك فان نظرة هذه النظم الثلاثة الى الملكية تختلف تمام الاختلاف . ولما كانت الملكية هى أساس النظم الاقتصادية والاجتماعية والقانونية والسياسية ولذلك فان

هذه النظم تختلف تمام الاختلاف فى سياستها وأصولها ومن المستحيل أن يكون أحد المسلمين يمينيا ينظر الى الملكية الخاصة على أنهـــا حق مطلق والآخر يساريا ينظر اليها على أنها جريمة ، والثالث يراها وظيفـــة اجتماعية موجهة ، ولا يمكن القول بأن هؤلاء الثلاثة ــ مع هذا الخلاف الجذرى الأساسى يجمعهم نظام واحد ، بل ان كلا منهم ينتمى الى نظام مختلف ومستقل عن الآخر يعالج جميع الشئون الاقتصادية والاجتماعية والقانونية والسياسية علاجا مختلفا تمام الاختلاف من جميع النواحى .

**خطورة الأمر :**

والخلاصة أن القول بالمسلم اليمينى والمسلم اليسارى يؤدى الى تقسيم المسلمين الى فرق ، والى فتنة عارمة فى العقيـــدة والى خلافات جوهرية فى التطبيق تهدد أصول الاسلام .

ولو أتيح للعلماء كتابة علم العقائد من جـــديد لوجب عليهم أن يضمنوه دراسة فرق المسلمين اليمينيين وفرق المسلمين اليساريين والرد على مزاعمهم وشبهاتهم ، بدلا من التزام عرض فرق الشيعة والخوارج والمعتزلة وسائر الفرق التى أصبحت فى ذمة التاريخ ولم يعد لها خطر .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

## ( استدراك )

شهد مقال ( القرآن الكريم والمسألة الاجتماعية ) للدكتور عماد الدين خليل المنشور فى العدد العاشر من المجلة ، صفحة ٩٣ ــ ١٢٠ عددا من الأخطاء المطبعية أدى بعضها الى تغيير معانى بعض الكلمات بشكل مخل بسياق البحث ... وفيما يلى تصويب لأهم تلك الاخطاء :

| الصفحة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٩٥ | ١٢ | يرفضون | يطرحون |
| ٩٥ | ١٥ | المؤمنين | المترفين |
| ٩٥ | ٢١ | المؤمنين | المترفين |
| ٩٦ | السطر الأخير | المؤمنين | المترفين |
| ٩٨ | ١٧ | المؤمنين | المترفين |
| ٩٩ | ١٤ | وتعطى | وتطغى |
| ٩٩ | ٥ قبل الأخير | المؤمنين | المترفين |
| ١٠١ | ٥ قبل الأخير | اعتدامة | اغداق |
| ١١٠ | ٧ قبل الأخير | لدعم | لتدمير |
| ١١٣ | ٣ قبل الأخير | الصحفية | الصوفية |
| ١١٩ | ١ | فصل | فعل |
| ١١٩ | ٤ | العناء | العطاء |

# اليســـار الإســـلامى

## دعـــوة اليه ...... وتعريف جديد

سيف الاسلام محمود

---

لعل نشر مقالات بعنوان ــ اليسار الاسلامى ــ هو فى حد ذاته برهان على أن المجلة قد التزمت بالمنهاج الذى تحدث عنه رئيس تحريرها فى عددها الأول « ولكنها مجلة تحاول الوصول الى الرأى الحق فى المشكلات التى تعترض الاســلام فكرا وتطبيقا فى عالمنا المعاصر » .. أقول .. جذبت هذه المقالات انتباهى .. تلك المقالات التى اتخــذت طابع الحوار الذى ما لبث أن انقطع .. فما كان من تحريرهــا الا أن طالب بوصل ما انقطع فى العدد العاشر فكان لابد من كل من يحمــل فكرا يندرج تحت اسم اليسار الاسلامى أن يتقدم بما عنده ويلقى فى ساحة الحوار بما يحمل .. وكاتب هــذا المقال اذ ألقى بما عنده .. ليطمع أن تهدى اليه عيوبه ... قولوا .. « رحم الله عمرا » .

ان المتابع لما كتب عن اليسار الاسلامى ــ أو المسلم ــ يلاحظ أن ما كتب عنه كان أسير تعريف مفرد لليسار .. وهو التعريف المرتبط بالناحية الاقتصادية .. هــذا التعريف الذى اصطلحت عليه الهيئــات الاخبارية والاعلامية .. فى يومنا هذا .. فصار الاسم يطلق على الجناح المنادى باحداث تغيير فى النظام الاقتصادى العالمى الحالى والذى يتسم بطابع الرأسمالية .. وتغيير هذا النظام الى آخر يتسم بطابع أصطلحوا

على تسميته اشتراكية •• أو شيوعية •• أو نحو ذلك •• يقود هـذا الجناح •• آل ماركس •• ينادون فى بلادهم « من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته » وينادون عندنا بصفة مؤقتة « من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله » •• المهم •• لا أريد أن يجذبنا هذا الاستطراد بعيدا عن الموضوع •• ولا أرى بأسا من أن تنطرق قليلا الى رواية قرأتها عن أصل تسمية اليسار واليمين •• وعلى جهلى بمدى صحتها •• فسأرويها •• تقول الرواية أن فى احدى جلسات البرلمان — وأظنه الانجليزى — انحاز المؤيدون للحكومة •• نحو اليمين والآخرون نحو اليسار •• فسـمى هؤلاء يمينا وهؤلاء يسارا •• ومن هذا المنطلق ومن هذا التعريف أكتب مقالى وأعرف اليسار الاسلامى على أساسه بأنه هو « الاتجاه المعارض والمصحح فى داخل الحركة الاسلامية » •

أسمع أصواتا عالية تدق بقسوة سندان أذنى بمطرقتها وتتساءل •• أو نحن ناقصـون « تفتيت وفركشـة » حتى تقسمنا يمينا ويسـارا ؟ ولهم أقول •• دعوا مطرقتى وسندانى وتعالوا نمسك بالقرطاس والريشة وتتناقش فى هذا الموضـوع •

مع أن للسؤال السالف الذكر وجـاهة لا تنكر •• الا أن المتابع للحركات السياسية والدينية فى العالم أجمع ليجد أن الاتجاه المعارض — وخاصة اذا كان على قدر المسئولية — يخـدم تلك الحركات أكثر من اتجاهها الكلاسيكى •• ولعل عصـابات الهاجاناه بقيـادة الارهـابى — سابقا — ؟؟ مناحم بيجن مثل على ذلك فى عالمنـا العربى •• ولعل التنظيمات الفدائية الفيتنامية المعارضة مثل آخر عليه فى منطقة الشرق الأقصى •• واذا لم يكن هـذا الاتجاه على قدر المسئولية تصـارع هو والكلاسيكى فكان وبالا على أمته •• وتعاون هو والتقليديون — بعلم أو جهل لا فرق — مع أعداء أمتهم فى هدمها وتقويض دعائمها ولا داعى لضرب الأمثال ؟؟ ••

والناظر الى الحركة الاسلامية المعاصرة •• يجد أنها لم تكن يوما فى حاجة الى هذا اليسار حاجتها اليوم اليه •• ولعل أوضح الأشياء

التى تعتبر سببا لهذه الحاجة •• هو المحن المتكررة التى كانت لها ــ علاوة على محاسنها ــ نتائج سلبية خطيرة •• وقبل أن أبدأ فى عد هذه النتائج أحب أن أقول انه لا يصح أن نعتقد أننا معذورون فى سلبياتنا هــذه وأن عذرنا هو المحن •• فقد مر المسلمون الأوائل بمحن مثلها وربما أشد فما كانت الا كمثل ــ صنفرة ــ صقلت هؤلاء الرجال ••وخرجوا منها كأفضل ما يكون الرجال •• بالاضافة الى أعتقاد يقول أن هــذه المحن ــ أو على الأقل بعضها ــ ما كان الا نتيجة لغفلة وسذاجة مرت بالحركة •• وأدعو الله أن تكون مرحلة طبيعية ــ مجرد مرحلة ــ فى تاريخ هذه الحركة •• ولنعد الى ما كنت أتكلم عنه من السلبيات التى تخلفت بعد المحن •

١ ــ السلبية المطلقة •• الشاملة أو الجزئية تمنن الكثير من أعضاء الحركة •• وليس أعضاؤها فقط •• وانما بعض الرواد أيضــا •• تلك السلبية التى تتسبب فى ــ فرملة ــ كل حركة شجاعة •• فمن التاريخ نقول ان كل حركة جديدة •• مخلصة تحتــاج الى قــدر من المغامرة المحسوبة •• وتحتــاج الى قرارات تبدو غير ســليمة •• حتى تحقق النجاح •• والا بقيت كما هى فى حالة ســكون وفى أحسن الأحــوال محلك سر •• وذيوع منطق كمنطق « يكفى كل منا تربية أولاده » والتى تفشى بشكل خطير •• ليعتبر معولا يهدم فى هذه الحركة •• وليعتبر منطق ــ اننا فى حاجة الى قرون حتى نحقق ما تتمناه •• فحركة مثل حركتنا لا يهمها الوقت والسرعة قدر اهتمامها بالنتائج ــ وهى كلمــة فيها بعض الحق ويراد بها باطل ــ وذيوع هــذا المنطق ليعتبر قمــة الهزيمة لهذه الحركة •• فما أرى فيه الا احباطا للهمم •• وركونا للدعة والخمول •

٢ ــ الحكمة ••• نعم الحكمة المفرطة وليست بحكمــة ولكنهم يدعون أنها حكمة •• والتى تضخمت وصارت خوفا وهلعا من كل خطوة تتسم بالجراءة فى الميدان •• هذا الخوف الذى يغطى ظلما اما بالحكمــة أو « المؤمن كيس فطن » •

والنقطتان السابقتان أحب تشبيههما بالسرطان الذى تغلغل فى كافة أنحاء الجسم ــ جسم الحركة ــ حتى وصل لبعض أجزاء المخ •• والذى نخر فى عظم الحركة حتى صارت لا تقدر على حركة الا أن يشاء الله •

٣ ــ الحماس •• نعم •• فكل شيء زاد عن الحد انقلب الى الضد فقد كانت ردة الفعل الطبيعية للسرطان •• تهيج بعض أنسجة الجسم واتخاذها مسارا يتسم بالحماسة •• ولكن بلا عقل يفكر •• ففقدوا بحق صفة الفطانة والكياسة وسقطوا فى أخطاء حركية ما كان أبدا يصح أن يسقطوا فيها •

٤ ــ الفجوة ••• وهذه نقطة أعذر فيها الحركة الى حد ما •• نعم تلك الفجوة التى بين شباب الخمسينات وشباب السبعينات •• وهى فجوة فكرية •• وحركية وحضارية •• فما بالك بالهوة التى بين شباب الثلاثينات والأربعينات وشباب يومنا هذا •• ولهذه الفجوة ولتلك الهوة نتائج لا أظنها خافية على أحد •• وليس هذا مجال مناقشتها •

فكل نقطة مما سبق تعتبر سببا وجيها للدعوة لما أسمية اليسار الاسلامى ــ بتعريفه السابق ــ حتى ينتشل الحركة من الغرق •• أو من الفشل الذريع أو من كليهما •

وقد بلغنى عن الامام حسن البنا أنه كان رجلا حكيما •• فقد بلغنى عنه أنه نجح فى أن يضم تحت أبط حركته المسلمين جميعا من أقصى اليمين لأقصى اليسار •• وكذا كان خلفه •• فلم تنشأ المشكلات التى تعترض طريقنا اليوم •

واليسار الاسلامى ــ فى حالة وجوده ــ أعتقد أنه سيكون المحتضن للشباب المسلم الجامعى •• هذا الشباب الذى أراه يتحرك بغير علمية كنترول •• والذى أخشى أن يتسبب فى شيء لا قدر الله يكون ضررا على الحركة •• هذا الشباب الذى يتمزق بين سلبيات الحركة ــ وهو يدين لها بالولاء كفكرة ومبدأ ــ وبين حرصه على عدم رفع صوته •• خشية تدمير حركته فحماسته الدفاقة تصمه بالخيانة ان فعل •• وتصمه

بالخيانة ان لم يفعل •• وهو بين الاخلاص والخيانة حائر •• تائة •• لا يعرف أى الطريقين يسلك •• ؟ •• ولا يدرى أهناك طريق بديل ثالث ؟؟ أظن هذا اليسار ان وجد سيكون وسطا بين الكبار وغرور الخبرة •• وكبرياء السن وبين الصغار وغرور الحماسة •• وكبرياء الفتوة •• سيكون باذن الله •• جبهة الرفض •• وأعنى به الرفض المنظم •• الذى هو ظاهرة صحية •• وعدمه ظاهرة مرضية •• ومن شأن انعدامه ان يدع السوس ينخر فى عظام الحركة الاسلامية •• على أننى حين أتوقع أن يكون رافضا انما أعنى أن يكون مختلفا مع الآخرين فى التصرفات •• التكتيكات •• لا المبادىء والا انتفت عنه صفة الاسلامى •• أن يكون داخل الحركة •• لا خارجها •• والا أنتفت عنه صفة الولاء والاخلاص •• أن يكون ضاما للصفوف لا مفرقا لها •• قارنا العمل بالقول •• والا لم يختلف عما نراه فى محيطنا العربى •

ولأترك لنفسى العنان فى تصور مهام هذا اليسار •• وأعماله •• لعله سيكون أول من يدرس الحركة الاسلامية دراسة واعية •• بموضوعية وجدية •• بروح الناقد المخلص • لا روح العدو ، بروح الدارس لا روح الأسير للاسم •• أذكر أننى كنت أتكلم مع أحد الكلاسيكيين •• فما أن ذكر أن فلانا قال كذا وكذا ــ كلاما فى تاريخ الجماعة ــ فما كان من صاحبنا التقليدى الا أن صرخ •• « انه اما •• خائن •• أو جاهل •• أو حقود •• أو يريد أن يظهر بمظهر العارف ببواطن الأمور •• اننا لم نرتكب خطأ » •• ووجود مثل هــذه الروح •• ليجعلنا دائما فى عملنــا واقفين •• لا نعرف أين انتهى الآخرون •• ولا من أين بدأوا •• فنبدأ من جديد من حيث بدأوا •• ونظل تائهين فى بيت جحا لا نعــرف أين الطريق •• ونصرخ •• أين المفر ؟ ••

لا أنسى توقعا أن يكون اليسار الاسلامى •• ليكون فرصة لكى ننشر غسيلنا القذر على حبالنا نحن لا على حبال الجيران •• أو الأعداء •• ورحم الله كاتبا اسلاميا نشرغسيلا قذرا على حبال مجلة يسارية معروفــة يوم لم يجد منبرا يرفع فيه صوته سواها •

سيعالج ان شاء الله •• البيروقراطية التى سادت بين الجماعة •• نظرا لطبيعته الرافضة •• سيتسبب فى كشف الانحرافات داخل الجماعة •• والخيانات وهى ليست بعيـدة عن حـركة كحركتنا •• ولعـل غرور الكلاسيكين فى هذه الناحية بلغ أعظم مبلغ عندما كان آحدهم يحدثنى عن تسلل أعضاء الحركة داخل أحزاب ما قبل الثورة •• « وأما هم ــ أى الاحزاب ــ فلا يمكنهم التسلل لنا •• لأن لنا مبادىء وعادات يصعب عليهم اتباعها » •• ونسى أنهم أصحاب مبادىء أيضا وسيفعلون كل ما فى وسعهم كما يفعل هو كى ينجحوا •

ستكون ــ ان شاء الله ــ خطوة وضع استراتيجيـة للجماعة •• خطوة بارزة لهذا اليسار •• ستختفى باذن الله الاجابة التى تقول •• نعمل لأجل تحكيم الاسلام •• عند السؤال من أجل ماذا تعملون ؟ •• وستحل مكانها اجابة •• نعمل •• للوصول لكذا •• فى كذا سـنة ثم كذا •• حتى فى النهاية نستطيع تحكيم الاسلام •• ستختفى بعون الله الارتجالية فى العمل وتحل محلها •• الطرق المنظمة •• سيكون اليسار ان شاء الله مدرسة لتخريج القادة •• القادة بكل مقومات القائد •• من موهبة •• الى ثقافة •• الى روح مغامرة •

ستتطور الحركة ان شاء الله •• وسيعلو اسمها •• ولا أدعى أن هذا كله مقرون بنشأة اليسار الاسلامى •• ولكنى متأكد بأنه أقوى عوامل هذا التطور •• والعلو •

وفى النهاية أظن أن من حقى أن أسأل الرافضين لمثل هذا اليسار • أسألهم مقدما •• متى ستبدأ مسيرتكم الجادة ؟ والى أين •• ؟ وهـل نصـل ؟ •

تعليق د. محمد فاضل الجمالي *
على مقال د. زغلول النجـار

---

حضرة الأخ الفاضل رئيس تحرير مجلة « المسلم المعاصر » المحترم

تحيـة زكية

وبعد فقد أطلعت على مقـال « ازمـة التعليم المعـاصر وحلولها الدينية » ( ٢ ) فى العدد الثانى عشر من مجلة « المسلم المعاصر» الغراء بقلم الأستاذ الفاضل الدكتور زغلول راغب النجار • ومع أنى لم اشرف بمعرفة الدكتور زغلول شخصيا أو علميا فقد سررت لاشارته فى مقاله الى شخصي واقتباسه من كتابى « تربية الانسـان الجديد » الصـادر فى تونس سـنة ١٩٦٧ •

ان الدكتـور زغلول يتناولنى فى مقـاله فى نقطتين مختلفتـين . الأولى فلسفية تربوية : فهو يحسن صنعا اذ يقتبس فقرة من مقدمة كتابى « تربية الانسان الجديد » أقول فيها :

« لقد اقتنعت الآن أن فلسفة التعليم العراقى أكدت الناحية العلمية الضيقة أكثر من تأكيدها نواحى الاخلاق والروحيات كما أكدت الناحية الحفظية اللفظية أكثر من تأكيدها على الفكر والعمل وأكدت القوميـة الضيقة أكثر من تأكيدها الاسلامية الانسانيـة • كما كانت التربيـة

---

(*) الجامعة التونسية شارع ٩ أفريل تونس •

العراقية ديكتاتورية أكثر منها ديمقراطية واتكالية أكثر منها استقلالية وفردية أكثر منها تعاونية وباختصار انها لم تكن تربية ذات فلسفة حياتية شاملة ومتزنة • هذا وقد ظهرت نقائص التربية العراقية فى أيام الهزات والمحن • ولايزال العراق فى نظرنا يعانى من مواطن الضعف المتأصلة فى فلسفته التعليمية » • ثم يعقب الأستاذ فيقول « وهذه نقائص التربية فى مختلف الدول العربية والاسلامية المعاصرة » • انى أوافقه على تعقيبه هذا كل الموافقة وأقول له ان الحكم لذى أصدرته على التربية العراقية توصلت اليه بعد خبرة فى الحياة التعليمية والسياسية دامت نحو نصف قرن •

ومن الواضح والمعلوم أنى لم ابدأ حياتى التعليمية وأنا عارف مشاكل التربية هذه وليس بين البشر من يولد وهو ملم بكل الخبرات أو هو مزود بحل كل المشكلات التى تجابهه فى الحياة •

أما وقد توصلت الى هذه النتائج فانى أضعها اليوم بكل سرور تحت تصرفه وتصرف أمثاله من الأساتذة الأفاضل والمسئولين عن شئون التربية والتعليم فى العالم الاسلامى •

أما النقطة الثانية التى تناولها الكاتب الفاضل والتى تمسنى مباشرة فهى قضية حساب أو عتاب : انه شرفنى بقوله : « ••• فهذا هو الدكتور الجمالى •• وهو من رجال التربية المرموقين ورجل الدولة الذى شغل كثيرا من المناصب القيادية فى العراق حتى وصل إلى رئاسة مجلس الوزراء أكثر من مرة •• يقف بعد سن الخامسة والستين ينعى على النظم التعليمية العراقية خروجها على المنهج الاسلامى فى التربية !!! »

أقف هنا لادعو الكاتب المحترم الى الالتزام بالروح العلمى والدقة فى التعبير وهما من ضروريات التربية الاسلامية • فانى لم أقل فى الفقرة المقتبسة بان التربية العراقية « خرجت على المنهج الاسلامى » بل قلت انها « أكدت القومية الضيقة أكثر من تأكيدها الاسلامية الانسانية » والفرق كبير بين « درجة التأكيد » وبين « الخروج على المنهج الاسلامى »•

ثم ان الكاتب الفاضل بعد ذلك يتساءل « وأين كان هو من نظم التعليم العراقى وهو يشغل أكبر المناصب السياسية فى بلده وهو الذى يعلم ان الله ليزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن » •

يظهر من هذا السؤال ان الكاتب المحترم غير ملم بأحوال العراق السياسية فى ذلك العهد وظروفه المتقلبه • كما أنه غير مطلع على كفاحى فى حقل التعليم العراقى • ولو أنه اتصل بى وتعرف على آرائى لما احتاج الى توجيه سؤاله المتضمن صيغة الحساب والعتاب •

ومع ذلك فانى أجيبه باختصار : بأنى توليت شئون التدريس سنوات عديدة وكنت فيها مرتاح الضمير فى كل الأوقات ثم انى توليت شئون الادارة الفنية فى الوزارة ( وزارة المعارف ) ما يزيد على العشر سنوات ولم أكن آنذاك المسئول الأول ولم اتمتع باية سلطة سياسية فلم أتوفق بانجاز أى اصلاح حقيقى أو تغيير جذرى فى شئون التعليم ومع ذلك فقد عملت الممكن وهو ليس بالقليل ، وهو ما عنيته فى الفقرة التى تسبق الفقرة المشار اليها فى المقدمة : « لاشك فى أن من دواعى سرورى وسرور كل معلم أن يرى فى حياته عددا غير قليل ممن رعا تربيتهم ونموهم العلمى أصبحوا فى عداد الأساتذة والعلماء والساسة والزراعيين والاطباء والاقتصاديين والمهندسين والفنانين • ولكن ما يحز فى نفسى هو أن أرى فى تتاجنا التربوى العراقى ضعفا فى الحياة الروحية وضعفا فى العلاقات الانسانية بين الأفراد والجماعات » •

وبعد حركة السيد رشيد عالى الكيلانى سنة ١٩٤١ احتل الانجليز العراق من جديد وألحوا على اقصائى من التعليم نهائيا فنقلت الى العمل فى السياسة الخارجية سنة ١٩٤٣ وبدأت درس قضايانا القومية والشئون الدولية وهذه حرمتنى من مباشرة شئون العراق الداخلية ولاسيما فى حقل التربية والتعليم • ومع ذلك فانى لم أنقطع عن الكتابة والقاء المحاضرات فى شئون التربية والتعليم • وكنت وما زلت أعتقد ان التربية فى العالم الاسلامى تحتاج الى تجديد البناء على أسس :

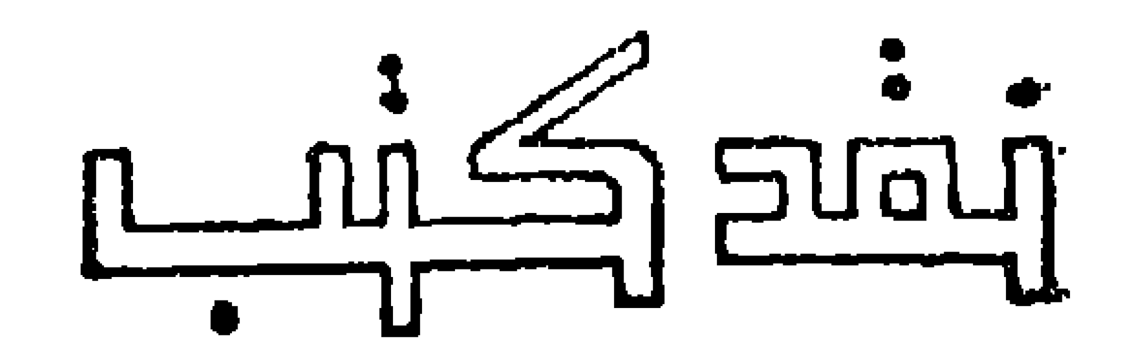
١ ــ الايمان والاخــلاق كموجهين للحيــاة وللســلوك الفردى والاجتمــاعى •

٢ ــ العناية بالحيــاة العلميــة والانتاج على أسس علمية وتقنية حديثــة •

هذا وانى ما زالت قائما بتدريس التربية وعلم النفس فى الجامعة التونسية منذ سنة ١٩٦٢ أى منذ ست عشرة ســنة • وما زلت أكتب وأحاضر فى الشئون التربوية فى داخل تونس وخارجها • وقد صــدر لى فى تونس منذ أن حللت بها ستة مؤلفات وجدت ثلاثة منها ( رقم ٢ و ٣ و ٤ ) فى « دليل الباحث فى التربية الاسلامية » المنشور فى العدد نفسه فى مجلة « المسلم المعاصر » •

وأخيرا أرجو أن تصبح التربية الاســلامية المعاصرة محل درس وتحقيق عميقين بدون أحكام سريعة أو مبالغات • وهذا يتطلب الاتصال والرجوع الى المنابع الأصلية • وانى أسر لو اتصل بى الكاتب الفاضل وأطلع على ارائى وأبحاثى قديمها وحديثها • ولو فعل ذلك لما احتاج الى التساؤل عن « انى كنت فى نظم التعليم فى العراق ؟ » •

وهأنا أهديه بواسطتكم آخر مطبوع صدر لى فى حقل التربيــة الاسلامية آملا أن يطلع على موقفى الحاضر مع تمنياتى الطيبة له ولكم• مع رجاء نشر هذه الرسالة فى مجلتكم الزاهرة واعتبارى من المشتركين بهــا •



# معـــذبـو الأرضـــ

**فرانتز فانـون**

د. نعمان عبد الرازق السامرائي

---

**تمهيـــد :**

اعتدت حين يقع فى يدى كتاب أن أبدأ بقراءة مقدمته والخاتمة .. المقدمة لأعرف منها فكرة عن الكتاب والهدف من تأليفه ، ومنهج كاتبه فى البحث ، ثم أقفز بعد ذلك الى الخاتمة ، لأرى ما توصـل اليه ، ثم أقرر بعد ذلك قراءة الكتاب أو تركه .. ومعروف أن المؤلف دوما يؤخر كتابة المقدمة والخاتمة ، حتى تكون آخر ما يكتب .

وحين وقع فى يدى كتاب « معذبو الأرض » سرت على هـذه الخطة ، فأعجبت بالخاتمة ، فلما انتقلت الى التمهيد وجدته ( لسارتر ) فصدمت ، ولكنى وجدت الرجل رائعا فيما كتب ، فهو ابن الحضارة الغربية ، وليس لديه عقدة « الخواجة » ولا هو مفتون بالحضـارة الغربية كبعض أبناء جلدتنا .

لقد وجدت ( سارتر ) يصرخ بأعلى صـوته محذرا أوروبا من سقوطها وفشلها بينما ما يزال « البعض » عندنا لا هدف له ولا غايـة

الا تقليد أوروبا بشرقها وغربها ، أو الافتتان بوليدها البكر «أمريكا» • والدعوة للسير خلفها ولو على الأشواك •

اننا لا نريد أن نعلن حربا صايبية ضـد أحد ، ولكنا لا نرضى لأنفسنا أن نقلد مفلسا كأوروبا •• وقد يقول قائل هل أنتم مستغنون عما أنجزته أوروبا ؟ فنقول نعم ولا ••• ( لا ) للأفكار والعقائد وعلى الأخص فى الانسانيات كعلم الاجتمـاع مثلا ، ( ونعم ) للتقنية والتنظيم وأصول البحث ، وكافة الانجازات العلمية •• انأوروبا ورثت عن العالم، ومنه العالم الاسلامى علومه وتجاربه ، ولكنها رفضت عقيدته وسلوكه ، ونحن يسعنا ما وسعها ، اذ بامكاننا أن نعيد التجربة فنأخذ ما نحتاج ، ويلائم طبيعتنا ، ونرفض ما يتعارض مع عقيدتنا ومنهجنا فى الحيـاة ، لا نفعل هذا تعصبا وانغلاقا ، وانما اختيارا وانتخابا •

وقد يقول البعض مع « توينبى » اما أن نأخـذ الكل أو نترك الجميع ، ونرد بأن هذه « الحتمية •• لا أساس لها ، وقد سبق أن أطلع المسلمون على حضارة الفرس واليونان ، فأخذوا التنظيم الادارى عن الأولى ، والفلسفة والمنطق عن الثانية ، دون أن يكلفهم ذلك أخـذ الحضارة أو نقلها كاملة •

وهذه أوروبا تأخذ عن المسلمين بعض طرقهم فى البحث ، ونتائج ما توصـلوا اليه فى العلوم ، ولكنها ترفض الاسـلام ، كما ترفض الحضارة الاسلامية وقيمها •

فالقول بوجوب أخذ كل ما أنتجته الحضـارة الغربية أو تركه « حتمية » غير واردة ينكرها التاريخ ، والا لكانت كل أمة ناقـلة لحضارة من سبقها حرفيا بكل ما فيها ، وليس لها الحرية فى رفض شىء ولو كان ضارا بها ، مفسدا لما تعتقد •

ان ( سارتر وفانون ) يجندان أنفسهما لكشف عورات الحضارة الغربية ، ويحذران العالم الثالث من متابعتها والاقتداء بها وكتـاب

« معذبو الأرض » جدير بأن يقرأ من قبل المعجبين بالحضارة الغربية ، والصادين عنها ، اذ هو وثيقة من جملة وثائق تكشف هذه الحضارة ، وما جناه أبناؤها والله الموفق .

الدكتور
نعمان عبد الرزاق السامرائي
كليه العلوم الاجتماعية

## « معذبـو الأرض »

١ ــ المؤلف : هو الطبيب « فرانتز فانون » والترجمـة للدكاترة سامي الدروبي وجمال الأتاسي ، وهو من منشورات دار الطليعة ببيروت « فانون » زنجي من المارتينيك حضر الى فرنسـا ودرس الطب في مدينة « ليون » وقد أظهر خلال دراسـته نبوغا وتفوقا ، وكان الى جانب دراسته انجادة يشارك في النشاط السياسي مع طلبة المستعمرات ، وقد تخرج متخصصا في الأمراض العقلية ، وعين في الجزائر بمدينـة ( بليدة ) ، وكان طبيبا ناجحا ، نشرت له عدة بحوث .

وقد هيأت له فرصة العمل بالجزائر الاتصال بثورتها منذ البداية ، فآمن بأن الثورة هي الطريق الوحيد لتحرير الانسان ، وانسجاما مع هذا الاعتقاد قدم عـام ١٩٥٧ م استقالته من منصب رئيس مستشفى الامراض العقلية ، لأن استمراره في عمله يصرفه عن واجبه الأكبر ، وهو محاربة الاستعمار .. وبعد الاستقالة انضـم للثورة الجزائرية ، فأسندت اليه مهمات كثيرة ، كتمثيل الثورة في المؤتمرات الدولية بوصفه، رئيس وفدها ، ثم بدأ المرض يدب في جسده ، فانسحب من الحيـاة العامة ، ليتفرغ لكتابة « معذبو الأرض » وهو يعرف جيدا أن سرطان الدم يدفعه بسرعة نحو الموت ، وفي السابع في كانون الأول عام ١٩٦١ توفي في مستشفى بواشنطن قبل أن يتم العقد الرابع من عمره ، فنقل جثمانه الى تونس ، ومن هنـاك هرب الى داخـل الجزائر ، ليدفن

هناك . وقد قـال فيه ( بن بلا ) : ( لم يكن فانون رفيقا فى المعركـة فحسب ، بل كان مرشدا وموجها ، لأنه ترك لنا من انتاجه الفكرى والسياسى ما هو ضمانة للثورة الجزائرية ) .

ويقع الكتاب فى ( ٣٠٠ ) صفحة ، ويحتوى على مقدمة للمترجمين، ثم تصدير لسارتر ، ثم بحث عن العنف ، وآخر عن الانطلاق العفوى ، فمزاياه ومواطن ضعفه ، وثالث عن مزالق الشعور القومى ، ورابـع فى الثقافة القومية ، وخامس فى الحرب الاسـتعمارية والاضـطرابات النفسية ، وأخيرا الخاتمة .

٢ ــ فى المقدمة : جاءت ترجمة حياة المؤلف مع تحديد لمنهجه فى البحث ، والفكرة الأساسية : ( ان الفكرة الأساسية التى يدور عليها كتاب فانون ( معذبو الأرض ) هى ( ان العنف هو السبيل الوحيـد للقضاء على الاستعمار ، ان هذا العالم الاستعمارى الذى قام على العنف لايمكن الخلاص منه الا بالعنف ) .

٣ ــ والمؤلف يجند قلمه لاثبات هذه القضية ، ويلح عليها الحاحا، حتى كأنه يخشى عليها الضياع أو السرقة .. ثم هو يصف الثورة على الاستعمار كعلاج لكثير من الامراض التى جاء بها الاستعمار ، فهى « مطهر » قوى ، وعامل جمع للأمة التى يعمل الاستعمار من أول لحظة على تفتيت وحدتها ، وزرع أسباب الفرقة والشتات بين أبنائها .

ويذكرنا حديث ( فانون ) عن الثورة بحديث المجاهد عبد الكريم الخطابى رحمه الله ، فقد كان يعتقد اعتقادا جازما أن فرنسا ــ ومثلها ــ كل المستعمرين لن يتركوا مستعمراتهم الا بالثورة والجهاد ، ولما قيل له انه ليس للشعب الجزائرى طاقة على حرب فرنسا ، كان يقول : أعلنوا الثورة أولا تأتيكم كل حوائجكم فيما بعد ، وكان يردد دائما ان سلاح المجاهد فى يد عدوه ، وهو يستطيع استخلاصه .

كما يذكرنا هذا بقول أحد ملوك الفرنج ، حين اندحرت جيوشـه أمام المسلمين فى أوروبا فقال : لنترك هؤلاء المسلمين الآن ، حتى تخبو

فكرة الجهاد فى نفوسهم ، وتكثر أموالهم ثم نكر عليهم ، فعندذاك يمكن التغلب عليهم • وقد ورد فى بعض الأخبار أن المسلمين ما يزالون منتصرين على عدوهم ما داموا يجاهدون ، فاذا تملكوا الأرض ذهب عنهم النصر •

كما يذكرنا ( فانون ) بقول الرسول عليه السلام : ( ••• وما ترك قوم الجهاد الا ذلوا ••• ) فالجهاد مطهر لحياة الأمة من جملة أمراض فتاكة قتالة ، أولها الترف ، وثانيها الزنى ، وثالثها التفتت والتشرذم ، فالأمة متى أقبلت على الجهاد ترفعت على كثير من الدنايا ، وسلكت سبيل المجد والكرامة •

٤ ــ ويمكن أن أضيف هدفا آخرا الى ( فانون ) هو اثبات فشل الحضارة الغربية ، وأنها لاتصلح بحال أن تكون قدوة للعالم الثالث ، فقد جف النبع ، ونضب المعين ( هيا يا رفاق لقد انتهت لعبـة أوروبا تماما ، وعلينا أن نجد شيئا آخر • اننا نستطيع اليوم أن نفعل كل شيء ، شريطة أن لا نقلد أوروبا تقليدا أعمى وأخرق ، شريطة أن لا تحـاصرنا الرغبة فى اللحاق بأوروبا ، لقد بلغت أوروبا فى فرط السرعة الجنون الطائش فى سيرها ، ان زمامها قد أفلت اليوم فى كل قيـادة ومن كل عقل ، وان دورا رهيبا ليعصف برأسها ويؤدى بها فى هوة يحسن الابتعاد عنها بأقصى سرعة ممكنة ) أ هـ •

وسنؤجل هذا البحث الى حين الكلام عن ( الخاتمة ) •

والغريب أن المترجمين أغفلوا هذا الهدف من الكتاب كليا ، مع أنه أوضح من أن يخفى على أحد ، ولكنهم أهملوه •

فهل يقرأ المتعلم العربي أمثال هذه البحوث ، أم ما يزال مصرا على عبادة ( العجل ) الأوروبى ؟؟ •

٥ ــ قبل الحـديث عن الكتـاب سنتوقف طويلا عند تصـدير ( سارتر ) لأن الرجل نصب من نفسه قاضيا و « جشر » أوروبا فى قفص الاتهام ، وراح يعدد جرائمها ، ثم يعلن فى النهاية افلاسـها وعجزها ،

لذا فقد وجه للأوروبيين دعوة لقراءة كتاب ( معذبو الأرض ) مع النص على انه لم يكتب لهم ، ولا قصد كاتبه اقناعهم ، ولكنهم سيجدون فيه صوتا جديدا ينبههم ، أو سوطا قويا يلهبهم وقد يوقظهم •

٦ ـ وقد ابتدأ ( سارتر ) بتحديد مواقف أبناء المستعمرات فى أوروبا على الوجه الآتى :

لقد ـ ( شرعت الصفوة الأوروبيـة تصنـع صفوة من السـكان الأصليين • أخذت تصطفى فتيانا مراهقين ، وترسم على جباههم بالحديد الأحمر مبادىء الثقافة الأوروبيـة ، وتحشـو أفواههم بأشياء رنانة ، بكلمات كبيرة لزجة تلتصق بالأسنان ، ثم تردهم الى ديارهم بعد اقامة قصيرة فى العاصمة وقد زيفوا ، ان هؤلاء الأفراد الذين هم أكاذيب حية تسعى ، قد أصبحوا لا يملكون ما يقولونه لأخوتهم ، لأنهم لا يزيدون على أن يرددوا ما يسمعون •• وكان ذلك هو العهد الذهبى ، وانتهى ذلك العهد ) •• وللحقيقة فمازال بعض متعلمينا متسمرا عند هـذه المرحلة لا يقوى على تجاوزها ، كأن يدا سحرية تمسك به •

٧ ـ (ب) ـ بدأت المرحلة الثانية ، وهى مرحلة عتاب رقيق ، يصورها سارتر بقوله : ( ظلت الأصوات الصفراء والسوداء تتحـدث عن نزعتنا الانسانية ، ولكنها أصبحت تفعل ذلك لتأخذ علينا أننا غير انسانيين • وأصبحنا نصغى الى تلك الآراء اللبقة التى تعبر عن المرارة دون أن نشعر بالأشـياء وقد أحسسنا فى أول الأمر بدهشـة يمازجها كبر ••• كيف ؟ أيتكلمون من تلقاء أنفسـهم ؟ انظروا مع ذلك مـاذا خلقنا منهم ؟ وكنا لانشك فى أنهم يقبلون مثلنا الأعلى ، ما داموا يتهموننا بأننا لسنا أوفياء له ••• وكنا نضيف الى ذلك سرا فيما بيننا : دعوهم يعوون ، فذلك يسرى عنهم ، ان الكلب الذى ينبح لا يعض ) أ هـ •

٨ ـ (جـ) ـ اما المرحلة الثالثة ، وهى بداية عهد الرفض واكتشاف الذات فى العالم فيصورها سـارتر بقوله : ( وجاء جيل جـديد ، نقل المسألة الى أفق آخر ، لقد حاول أن يشرح لنا فى كثير من الصبر ، أن

قيمنا لا تناسب حقيقة حياتهم ، وأنهم لايستطيعون أن ينبذوها نبذا كليا ، ولا أن يهضموها ، وكان معنى ذلك على وجه الاجمال هو هـذا : انكم تشوهوننا ، فالمذهب الانسانى الذى تأخذون به يدعى أننا وسائر البشر سواء ، وأعمالكم العرقية تفرق بيننا وبين غيرنا ، وكنا نصغى الى كلامهم فى كثير من الاسترخاء .. وكان الخبراء يقولون لنا : اذا كان فى تأوهاتهم هذه ظل من مطمح فهو التوق الى الانضمام ، ولا مجال طبعا لمنحهم هـذا الانضمام ، والا كنا نهدم النظـام الذى يقوم على زيادة الاستغلال كما تعلمون ، ولكن يكفى أن ندع هذه الجزرة ماثلة أمام أعينهم حتى يركضوا ، أما أنه يتورط فذلك ماكنا مطمئنين الى انه لن يـسكون ) أ هـ .

والحمد لله انه وقع ولو بعد حين ..

٩ ـ ( د ) ـ مرحلة النقد والابتعاد : يصور ( سارتر ) المرحـلة الرابعة فى مواقف مواطنى المستعمرات بأنها رفض للحضارة الغربيـة ، ونقد لها بجرأة وقوة ، مع فقد للثقة بها كقدوة ، وهنا ينقل بعض فقرات من كتاب ( فانون ) من الخاتمة فيقول : ( عام ١٩٦١ ، اسمعوا هـذا الكلام ، علينا ان لا نضيع الوقت فى ثرثرات عقيمة أو فى لغو يبعث على الاشمئزاز . فلنترك هذه الأوروبا التى لا تفرغ من الكلام عن الانسان ، وهى تقتله جماعات حيثما تجده ، فى جميع نواحي شوارعها وفي جميع أركان العالم . لقد انقضت قرون وهى تخنق الانسانية كلها تقريبـا باسم مغامرة روحية مزعومة » ان هذه اللهجـة جديدة . من ذا الذى يجرؤ أن يتكلم بها ؟؟ انه افريقى ، انسان من العالم الثالث كان مستعمرا ، وهو يضيف الى ذلك قوله « ان أوروبا قد بلغت من الجنون والاضطراب فى سرعتها أنها ماضية الى الهاوية التى يحسن الابتعاد عنها .. وبتعبير آخر : انها قد أفلست ـ هـذه حقيقة لا يجمل قولها ـ أليس كذلك يا أعزائى أهل أوروبا ؟؟ ولكنها حقيقة نحن جميعا مقتنعون بها فى قراراتنا بين اللحم والجلد .. حين يقول فانون ان أوروبا ساعية الى حتفها ، فهو لا يصيح صيحة من ينبه الى الخطر ، وانما هو يشخص الداء ، ان هذا

الطبيب لا يدعي ان أوروبا ميتة لا محالة ــ فقد رأى الناس معجزات ــ لا ، ولا يقدم لها وسائل الشفاء ، انما هو يلاحظ أنها تحتضر ، ويلاحظ ذلك من خارج معتمدا على الاعراض التى استطاع أن يجمعها ، أما أن يعالجها فلا ، ان فى رأسه هموما أخرى ، انه لا يعنيه أن تفطس أو تعيش وكتابه لهذا السبب يبعث على الفضيحة ، واذا همستم سافرين منزعجين : يالهذا الذى يقدمه لنا . غابت عنكم الطبيعة الحقيقية للفضيحة ) أ هـ .

١٠ فما هى هذه الفضيحة ؟؟ قبل ذلك ، كم من أولئك الذين تتلمذوا على يد أوروبا ــ بشقيها ــ قادر على نقد وفضح ما رأى ؟ البعض ذهب الى هناك كبدوى يدخل مدينة كبرى فتبهره مبانيها وأسواقها وأنوارها ، ثم لا يدرى شيئا خلف ذلك ، ولا وراء ذلك .. والبعض عاد الى وطنه ، ولكن قلبه ما زال يطوف حول أصنام أوروبا فهو يذكرها بمناسبة وبدونها ، يذكر أيامه الجميلة ، وعشقه لكل ما رأى وصادف ، اما ابن تلك الحضارة فيقول ( ان فانون لا يقدم اليكم شيئا ، ان مؤلف هذا الكتاب يتحدث عنكم فى كثير من الأحيان ، ولكنه لا يتحدث اليكم أبدا .. لقد انتهى عهد جوائز جونكور السوداء ونوبل الصفراء .. لقد كان الآباء لا يتحدثون الا الينا ، فاذا بالأبناء أصبحوا يرفضون أن يعدونا أهلا لأن يخاطبونا ، والكلام يدور علينا .. صحيح أن فانون يذكر فى عرض الحديث جرائمنا المشهورة : مطيف ، هانوى ، مدغشقر ، ولكنه لايضيع وقته فى استنكارها ، وانما هو يستعملها ، وهو يفعل تلك لأخوته ؛ لأن هدفه أن يعلمهم كيف يحبطون مؤامراتنا ) أ هـ .

١١ ــ وعن سياسة الاستعمار فى تفرقة الشعوب ، وتهيئة زعامات وقيادات مصطنعة ، رأسمالها وطنية كاذبة ، واسناد قوى من ( أسياد الأمس ) وفى هــذا يقول سارتر : ( ... ففى بلد من البلدان اكتفت العاصمة الأوروبية بان تشترى عددا من الاقطاعيين ، وفى بلد آخر خلقت من هنا وهنــاك طبقة برجوازيــة من المستعمرين عاملة على أن تفرق لتسود ، وفى بلد ثالث ضربت ضربة مزدوجة فجعلت المستعمرة استثمارا واسكانا معا ، وهكذا أكثرت أوروبا الانقسامات والتعارضات ، وصنعت

طبقات ، وخلقت فى بعض الأحيان نزعات عرقية ، وحاولت بجميع الحيل ان تولد وأن تزيد فى انقسام المجتمعات المستعمرة الى طبقات ) ...
هذه الحقيقة هى القدر المشترك بين كافة الدول الأوروبية ، فقد أباحت لنفسها حق نشر الانقسامات واحياء جميع أنواع العصبيات ، ليشتغل الشعب المستعمر بنفسه ، يتطاحن حتى يأكل بعضه بعضا ، وعندها يحاول الكل أن يجد فى مستعمره السند له ، أو على الأقل ليضمن حياده ...
وفى هذا يذكر الذين أرخوا للاستعمار الهولندى فى أندنوسيا انه كان مع الجيش الهولندى الغازى مستشرق لم يلبث أن أعلن — كذبا — اسلامه : وتقدم للهولنديين باقتراح أن يوجدوا فى أندنوسيا تيارا قوميا وآخر شيوعيا ، ثم يتركوهم يصطرعون ، وبذلك تستريح الادارة الهولندية ، وقد نفذ هذا الأمر حرفيا .

وفى البلاد العربية اشعلوا نار الطائفية والعنصرية ، وما زالوا ينفذونها حتى بعد رحيلهم ، أما صنع الاحزاب والزعامات فتلك هواية المستعمر المفضلة وسوف تتحدث عن رأى فانون فى الزعامات وخطرها على العالم الثالث فان أخطر أنواع الضياع تكمن فى ( الزعيم وعبادة الأشخاص ، والثقافة الغربية ) هذه بعض مهلكات العالم الثالث ، والغريب فى الأمر انه ما أن تنجو دولة من واحدة من تلك حتى تسقط فى الأخرى، والويل كل الويل لمن اجتمعت هذه الآفات فيه كلها فى وقت واحد .

١٢ — يستعرض سارتر بعض ما قاله الاستعمار عن الشعوب التى استعبدها ، ثم يرد عليها ردا بارعا حقا ، فقد قال فانون : ان الاستعمار الفرنسى أشاع جملة أقوال عن الشعب الجزائرى ، وجعل منها نظريات علمية ، حتى راح بعض المتعلمين يرددها كبدهيات ، من ذلك : ان سكان شمال افريقيا عموما مندفعون للاجرام ، وان الجزائرى على وجه الخصوص يقتل كثيرا وبوحشية ، ولأتفه قضية ، منهم مجرمون بالفطرة .. ويرد سارتر فيقول : ( ان الأوروبى يسيطر ، صحيح أنه خسر ، ولكنه لا يدرك ذلك .. هو يقول انه يلحق بهم شرا من أجل أن يهدم أو يكبح الشر الذى فيهم،بعد ثلاثة أجيال ، لن تولد فيهم غرائزهم الفاسدة من

جديد .. أية غرائز ؟! أهي التى تدفع العبيد الى قتل سيدهم ؟ فكيف لا يرى فى هذه الغرائز قسوته هو ، وقد انقلبت عليه ؟ كيف لا يرى فى وحشية هؤلاء الفلاحين المضطهدين وحشيته هو ، وقد امتصوها بجميع المسام . وأصبحوا لايستطيعون أن يبرأوا منها ؟ .

ان الأبناء منذ الجيل الثانى ، ما كادوا يفتحون أعينهم ، حتى رأوا آباءهم يضربون ، وبذلك تكونت فيهم صدمات ، على حد تعبير علم الامراض النفسية ، مدى الحياة ، وهذه الاعتداءات التى ما تنفعك تتكرر لا تحملهم على الخضوع ، وانما تلقيهم فى تناقض لايطاق ، سيدفع الأوربى ثمنه عاجلا أم آجلا .. ان الكره الذى ما يزال أعمى ، وما يزال مجردا هو كنزهم الوحيد : ان السيد هو الذى يثير فيهم هذه الكره ، لأنه يريد أن يجعلهم كالبهائم ، وهو لا يظفر بتحطيم هذه الكره ، لأن مصالحه تجعله يتوقف فى منتصف الطريق ، وهكذا يظل السكان الأصليون بشرا ، لما للمضطهين من قوة وعجز يستحيلان عندهم الى رفض شديد للمصير الحيوانى ) أ هـ .

ثم يفلسف سارتر كل ما يقوم به أبناء المستعمرات ، فيرى فى ذلك صورة من صدر المقاومة ، تبدأ عادة بالكسل ، الذى هو بداية الرفض ، وينتهى باستعمال البندقية فى القتال . . .

١٣ — ونختم حديث سارتر بما وجهه الى أبناء جلدته ، باعتبارهم قد استفادوا من الاستعمار ، فصاروا شركاء فى الجريمة فيقول : ( ... انكم تعلمون حق العلم اننا مستغلون ، واننا سلبنا القارات الجديدة ذهبها ومعادنها وبترولها ، وجئنا بذلك كله الى بلادنا ، وقد حصلنا من ذلك على نتائج رائعة : قصور وكاتدرائيات وعواصم صناعية ، ثم حين كانت الأزمة تهددنا ، كانت وظيفة أسواق المستعمرات أن تزيل الأزمة ، أو ان تحول مجراها ، واتخمت أوروبا بالثروات ، ومنحت صفة الانسانية لجميع سكانها على السواء ، فالانسان فى بلادنا شريك فى الجريمة ، لأننا أخذنا جميعا من استغلال المستعمرات ) أ هـ .

ان الاستعمار كان يسرق اللقمة من الفقراء فى المستعمرات يقدمها

الى مواطنيه الأغنياء ، والصراخ اليوم الذى يملأ الدنيا على البترول وأسعاره ، كان الى الأمس ينهب ويستولى عليه بأتفه الاثمـان وأقلها ، فلما صار فى يد أهله قامت أوروبا تلطم الخدود ، وتشق الجيوب ، وتتهم الدول الفقيرة المصـدرة بالاستغلال •

لقد مر حين من الدهر كانت أوروبا تستعمر كافة قارات العالم ، تنهب خيراتها ، وتجند أبناءها فى الحروب ، وتتحـكم فى أسواقها فلما استقلت هذه القارات بدأت أزمة أوروبا ، فهل تعود للاسـتعمار مرة أخرى ، أم ترضى بالواقع ، وتعيش حسب امكاناتها ، بعيدا عن النهب والسلب الذى تعودته لقرون ؟؟ •

١٤ ــ ان أمـوال العالم الثالث هى سبب جريان الدم فى عروق الاقتصاد الأوروبى ، ولولاها لأصيبت بفقر الدم ، أو الشلل العـام ، ومع ذلك فكلما زادت هذه الأموال المودعة ، زاد جشع أوروبا ، وطال لسانها وراحت تهدد بالاستيلاء عليها ، وهى تفسر ان هـذه الأموال الشعوب ما تزال يفترسهـا المرض والجهل ، وأنها الى الأمس القريب منهوبة منكوبـة •• ان البقرة التى كانت تحلبها الى الأمس ، ترفض اليوم سرقة لبنها ، فهل تنوى أوروبا أن تغتصبه بالقوة كما تهدد ؟؟ هل كتب على البشر ان يحملوا الفرد الأوروبى على رءوسهم طوال حياتهم ؟ اما أن للمدلل أن ينزل الى الأرض كسائر بنى الانسان ؟؟ •

١٥ ــ لنبدأ الآن بعرض كتاب ( معذبو الأرض ) والملاحظ ان الكاتب لم يقسمه الى فصول كما جرت العادة ، بل بدأ ( بالعنف ) وقد قدمنا بانه يؤمن بان الثورة وسيلة لدحر المستعمر من جهة ، وهى علاج لامراض من وقع عليه الاستعمار من جهة ثانية ، وهو يقول عن الشق الأول : ( ان محو الاستعمار حين يعرض عاريا ، يكشف من خـلال مساحاته كلها عن رصاصات حمر ، وخناجر دامية ، ذلك انه اذا كان على الأواخر أن يصبحوا هم الأوائل ، فان هذا لايمكن أن يتم الا بعد قتال حاسم مميت يخوضه الطرفان المتنازعان ) (١) •

---

(١) ص ٤٢ •

ثم يبدأ ( فانون ) بشرح فكرته عن العالم المنقسم الى مستعمر وسكان أصليين فيقول : ( المنطقة التى يسكنها المستعمرون لا تكمل المنطقة التى يسكنها المستعمرون ، ان هاتين المنطقتين تتعارضان ، انهما تخضعان لمبدأ التنافى المتبادل ، فلا سبيل الى المصالحة ، وان أحد الطرفين زائد يجب أن يزول ) (٢) •

ومن هنا تكون الثورة على الاستعمار ضرورة لابد منها ، ويستشهد ( فانون ) بما قاله ( مسيو ماير ) فى الجمعية الوطنية الفرنسية عن سكان الجزائر ووجوب ابعادهم عن الشعب الفرنسى : ( ان علينا أن لا نلوث الجمهورية بادخال الشعب الجزائرى اليها ، ذلك أن القيم تسمم وتفسد على نحو لا يمكن اصلاحه ، متى جعلناها تحتك بالشعب المستعمر ، ان المستعمر وتقاليده وخرافاته ، خاصة خرافاته هى بعينها علامة هذا الانحطاط وهذا الفساد القائم فى تكوينه ذاته (٣) •

هذا وان فرنسا من يوم دخولها واحتلالها الجزائر ، حتى خروجها وهى تنادى ( الجزائر فرنسية ) وقد رد عليها المجاهد ابن باديس بنشيد :

شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب

١٦ ــ ولعل من الطريف ان ننقل ما سطره فانون من الالفاظ التى يستعملها المستعمر فى وصف مستعمراته فيذكر مثلا ( زحف العرق الاصفر ، قطعان الاهالى ، تفريخ السكان ، تنحل الجماهير ) ثم يقول معلقا ( ان المستعمر حين يريد أن يمس الوصف ، وأن يجد الكلمة المناسبة ، يرجع دائما الى الالفاظ المستعملة فى وصف الحيوان (٤) ثم يخلص الى هذه النتيجة ( ان الوضع الاستعمارى يتميز بانه يفرض على العالم انقساما ثنائيا ، والتحرر من الاستعمار يوحد هذا العالم ، اذ يخلصه من فقدان التجانس بقرار جذرى يوحده على أساس الأمة ، وعلى أساس العرق أحيانا (٥) •

---

(٢) ص ٤٤ •    (٣) ص ٤٧ •    (٤) ص ٤٧ •
(٥) ص ٥٠ •

وهذا تفاؤل كبير ، فالاستعمار قبل أن يحمل عصـاه ويرحـل ، يزرع المتفجرات فى مستعمراته ، فتراها تنفجر الواحدة تلو الأخرى ، كما يسلم الحكم عادة لعملائه الذين دربهم لهذا الدور ، مما يجعـل أبناء المستعمرات يترحمون على أيامه ، وما علم المساكين ، ان كل ما عانوه ويعانونه مستقبلا هو من زرع هذا الشيطان الجشع ، الذى دخل بطلا فاتحا وخرج ذليلا خاسئا •

١٧ ــ يتحدث فانون بعد ذلك عن دور الكنيسة والتبشير ، فيرى انها وسيلة لسيطرة الرجل الأبيض فقط ( ••• لذلك يجب أن نضـع على مستوى واحد مبيـدات الحشرات التى تنقل الامراض ، والديانة المسيحية التى تحارب الهرطقات والغرائز والشر فى مهدها • ان التقدم فى القضاء على الحمى الصـفراء والتقدم فى نشر دين الانجيـل أمران متشابهان : ولكن البلاغات المظفرة التى تنشرها الارساليات التبشيريـة تدلنا على ان ضمائر الضياع المنبثقة فى جسم الشعب المستعمر هى على جانب كبير من القوة ، وحديثى هنا عن الديانة المسيحية ، ولا حق لأحد أن يدهش من ذلك ، فان الكنيسة فى المستعمرات هى كنيسة بيض ، كنيسة أجانب ، انها لا تدعو الانسان المستعمر الى طريق الله ، وانمـا تدعوه الى طريق الانسان الأبيض ، الى طريق السيد المتسلط المضطهد الغاشم ، وأنتم تعلمون أن فى تاريخ البعثات التبشيرية الكثير من المكلفين والقليل من المختارين ) (٦) •• هذا مع العلم بان الرجل نصرانى ، تعلم فى فرنسا ، وتخرج فى جامعاتها ، لكنه لا يخفى عليه وجه الحق ، ولا يهاب أن يقوله وينشره •

وما يذكره فانون عن التبشير هو الوظيفة الأهلية له للأسف ، ومن هنا كانت الدول الاستعمارية كافة تحارب الدين والكنيسة داخل بلادها ، ولكنها تشجعهما وتمدهما بكل ألوان العون فى مستعمراتها لأن الكنسية والتبشير استعملتا كمصيدة استعمارية ، تجمع للسيد المستعمر الأعوان والأنصـــار •

---

(٦) ٤٧ •

١٨ ــ يعود فانون مرة ثانية ليكشف عن الجوانب التى يركز عليها فى التبشير فيقول : ( •• والدين الذى لا مناط منه يساعد البرجوازية الاستعمارية ، فى محاولة التهدئة التى تقوم بها • ان جميع القديسين الذين مدوا الخد الأيسر لمن ضربهم على الخد الأيمن غفروا لمن أساء اليهم ، الذين تلقوا البصاق والاهانة دون أن يختلجوا ، ان هؤلاء جميعا يستشهد بهم ، وأفراد التحية فى البلاد المستعمرة هؤلاء العبيد الذين أعتقوا ، لابد أن ينتجوا بديلا للقتال حين يكونون على رأس الحركة • انهم يستعملون عبودية اخوتهم من أجل أن يخجل منهم المستعبدون ، أو من أجل أن يزودوا الجماعات المالية المتنافسة مع المضطهدين بمضمون ايديولوجى انسانى النزعة هو لهم بمثابة المصباح المرشد ،: انهم لا يتجهون بندائهم أبدا الى العبيد )[٧] •

١٩ ــ ويختم ( فانون ) حديثه عن العنف بأن هدفه التحرير والاستقلال ، وليس اثارة حرب صليبية ضد أوروبا ، لذا فان على الفرد الأوروبى أن يساعد فى هذا الاستقلال ، لا أن يبقى ساكتا صامتا ، فيعين بسكوته على استمرار الشر والعدوان [٨] •

بقى أمر لابد من ذكره فالرجل يحسن الظن بالدول الاشتراكية ويتصور أنها ستقف الى جانب دول العالم الثالث ، ولو عاش حتى اليوم لرأى « زعيمة الاشتراكية » تتقاسم مناطق النفوذ كما تفعل أى دولة مستعمرة كبيرة ، ولوجد أنها اتخذت من دول العالم الثالث سوقا تبيع فيها أسلحتها ومنتجاتها الرديئة ، وتأخذ من هذه الدول كل ما عندها ، بل تأخذ منها السلع بثمن بخس لتبيعه على العالم بأثمان عالية •• ولوجدها تسحق كل انتفاضة فى دولة اشتراكية بالدبابات ، وهو أمر لم تعرفه الدول الاستعمارية العاتية •

وأخيرا صارت تقف فى صف الحكومات ضد الثوار كما تفعل اليوم فى الحبشة ، واستعمارها للشعوب المسلحة فاق كل استعمار ، واضطهادها فاق كل اضطهاد وليس من الشوك يجنى العنب •

---

(٧) ص ٦٩ •

(٨) ص ١٠٢ •

٢٠ ــ يتحدث فانون عن الانطلاق العفوى فيحمل بشدة على الاحزاب الوطنية ، لأنها تقف بحذر من الفلاحين بينما هم عماد الثورة ضد الاستعمار ويعلل ذلك فيقول ( لأن المنتسبين للاحزاب السياسية الوطنية هم أفراد من سكان المدن قبل كل شيء أصحاب حرف ، عمال ، مثقفون ، تجار ، حتى ان طراز تفكيرهم يحمل في كثير من النواحي علامة البيئة الراقية بعض الرقى ، الميسور بعض اليسر ، ... ان الأكثرية الساحقة من الاحزاب الوطنية تشعر تجاه الجماهير الريفية بحذر كبير وارتياب شديد ، انها تحس أنها عاطفة عقيمة [٩] .

ثم يرى فانون أن الفلاحين يبادلون الآخرين نفس النظرة ، فسكان المدن بما يلبسون والمسكان الذى يسكنون فهم خارجون على التراث القومى ، وهم « خونة » باعوا أنفسهم للمستعمر ، ولا أخلاق لهم [١٠] .

٢١ ــ اذا كان فانون قد هاجم الاحزاب الوطنية ، فهو يهاجم بعنف كذلك من يسميهم « البرجوازية الوطنية » فيقول عنهم : ( ان روح التمتع والتلذذ هى المسيطرة لدى البرجوازية الوطنية فى البلاد المستعمرة ، ذلك أنها على المستوى النفسى تتشبه بالبرجوازية الغربية وتستمد منها تعاليمها ، وتقتفى آثارها فى الجانب السلبى وتنحط دون أن تكون قد قطعت مراحل الاستكشاف والابتكار الأول التى قطعتها البرجوازية الغربية ، وحققت بها أشياء ايجابية على كل حال ، ان البرجوازية الوطنية فى أول عهدها تشبه مثيلتها الغربية فى آخر عهدها .. لقد دلفت الى الشيخوخة المتهدمة قبل أن تعرف ما يعرفه عهد الصبا والمراهقة من نزق واندفاع [١١] . كما يتهمها فانون باحتكار الوظائف التى كان يسيطر ويستأثر بها الأجانب ، والاقتتال فى سبيل ذلك .

٢٢ ــ يحاول بعد ذلك التحدث عن مرحلة ما بعد الاستقلال ، حيث يحاول الاستعمار اثارة قضايا كثيرة ، وخصومات متعددة ،

---

(٩) ص ١٠٧ .

(١٠) ١٠٩ .

(١١) ص ١٤٧ .

ويضرب لذلك بمثل فيذكر ( السنغال ) حيث تقوم جريدة « افريقيا الجديدة » الأسبوعية باثارة الكراهية ضد الاسلام والعرب كما تثير المواطنين ضد اللبنانين ، وتدعو للانتقام منهم ، كما تقوم الارساليات التبشيرية بتذكير المواطنين بغزو العرب ( للسنغال ) وتحطيم الامبراطورية الزنجية الكبرى ، وان هذا العمل هو الذى مهد للاستعمار الغربى ، ويندون بما يفرضه الاسلام من استعمار ثقافى فى البلاد ، وفى نفس الوقت يقصى المسلمون عن مراكز التوجيه .. ويعقب فانون على ذلك بأن الذين اعتنقوا المسيحية هم اعداء الاستقلال القومى ، وهم يفعلون ذلك عن وعى وعمد .. ويسجل ما يعانيه المسلمون من تعنت ومضايقة وصلت لحد تهديدهم بارسالهم للقاهرة (١٢) . ثم يذكر الهجوم على العرب فيقول : « وهناك ما ينفكون يتحدثون حديثا بغيضا . كريها عن تحجب النساء عند العرب ، وعن تعدد الزوجات عندهم . يزعمون ان العرب يحتقرون المرأة . ان هذه الأحاديث تذكرنا بالأحاديث التى طالما دارت على ألسنة المستعمرين » (١٣) .

والغريب أن الكنيسة وهى تشن الغارة صباح مساء على تعدد الزوجات هذه الكنيسة أباحت التعدد فى افريقيا لما وجدت الناس هناك يقبلون على التعدد وتعجز هى عن صدهم ، وهكذا يكون النفاق .

٢٣ ـ الزعيم : تحدث فانون عن الزعامات فى العالم الثالث وهو يرى بحق ان الزعيم يبدأ حياته بالهجوم على الاستعمار ومنازلته فاذا حصل الاستقلال صار هذا الزعيم عبئا ثقيلا على شعبه وبلاده ( ... ان الزعيم يهدىء الشعب ، انه يعجزه عن دعوة الشعب الى أعمال ملموسة يعجزه عن أن يفتح للشعب باب المستقبل حقا ، وان يدفع الشعب فى طريق بناء الأمة ، وبالتالى فى طريق بناء نفسه يظل سنين طويلة لا يزيد على اجترار تاريخ الحصول على الاستقلال » (١٤) .

---

(١٢) ص ١٥٤ .

(١٣) ص ١٥٥ .

(١٤) ص ١٦١ .

ولو عاش فانون لرأى نوعا من الزعامات لم يعرفه ؛ أبطال خلف المذياع وفيران فى ساحة الحرب ، يهادنون الاعداء ويشنون الحرب على شعوبهم وأمتهم ، ينهزمون فيسمون ذلك نصرا ، ويقولون عن ضياع الوطن ، بان المهم سلامة الزعيم ، واستثمروا كل ما بناه المستعمر من سجون ، ومارسوا كل الطرق فى الارهاب والتعذيب ، وجددوا فى ذلك من الوسائل ما كان الاستعمار يتركها خشية على سمعته .. لقد كانت هذه الزعامات أو بعضها على الأقل أثقل وطأة وأشد فتكا من الاستعمار .

٢٤ ـ احزاب ما بعد الاستقلال : تحدث فانون عن احزاب ما بعد الاستقلال فى العالم الثالث فقال : ( ... ويجيء الاستقلال ، ويوشك الحزب أن يصبح جثة هامدة ، انهم الآن لا يعبئون الأعضاء الا لمظاهرات يسمونها شعبية ،ولمؤتمرات دولية ، واحتفالات بعيد الاستقلال ، ان القيادات الحزبية المحلية قد عينت لوظائف ادارية ، واستحال الحزب الى دائرة حكومية ، وعاد الاعضاء الى أماكنهم يحملون هذا الاسم الاجوف : مواطن ... بعضهم يأكل على عدة موائد ، ويظهرون فى مجال الانتهازية مقدرة فائقة ، واقتصادا باهرا ، وتتكاثر الامتيازات ، وتنتصر الرشوة ، ويعم الفساد ، وتنهار الأخلاق . لقد أجتمعت الغربان أكثر عددا ، وأشد شراهة من أن تكفيها المغانم الوطنية الهزيلة . والحزب الذى أصبح اداة للسلطة فى أيدى البرجوازية يقوى جهاز الدولة ويجحد الشعب ، وما ينفك يصبح أداة قمع ، وعدوا للدمقراطية ) (١٥) .

لاشك انه وصف جميل ، فقد عاشت فترة حرمان ، تريد أن تعوضه فى يوم وليلة ، وأفرادها تفتحت شهيتهم للسلطة والمال ، وهم يسابقون الزمن كى يخلفوا أصحاب الملايين ، لقد أظهر هؤلاء الأفراد قلة مقاومة أمام الجاه والمال لا مثيل لها ، لقد جمعوا المجد فى أطرافه ، فبيدهم جميع وسائل القوة ، ابتداء من الكلمة وانتهاء بالمدفع ومرورا بالجاه والمال والسلطان .

---

(١٥) ص ١٦٣ .

ان اقبال الدنيا ( المغانم ) على هــذه الصورة يحتاج الى مناعــة ونظافة والا سقط الانسان سقطة قاتلة .

٢٥ ــ يقظة الاسلام : فى فصل الثقافة القومية يتحدث فانون عن محاولات الاستعمار الجــادة بان يثبت فى قلوب أبناء المستعمرات أنه انما جاء لينقذهم ، وانه اذا ما رحل فسيعودون الى حياة الهمج ، ويرى ان الوعى يتطلب الرد بقوة ، ويضرب مثلا بالبــلاد العربيــة فيقول : ( ونستطيع أن نضرب مثلا بالعالم العربى ، انــكم تعرفون ان القســم الأكبر من الأراضى العربية قد شملته السيطرة الاستعمارية ، وقد بذل الاستعمار فى هذه المناطق جهودا كبيرة من أجل أن يرسخ فى عقول أهلها أن تاريخهم السابق على الاستعمار ، تاريخ تسوده الهمجية ، فرأينــا كفاح التحرير القومى مصحوبا بظاهرة ثقافية تعرف باســم « يقظــة الاسلام » وقــد رأينا الكتاب العرب يتحمسون أشــد التحمس لتذكير شعوبهم بالصفحات الرائعة من تاريخهم ردا على أكاذيب المستعمرين ، فهم يستعرضون اسماء عظماء الادب العربى ، ويشهرون تاريخ الحضارة العربية بعنف وقوة ، كما فعل الافريقيون بشأن الحضــارات الافريقية ، ورأينا القادة العرب يحاولون بعث تلك الحضارة الشهيرة « حضــارة الاسلام » التى سطعت سطوعا عظيما فى القرن الثانى والثالث والرابع عشر وعلى الصعيد السياسى نرى الجامعة العربية اليوم تجسد هذه الارادة ، ارادة بعث تراث الماضى ودفعه الى الذروه ) (١٦) .

٢٦ ــ ثم يتحدث عن موقف أبناء المستعمرات فى الثقافة الغربية ، فيرى انها مرت بعدة مراحل (١٧) :

( أ ) الاعجاب بالثقافة الغربية والانكبا بعليها منهم شديد.

(ب) تذكر مرحلة الطفولة ، والعودة الى الأساطير ومحاولة اعادة صياغتها على ضوء فلسفة العالم .

---

(١٦) ص ٢٠٢ .

(١٧) ص ٢١٠ .

(جـ) المعركة ومحاولة هز الشعب ، وانتاج أدب المعركة •

٢٧ ـ الحرب الاستعمارية والاضطرابات النفسية : يتحدث فانون عما فعله الفرنسيون بالشعب الجزائرى من تعذيب ، واغتصاب للنساء ، كما يتحدث عن نتائج التعذيب لدى الفرنسيين ، وهو كطبيب للامراض العقلية يصنف مرضاه ، ويشرح حالة كل وسببها •• ثم ينتقل بعد ذلك لما اشاعه الاستعمار الفرنسى من أحكام على شعب شمال افريقيا عموما ، والشعب الجزائرى بوجه خاص ، من ذلك : الاندفاع فى الاجرام ، وسفك الدم بوحشية ، والقتل لأتفه سبب ، وقد ساهم أطباء كبار فى صياغة هذه النظرية ، ففى بروكسل عقد مؤتمر لأطباء الامراض العقلية عام ١٩٣٥ فتقدم البروفسور ( بورو ) يبحث عن الهستريا قائلا : ( السكان الأصليون لشمال افريقيا يتصفون بأن نشاط المراكز اللحائية العليا عندهم متخلف ، منهم أناس بدائيون ، يسيطر الدماغ المتوسط خاصة على حياتهم التى تقوم على الوظائف الحيوية الدنيا وعلى الغرائز ) (١٨) •• ويوضح فانون هذه النظرية فيقول ( يجب أن نشير الى أن ما يميز النوع الانسانى ، اذا ما قيس بالحيوانات الفقرية الأخرى، هو سيطرة اللحاء • اما الدماغ المتوسط فهو جزء من أكثر أجزاء الدماغ بدائية ، والانسان انما هو قبل كل شيء الحيوان الذى يسيطر عليه اللحاء من الدماغ ) (١٩) •

وقد نشر خبير منظمة الصحة العالمية ( كاروتر ) كتابا عام ١٩٥٤ قال فيه ( ان الافريقى قلما يستعمل الفصين الجبهيين من دماغه ، ويمكن أن ترد جميع خصائص الامراض العقلية فى افريقيا الى كسل الفص الجبهى الدماغى ) (٢٠) •

ويذكر فانون ان هذه الأفكار صبغت بشكل نظريات علمية فقالوا : ( ••• فعدم تكامل الفصين الجبهيين مع عمل الدماغ هو سبب الكسل والجرائم والسرقات والاعتداءات على النساء والكذب ••• ان

---

(١٨) ص ٢٨٤ •  (١٩) ص ٢٨٤ •  (٢٠) ص ٢٨٥ •

هؤلاء الناس كائنات طبيعة ، يخضعون لقوانين طبيعتهم خضوعا أعمى ، فيجب مواجهتهم بموظفين صارمين ، لا يعرفون الهوادة ، يجب أن نروض الطبيعة لا أن نقنعها ) [21] .

ثم يرد على كل ذلك بقوله ( ان انتشار الجرائم بالجزائر ليس ثمرة طبع فطر عليه الجزائرى ، ولا هو ثمرة بنية الجملة العصبية لديه .. ان حرب الجزائر وحروب التحرير الوطنى تخلق القادة الصادقين [22] .

انه نتيجة مباشرة للاستعمار ، والوسائل التى استعملها ، ولا شىء بعد ذلك [23] .

٢٨ ــ نصل بعد هذا الاستعراض الى الخاتمة وهى ــ بعد تصدير سارتر ــ أفضل ما فى الكتاب .

ولو كان فى يدى أمر طلبة البعثات لألزمتهم بحفظ هاتين المقالتين عن ظهر قلب ــ كما يقولون ــ حتى لا تبهر عيونهم أضواء أوروبا ، ولا تركسهم فى المستنقع كواعبها ، ولا يغرهم ظاهر الحال ، ولا التشدق بالألفـاظ .

فقد سلط الرجلان الأضواء على عودة أوروبا كى يراها أبنـاء العالم الثالث والذين ما زالوا يثقون بها ، وبكل ما تقول أو تفعل .

وجلهم مصاب بالصعر ــ وهو مرض يصيب الابل فيلوى أعناقها ــ عاجز كل العجز عن فقد حضارتها ، بل البعض يشعر أنه ابنها ، بحـكم التتلمذ ، وأن فقدها لا يشرفه ، وهو يقضى العمر يثرثر ، وكلامه يلتصق باسنانه ــ كما يقول سارتر ــ عن أوروبا وحضارتها ، ورقى الانسان هناك ، وهو ينسى ما كان يفعله هذا « الانسان » فى المستعمرات حين يتحول الى وحش كاسر ، ومجرم عات ، يقتل بالتهمة ، ويسرق طعام شعب جائع ، يقدمه الى غنى مترف ، كما ينسى سلوك هـذا الانسان فى الحروب ، وقذفه للقنابل الذرية ، وصرفه للبلايين على تطوير أسلحة الفتك والدمـار ، مع أنه يشـح على من سرقهم ومازال يستغلهم حتى هـذه الساعة .

---

(٢١) ص ٢٨٦ .   (٢٢) ص ٢٨٩ .   (٢٣) ص ٢٩١ .

٢٩ ـ الدعوة لترك أوروبا : يقول فاتون : ( تترك هذه الأوروبا التى لا تفرغ من الكلام عن الانسان ، وهى تقتله حيثما وجدته ، فى جميع نواحي شوارعها ، وفى جميع أركان العالم ، لقد انقضت قرون وأوروبا تجمد تقدم البشر الآخرين وتستعبدهم لتحقيق أهدافها وأمجادها . انقضت قرون وهى باسم مغامرة روحية مزعومة تخنق الانسانية كلها تقريبا . أنظروا اليها الآن وهى تسقط بين تحلل الذرة وتحلل الروح )[٢٤] . ثم يعود فيتوجه لأخوته صارخا ( أيها الأخوة : كيف لانفهم أن هناك ما هو خير لنا من اتباع هذه الأوروبا . انها لم تنقطع لحظة عن الادعاء بانها لاتهتم الا بالانسان ، ونحن نعلم كم قاست الانسانية من آلام ثمنا لكل نصر من انتصار روحها .. هيا يا رفاق لقد انتهت لعبة أوروبا تماما ، وعلينا أن نجد شيئا آخر . اننا نستطيع اليوم أن نفعل كل شيء ، شريطة أن لا تقلد أوروبا تقليدا أعمى وأخرق ، شريطة ان لا تحاصرنا الرغبة فى اللحاق بأوروبا ) [٢٥] .

٣٠ ـ ثم يصور أوروبا وقد أولعت بالسرعة ، حتى أفلت الزمام من يدها ، وان دوارا مخيفا يعصف برأسها . ثم لاينسى أن بعض أخوته فى العالم الثالث ما زال يتطلع للنموذج الغربى ، ولكنه يحذرهم من الاخفاق الذى ينتظرهم ، لأن أوروبا قد أفلست وأخفقت .

ثم ينتقل بعد ذلك الى الانسان فيقول : ( انى حين أبحث عن الانسان فى التكنيك الغربى والأسلوب الأوروبى ، فانى لا أرى سوى سلسلة من الانكارات للانسان ، الا مواكب من جرائم قتل الانسان ، ان المصير الانسانى ومشاريع الانسان ، والتعاون بين البشر ، هذه كلها مشكلات جديدة تتطلب تجديدات مبتكرة حقا . فلنقرر أن لانقلد أوروبا ، ولنوجه عضلاتنا وأدمغتنا فى اتجاه جديد ، لنحاول أن نخلق الانسان الكلى ، الذى عجزت أوروبا عن تحقيق الانتصار له ) [٢٦] .

٣١ ـ الحديث عن أمريكا : ينتقل فاتون من أوروبا الى أمريكا ،

---

(٢٤) ص ٢٩٥ .   (٢٥) ص ٢٩٥ .   (٢٦) ص ٢٩٦ .

فيرى أنها قررت اللحاق بأوروبا ، وقد أصبحت اليوم كائنا عجيبا مشوها، تجمعت فيه عيوب أوروبا وتضخمت ، ومنها لا انسانيتها •

ثم عاد ليتحدث عن الفكر الأوروبى فيقول : ( لقد أراد الغرب أن يكون مغامرة للفكر ، وباسم هذا الفكر انما سوغت أوروبا جرائمها ، وجعلت استعبادها لأربعة أخمـــاس الانسانيـــة شرعيا ، لقد قام الفكر الأوروبى على قواعد عجيبة ، وجرى التفكير الأوروبى كله فى أمكنة ما تنفك تخلو من الانسان ، وما تنفك تزداد وعورة حتى ألفنا أن يختفى الانسان شيئا بعد شىء ، حوار مع الذات لاينقطع ، ونرجسية ما تفتأ تزداد دعارة ) [٢٧] •

والرجل بعد هذا لا ينكر ما قدمتـــه أوروبا ، ولكنه يقول لقد تجمد الدم فى شرايينها لقد هرمت ، وعليها أن تكف عن الثرثرة ( •• علينا أن نقول لها بقوة انه لاينبغى لها بعد الآن أن تستمر فى احـــداث هذا الضجيج كله ، لقد أصبحنا اليوم لا نخشاها ، وعلينا اذن أن ننقطـــع عن مسدها ) [٢٨] •

ولعل هذا الصخب هو اثبات وجود من نوع معين ، فالانسان مثلا متى شعر بدبيب الشيخوخـــة ، نحوه ، يكثر كلامه ، وتعظم ثرثرته ، وتتسع دائرة دعاواه ، وكأنه يعرض باللسان ما فقده فى الواقع ، وهكذا تفعل أوروبا ، فهى تملأ الدنيا مشاريع وأحاديث ، لكنها لا تساهم على صعيد الواقع الا بالقليل النادر ، يقول فانون ( ان العالم الثالث يقف الآن أمام أوروبا ككتلة عظيمة ، تريد حل المشكلات التى لم تستطع أوروبا أن تأتى بحلول لها • علينا ان لا نتحدث عن وفرة الانتاج ، ولا عن الجهد العنيف ، أو السرعة الكبيرة •• وليس معنى هذا « أن نعود الى الطبيعة » وانما معناه أن لا نشد البشر الى اتجاهات تشوههم ، ان لا نعرض على الدماغ ايقاعا سرعان ما يفسده ويفقده سلامته • يجب أن لا تتذرع بحجة اللحاق فنزعزع الانسان وننتزعه من ذاته ، من صميمه ، وان نحطمه ،

---

(٢٧) ص ٢٩٦ •    (٢٨) ص ٢٩٧

أن نقتله ، لا فنحن لا نريد اللحاق بأحد ، ولكنا نريد أن نمشي طوال الوقت ليلا ونهارا فىصحبة الانسان ، فى صحبة جميع البشر ، علينا أن نجعل القافلة متراصة غير متباعدة ) (٢٩) .

٣٢ ــ حلم جميل ورائع أن تسير الانسانية كلها فى قافلة واحدة متراصة الصفوف ، يستفيد بعضها من تجارب بعض ، ولكن متى يكون ذلك ، وكيف ؟؟

ان الكبار استعاروا من السمك طبيعته ، فهم مولعون دوما بأكل الصغار ، وأقصى ما يفعلونه أن يبدروا أحيانا هذا الاتهام ، وفى أحيان كثيرة لا يكلفون أنفسهم حتى مشقة ذلك التبرير .

نحن نرى العالم يتربص بعضه ببعض ، حتى « السمك الصغير » يعتدى على أمثاله بتحريض واغراء من « الكبار » لهذا صار العالم أشبه بحديقة أطفال لايستطيع أحد أن يتكهن متى يتشاجر هؤلاء الاطفال، ولا متى يصطلحون . حتى من البلد الواحد ، يصرف الناس نصف جهدهم الجسمى والعقلى فى الكيد لبعضهم ، والايقاع به . أما الدول وخاصة الصغيرة ، فهى تعيش كالارانب المذعورة ، تحاول بكل ما لديها معرفة ما يبيت لها ، فكيف نطمع مع هذا الواقع المر بوحدة انسانية ؟؟

اننا تعتقد الوحدة الوطنية فى كثير من البلاد ، بل وحدة الاسرة ، فهل من الواقع فى شيء ان تتطلع لوحدة انسانية ، فى عالم تسوده الشراهة وتفتك به الانانية ؟؟

٣٣ ــ يتحدث فانون بعد ذلك عن واجب العالم الثالث ، وموقفه من الانسان ، ومن أوروبا فيقول ( ان على العالم الثالث ان يستأنف تاريخا للانسان ، يحسب حساب النظرات التى جاءت بها أوروبا ، وكانت فى بعض الأحيان رائعة ، ولكنه يحسب أيضا حساب الجرائم التى قامت بها أوروبا فى الوقت نفسه ، وابشع هذه الجرائم تشتيت

---

(٢٩) ص ٢٩٨ .

وظائف الانسان تشتيتا مرضيا ، فتت وحدته ، أوجدت تحطما وتكسرا وتوترات دامية ، كما أوجدت على مستوى الانسانية أحقادا عرقيـة ، واستبعادا واستغلالا ، بل وتقتيـلا ، وهو ذلك النبذ لمليـار ونصف من البشر ) (٣٠) .

لقد خص فانون بكل ايجاز وموضوعية جرائم أوروبا ولا عجب فقد نذر نفسه لهذا العمل .. ان تمزيق الانسان داخليا ، وتفتيت وحدته شعبيا ، واثارة النعرات ، بل جلبها بمختلف الوسائل ، اضـافة للاستعباد الطويل ، والاستغلال الجشع ، والنهب المتواصل ، كل ذلك وغيره فعلته أوروبا ، وقد آن الأوان لتحصد ثمار ذلك ، وهى اليوم تموج بالاضطرابات ما بين طائفية وحزبية ، الى جيوش من الجواسيس ، وفضائح لا حصر لها ، يشترك فيها الصغار والكبار ، ان الشرور التى زرعتها أوروبا فى العالم انتقلت اليها « وما ربك بظلام للعبيد » .

٣٤ ــ يستمر فانون بتحذير العالم الثالث فيقول ( اذا أردنا أن نحيل أفريقيا الى أوروبا جديدة ، وان نحيل أمريكا كذلك ، فعلينا أن نعهد بمصائر بلادنا الى أوروبيين ، لأنهم سيحسنون التصرف أكثر من أعظمنا موهبة . أما اذا أردنا ان تتقدم الانسانية درجة ، اذا أردنا أن نحمل الانسانية الى مستوى مختلف عن المستوى الذى بلغته أوروبا فعندئذ يجب علينا أن نبتـكر وان نكتشف . اذا أردنا أن تستجيب لآمـال شعوبنا ، علينا أن نبحث فى غير أوروبا . بل اذا نحن أردنا أن نستجيب لما يتوقعه منا الأوروبيون فيجب أن لا نرد اليهم بضاعتهم ، أن لا نرسل اليهم صورة ، ولو مثالية ، عن مجتمعهم وعن تفكيرهم بعد أن أصبحوا يشعرون نحوها باشمئزاز شديد . فمن أجل أوروبا ومن أجل الانسانية ، يجب علينا أن نلبس جلدا جديدا ، أن تنشىء فكرا جديدا ، أن نحاول خلق انسان جديد ) (٣١) .

---

(٣٠) ص ٢٩٨ .

(٣١) ص ٢٩٩ .

٣٥ ــ هذه نهاية رائعة حقا ، وختام جميل « لقصيدة » امتزجت فيها الاغراض ، فمن الحكمة الى الهجاء ، الى الوصف ، الى العتاب . لكن ينقص هــذه القصيدة أن يدلنا صاحبها على « الفكر الجديد » . أو بالأحرى : هل العالم يشكو قلة فى الأفكار أم تخمة فيها ؟؟

ما أتصوره : انه أتخم الى درجة تهدد بالانفجار ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان النقص فى التطبيق . ومعلوم ان وضع ألف نظرية أهون وأيسر من تطبيق واحدة منها .

وما يحتاجه العالم اليوم ليس هو تكرار النموذج الغربى ، بقدر البعد عنه ، خصوصا فى العلوم الانسانية ، ففى هذا الجانب تكمن أكبر مقاتل الحضارة الغربية .

لقد مر زمن تصورت أوروبا فيه انها هى العالم كله ، لذا راحت تصرخ بأعلى صوتها : ان التجربة الأوروبية هى كل شىء قد درست تاريخ الشعوب وكأنها جميعا تعيش فى أوروبا ، كما حاولت فرض مثلها بألف وسيلة ووسيلة دون أن ترضى هى بالاندماج فى العالم ، بل تفعله من أعــلى .

ولعل آخر من نزل للميدان « روسيا » فقد جاءت بأفكار زاعمة أنها استقتها من تاريخ الانسان ، فوضعت « حتميات » ورسمت للانسان حياته كما لو كان حيوانا فى اصطبل ، كل همه العلف ، أما كرامتــه ، أما حريته فقد أهدرت نظير تأمين العلف .

والخلاصة لقد صار هــذا العالم أشبه بحوض ســمك ، الكبار فيه لا تشبع والصغار لا تدفع .

والكل يلوك كلاما عن الانســان وحقوقــه وحريتــه وكرامتــه ، ولا أحد اشقى من هذا « الانسان » فى هذا العالم ، ولا أضيع منه .

## ثمن العدد فى الوطن العربى

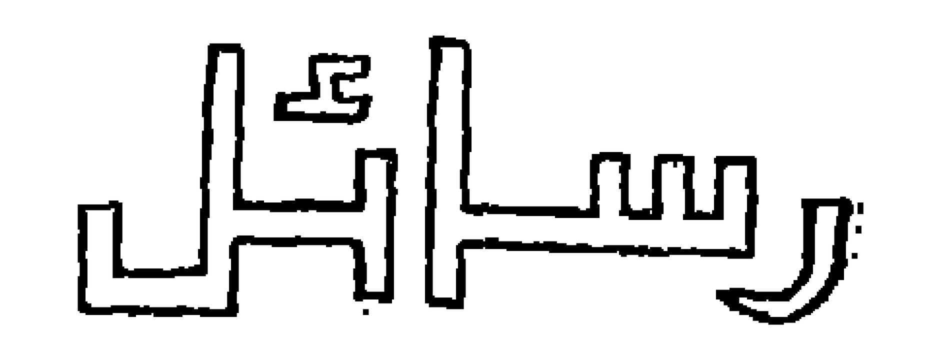
| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| لبنان | ٤٠٠ ق.ل | اليمن | ٥ ريال | قطر | ٧ ريال |
| سوريا | ٥٠٠ ق.س | السعودية | ٦ ريال | ليبيا | ٣٠٠ مليم |
| العراق | ٥٠٠ فلس | مصر | ٢٥٠ مليما | تونس | ٨٠٠ مليم |
| الاردن | ٤٠٠ فلس | السودان | ٥٠ قرشا | الجزائر | ١٠ دنانير |
| الكويت | ٥٠٠ فلس | البحرين | ٦٠٠ فلس | المغرب | ١٠ دراهم |

الامارات العربية ٧ دراهم

***

***

كافة الاشتراكات يتفق عليها راسا مع
دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع
ص.ب ٢٨٥٧ كويت
هاتف ٤٣١٩٨٢ ـ برقيا : دار بحوث




# ابن حـــزم الأندلسى مؤرخاً

د. عبد الحليـم عويس

**عرض : التحرير**

---

**توطئـة .**

كان الجانب التاريخى فى فكر أبى محمد على بن أحمد بن سعيد ابن حزم ( ٣٨٤ ــ ٤٥٦ هـ ) واحدا من أبرز جوانب عبقريته الموسوعية والأساسية ، التى تعرض للاهمال والاخفاء ، بتأثير عدة عوامل أبرزها اشتهاره بالأصول والفقه والملل والنحل ، وحدة أسلوبه فى نقد معارضيه ، واتجاهه المذهبى الظاهرى الذى لم يلق رواجا فى العالم الاسلامى ، وفى الأندلس بخاصـة .

ومع هذا الاهمال للجانب التاريخى فى فكر ابن حزم ، فان جمهرة دارسى فكره ، فضلا عن تلامذته المباشرين ، قد اعترفوا له بالبروز فى هذا الجانب ، لدرجة أن تلميذه أبا عبد الله الحميدى صاحب جذوة المقتبس ، قد اقتبس منه فى كتابه السابق اقتباسات توشك أن تطغى على شخصية الحميدى . ولدرجة أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون يعتبره امـام النسابين والعلماء ، ويعتمد عليه فى مواطن كثيرة ، سـواء فى النسب أو غيره من أبواب الدراسة التاريخية .

أما المحدثون فقد اعترف منهم ببروزه فى هـذا الجانب كثيرون أبرزهم المؤرخ محمد عبد الله عنان الذى اعتبر ابن حـزم مؤرخـا من « طراز نادر » والدكتور زكريا ابراهيم ، والأستاذ عبد السلام هارون ، والدكتور شوقى ضيف . والأستاذ سعيد الأفغانى ، والدكتور ممدوح حقى ، والدكتور احسان عباس .. وغيرهم كثيرون بهرهم هـذا الجانب فى فكر ابن حزم ، على الرغم من أنه لم يعرف به ، ولم يدرس دراسـة كافيـة .

**محتويات الرسالة :**

قد عالجت هذه الرسالة الجانب التاريخى عند ابن حزم الأندلسى فى ثلاثة أبواب وخاتمة .

ـ وقد انقسم الباب الأول الى ثلاثة فصول ، يتناول الأول منها « قرطبة » فى عصر ابن حزم من النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، كاشفا عن تطور هذه الأوضاع خلال الربع الأخير من القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس للهجرة .

ـ ويتناول الفصل الثانى من هذا الباب ـ حياة ابن حزم : أسرته ونشأته ، ومولده ، والقصر الذى عاش فيه بالزهراء ، وتربيتـه الأولى والنكبات التى تعرض لها عائليا وسياسيا ، وشيوخه ، والوظائف التى شغلها ، ورحلاته ، ومعاصريه ، وأخلاقه ، ووفاته فى قريته ( منت ليشم ) بالغرب الأندلسى .

ـ أما الفصل الثالث فيعرض لمنهج ابن حزم الفكرى متحدثا عن ظاهريته وأسبابها ومجالات تطبيق ابن حزم لها ، وجهوده فى مجـال الفكر الدينى ، وفى اللغة والادب والفلسفة كما يقدم هذا الفصل قائمة بكتب ابن حزم ، المخطوطة والمطبوعة ، أو المفقودة التى صحت نسبتها اليه والمعالم الأساسية المستخلصة من هذا الانتاج .

ويعالج الباب الثانى من هذه الرسالة « الجانب التاريخى عند ابن حزم » وذلك فى ثلاثة فصول ، يتحدث الأول منها عن بعض قضايا الفكر التاريخى عنده ، كمدلول التاريخ ، وأقسامه ، وفائدته ، ومكانته بين العلوم والعوامل المؤثرة فى حركة التاريخ كما تستخلص من فكر ابن حزم .

ـ أما الفصل الثانى فيعالج «منهج البحث التاريخى عند ابن حزم» متسهلا ذلك بتوطئة عن مصادر ثقافته التاريخية سواء منها ما كان غير مباشر أو مباشرا . ثم يعرج على معالم منهج بحثه التاريخى كتطبيقه « الظاهرية » على التاريخ ، واحتكامه الى « العقل » واستحداثه أصول « منهج النقد التاريخى » الذى أخذه عنه ابن خلدون بعد ذلك ، « واحتفائه بالاحصاءات والغرائب » وجرأته على اطلاق « الأحكام العامة » ونصيبه من « الموضوعية العلمية » .

وينتهى هذا الفصل بالحديث عن مدرسة ابن حزم التاريخية من ناحيتى ملامحها وخطوطها العامة ، والتلاميذ الذين نهجوا نهجها بعد ذلك .

ويعالج الفصل الثالث من هذا الباب ما يتصل « باتجاهات البحث التاريخى عند ابن حزم » كجهوده فى التراجم والطبقات ، والأنساب والسيرة الذاتية . والتاريخ بالطريقة الموضوعية التى يندرج تحتها تاريخه للسيرة النبوية ، وعصر الراشدين ، والدولتين الأموية والعباسية فى المشرق ، والتاريخ الأندلسى الى عصره .

ويختم هذا الباب بالحديث عن « أثر فكر ابن حزم فى دولة الموحدين بالمغرب العربى » .

أما الباب الثالث ـ والأخير ـ فقد ضم أربعة فصول : تناول الأول منها آراء ابن حزم فى بعض قضايا الفكر السياسى الاسلامى ، كرأيه فى شروط الحاكم ، وواجباته ، وامكانية عزله ، ورأيه فى الخوارج وفى المفاضلة بين الصحابة وما يترتب على ذلك من قضايا سياسية .

كما تناول الفصل الثانى بعض آرائه فى الفكر الاقتصادى ، كاشفا بواعث اتجاهاته فى هذا المجال واضافاته لهذا الجانب من الحضـارة الاسـلامية •

وقد تناول الفصـل الثالث آراء ابن حزم فى بعض قضايا الفكر الاجتماعى فعرض لمعالم رؤيته الاجتماعية وآرائه فى التكافل الاجتماعى ، وفى المرأة واتجاهاته التربوية •

أما الفصل الرابع فقد عرض جهود ابن حزم فى « الملل والنحل » مبينا دوره فى أحياء علم مقارنة الاديان على أصول نقدية ، ومنهجه فى تناول الاديان ، وثنية « ويهودية » ونصرانية ، وكذلك منهجه فى تناول قضايا الفرق الاسلامية ، من سنة وخوارج ومعتزلة وشيعة أو غيرهم من الفرق التى خرجت عن دائرة الاسلام •

وقد انتهى البحث بخاتمة عن أثر فكر ابن حزم فى ( الحضـارة الاسلامية ) سواء فى اتجاهات التجديد فى الفكر الاسلامى أو فى مجموعة المهتمين بابن حزم منذ ظهر والى عصرنا هذا •

كما تناولت هذه الخاتمة أثره فى الحضارة الانسانية ، وذلك من خلال النظريات التى قدمها فى المعرفة وفى الحب العذرى ، وفى النقد التاريخى والعقلى للكتب المقدسـة ، ورأيه فى كروية الأرض : وفى الجزىء الذى يتجزأ الى ما لانهاية •

**اضافات الرسالة :**

وقد قدمت هذه الرسالة بعض الاضافات الى الفكر الحضـارى الاسلامى أبرزها :

اولا :

عالج البحث ظاهرية ابن حزم وأسبابها التى تتلخص فى أنها كانت رد فعل للمذهبية المتعصبية الموغلة فى البعد عن الكتاب والسنة • وهذه الظاهرية ــ كما بين البحث ــ كانت اتجاها مذهبيا ، وليست حركـة فكرية ضد الباطنية ، كما ذهب الى ذلك البعض •

ثانيـا :

كشف هذا البحث عن أن ظاهرية ابن حزم كانت اتجاها فكريا « منهجيا » طبقه ابن حزم على ألوان الحياة الفكرية المختلفة ، ومنها اللغة والأدب والفلسفة والملل والنحل والتاريخ . ولم تكن الظاهرية عند ابن حزم قاصرة على مجال الفقه وحده .

ثالثـا :

وقد قدم هذا البحث قائمة بما عرف لابن حزم من كتب ورسائل لعلها أكبر قائمة عرفت حتى اليوم ، كما سجل المعالم الكبرى التى تنتظم انتاج ابن حزم العلمى .

رابعـا :

قدم هذا البحث — بعض قضايا الفكر التاريخى عند ابن حزم ، ومن هذه القضايا مدلول التاريخ عنده وأقسامه ، وفائدته ، ومكانته بين العلوم ، والعوامل المؤثرة فى حركة التاريخ كما يراها ابن حزم .

خامسـا :

كما قدم هذا البحث معالم المنهج التاريخى عند ابن حزم من تطبيق للظاهرية على التاريخ ، ومن اعطاء للعقل دورا فى معالجة القضايا التاريخية ، ومن تطبيق لأصول النقد التاريخى على الحقائق ، ومن احتفاء بالاحصاءات والغرائب والأحكام القاطعة .. كما قوم التزام ابن حزم بالموضوعية فى تأريخة .

سادسـا :

كشف هذا البحث عن قضية خطيرة ، هى أن منهج النقد التاريخى القائم على أساس العقل والمنطق ، وهو المنهج الذى عرف به ابن خلدون، وذاع به صيته ، انما سبقه اليه ابن حزم ، وأن ابن خلدون قد أخذ عن ابن حزم أبعادا كثيرة من أبعاد منهجه فى النقد التاريخى ، بل أنه أخذ عنه « أمثلته » أيضا . وقد قدم البحث نماذج « فى المنهج والأمثلة » للتشابه بين المؤرخين الكبيرين .

سابعا :

كشف هذا البحث عن معالم مدرسة تاريخية أندلسية ظهرت فى عصر الفتنة الأندلسية ، وكان من أقطاب هذه المدرسة ابن حزم وابن حيان وابن عبد البر وتبعهم تلاميذتهم : الحميدى وابن بسام وغيرهما .

وكانت هذه المدرسة تؤمن بالأندلسية وطنا ، وبالأموية اتجاها سياسيا ، وتتخذ من دراستها للتاريخ درعا تنقد به أوضاع الأندلس المختلة ، وتدعو الى اعادة مجد الأندلس .

ثامنا :

قدم هذا البحث جهود ابن حزم فى مجال الدراسة التاريخية — لأول مرة — فعرض دراساته فى التراجم والطبقات والأنساب والسيرة الذاتية ، كما تناول مجالات دراساته التاريخية الموضوعية ، سواء فى عصر السيرة النبوية ، أو عصر الراشدين ، أو الشرق الاسلامى الى عصره ، أو التاريخ الأندلسى ، ولا سيما عصر الفتنة والطوائف .

تاسعا :

كشف هذا البحث عن أثر فكر ابن حزم فى المغرب العربى وذلك فى عصر الموحدين .

عاشرا :

قدم هذا البحث بعض آراء ابن حزم فى الفكر السياسى الاسلامى ، وبخاصة آراؤه فى الخلافة وما يتصل بها .

حادى عشر :

قدم هذا البحث بعض آراء ابن حزم فى الفكر الاقتصادى الاسلامى وكشف عن تجديده فى بعض الآراء ، وانتماء هذه الآراء — مع تطورها — الى الفكر الاسلامى .

ثانى عشر :

قدم هذا البحث بعض آراء ابن حزم فى الفكر الاجتماعى الاسلامى، فكشف عن خطوط عامة تنتظم نظرته الاجتماعية وكشف عن آرائه فى التكافل الاجتماعى ، وعن مكانة المرأة عنده ، وعن آرائه التربوية .

ثالث عشر :

وضع هذا البحث ابن حزم فى مكانه من علم مقارنة الأديان ، وقدم أبرز جهوده فى هـذا العلم ، سواء فى الملل وثنيـة أو يهوديـة أو نصرانية ، أو فى الفرق الاسلامية المختلفة .

رابع عشر :

كشف هذا البحث ــ لأول مرة ــ عن تأثير ابن حزم فى الحضارة الاسلامية كيفا ، عن طريق تأثيره فى العقل الاسلامى ومناهج التجديد ، وكما ، عن طريق تلامذته والمشتغلين به الذين تتابعوا عبر العصـور الى يومنا هذا وأثروا حركة الفكر الاسلامى .

خامس عشر :

وكشف هذا البحث عن أثر ابن حزم فى الحضـارة الانسانية عن طريق النظريات التى اشتهر بها ، وعبرت الى أوروبا ، كما أثبت البحث ، ومنها نظريته فى المعرفة ، ونظريته فى نقد الكتب المقدسة على أسـاس الدراسة النقدية والتاريخية المقارنة ، ونظريته فى الحب العذرى التى أثرت فى شعر ( التروبادور ) وغيره ، ونظريته فى كرويـة الأرض ، وفى الجزىء الذى يتجزأ أبدا والى ما لا نهاية . الى غيرها من نواحى الابداع التى عبرت الى أوروبا ، وظهرت بصماتها فى الفكر الأوروبى .



**بنـــك دبى الاســـلامى**
**القوائم المحاســـبية عن ســـنة ١٩٧٧**
**تقريـــر مراقبى الحســـابات**

**الســـادة المساهمـــون**

**بنـــك دبى الاســـلامى**

قمنا بمراجعـــة الميزانيـــة المصـــورة لمراكز حسابات بنـــك دبى الاسلامى ــ شركة مساهمة عامة محدودة ــ فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٧ م وكذا حساب الأرباح والخسائر عن السنة المالية المنتهية فى هذا التاريخ ، وقد تمت المراجعة طبقا لقواعد المراجعة المتعارف عليها ، كما تضمنت فحصا للسجلات المحاسبية والمستندات الى المدى الذى اعتبرناه ضروريا وفقا لطبيعة الأعمال ، وقد حصلنا على المعلومات التى رأينـــا ضرورة الحصول عليهـــا .

ومع مراعاة ما جاء فى الايضاحات المرفقة من صفحة ٦ الى صفحة ٨ وما حصلنا عليه من معلومات فانه من رأينا أن الميزانية وحساب الأرباح والخسائر المرفقين يعبران ــ بأمانة ووضوح ــ على التوالى عن المركز المالى الحقيقى للبنك فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٧ ولنتائج أعماله عن السنة المنتهية فى ذلك التاريخ ، وأن البنك يمسك حسابات منتظمة وأن الجرد قد تم وفقا للأصول المرعية وأن أعمال البنك تسير وفقا لأحكام النظام والقانون .

البيانات الواردة فى تقرير مجلس الادارة تتفق مع ما هو مثبت فى دفاتر البنك فى الحدود التى تثبت فيها مثل تلك البيانات فى الدفاتر .

دبى فى : ٥ مارس ١٩٧٨ م

مؤسسة الشرق الأوسط لتدقيق الحسابات
زكى حســـن وحـــازم حســـن وشركاهم

# بنــــك دبى الاســــلامى

## شركـــة مساهمة عامـــة محـــدودة

## الميزانية فى ١٩٧٧/١٢/٣١ م

| | ١٩٧٧/١٢/٣١ | ١٩٧٦/١٢/٣١ |
|---|---|---|
| | درهـــم | درهـــم |
| **الأصـــول** | | |
| نقدية بالصندوق والبنوك ومجلس النقد | ٢٥٤٦٦٨٢٥ | ٢٠٤٨٥٢٢٠ |
| تمويـــل صفقات خارجيـــة واعتمـــادات مستندية | ٤٦٦٨٥٣٨ | ١٤٦٢٥٣٠٦ |
| سلفيـــات وحســـابات مدينـــة أخـــرى | ١٦٢٥٤٩٠٣ | ٤٩٤٤٤٤٣ |
| استثمارات فى عمليات مشاركة ومرابحة واسهم ومشروعات تابعة | ١٣٢١١١٢٣٩ | ٥٣٦٧١٢٧٨ |
| مبانى وســـيارات واثاث بعد خصـــم الاســـتهلاك | ٥٠٤٣٠٠ | ٥٢٣٤٣٥١ |
| مبنى المركـــز الرئيسى تحت الإنشـــاء | ٤٧٩٤٨٢٠ | ١٠٠٦٥٨٥ |
| | ١٨٣٨٠٠٦٣٥ | ٩٩٩٦٧١٨٣ |
| التزامات العمـــلاء مقابـــل اعتمـــادات مستندية وخطابات ضـــمان | ٣٠٦٠٥٧٠١٢ | ٥٧٧٧٢٨٩١ |
| مجموع الأصول | ٢١٤٤٥٧٦٤٧ | ١٥٧٧٤٠٠٧٤ |

( أنظر الايضاحات المرفقة )

# بنــــك دبى الاســـــلامى

## شركـــة مساهمــة عامة محـــدودة

## الميزانية فى ١٩٧٧/١٢/٣١

| | ١٩٧٧/١٢/٣١ | ١٩٧٦/١٢/٣١ |
|---|---|---|
| **الخصوم وحقوق المساهمين** | | |
| **الخصـــوم** | | |
| ودائع استثمار وصناديق التوفير | ٧٥١٩٧٢٩٠ | ٣١٧٠٥٢٤٣ |
| حسابات جارية وأمانات وحسابات أخرى متضمنة المخصصات | ٤٣٥٤٥٠٥٥ | ٣٦٥٤٣٩٠٥ |
| | ١١٨٧٤٢٣٤٥ | ٦٨٢٤٩١٤٨ |
| **حقوق المساهمين** | | |
| راس المال المصرح به والمصدر ١٠٠٠٠٠ سهم قيمة السهم ٥٠٠ درهم | ٥٠٠٠٠٠٠٠ | ٥٠٠٠٠٠٠٠ |
| أقساط مطلوبة من المساهمين (١٩٧٦ تحت الطلب) | ١٧٢٢١٠٠ | ٢٢٨٣٨٠٠٠ |
| راس المال المدفوع | ٤٨٢٧٦٩٠٠ | ٢٧١٦٢٠٠٠ |
| احتياطي راسمالى | ١١٥٢٦٤٢٩ | — |
| احتياطي قانونى | ١١٢٥٥١٥ | ٦٦٥٨٤٣ |
| الأرباح المقترح توزيعها للمساهمين | ٤٠١١٥١٤٠ | ٢٥٩٧٣٧٢ |
| إرباح مرحلة للسنة القادمة | ١٤٣٠٦ | ١٢٩٢٨٢٠ |
| مجموع حقوق المساهمين | ٦٥٠٥٨٢٩٠ | ٣١٧١٨٠٣٥ |
| التزامات عن اعتمادات مستندية وخطابات ضمان | ٣٠٦٥٧٠١٢ | ٥٧٧٧٢٨٩١ |
| مجموع الخصوم وحقوق المساهمين | ٢١٤٤٥٧٦٤٧ | ١٥٧٧٤٠٠٧٤ |

( انظر الايضاحات المرفقة )

**سعيد احمد لوتاه**
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب

**ناصر راشد لوتاه**
نائب رئيس مجلس الادارة

## بنـــك دبي الاســـلامي

## شركة مساهمـة عامة محـدودة

## حســاب الأرباح والخســائر

## عن السنة المالية المنتهيـة في ٣١ ديسمبر ١٩٧٧

| | سـنة ١٩٧٧ | من ١/١٠/١٩٧٥ حتى ٣١/١٢/١٩٧٦ |
|---|---|---|
| | درهـم | درهـم |
| ايرادات الأعمال المصرفية | ١٠٥١٩٤٩ | ٨٤٥٨٦٦ |
| ايرادات وارباح الاستثمارات | ١١٥٥٧٣٠٤ | ٧٩٥٠٠٧٠ |
| مجموع الايـرادات | ١٢٦٠٩٢٥٣ | ٨٧٩٥٩٣٦ |
| رواتب ومكافـآت | ١٣٥٥٩٥١ | ١٢٥٤١٥٩ |
| مصروفات اداريـة وعمومية ومخصصـات | ٢٧٦٣٢٨١ | ٥٢٢٨٢١ |
| مجموع المصروفـات | ٤١١٩٢٣٢ | ١٧٧٦٩٨٠ |
| صـافي الربـح | ٨٤٩٠٠٢١ | ٧٠١٨٩٥٦ |

( انظر الايضاحات المرفقة )

## بنـــك دبى الاســـلامى
## شركة مساهمـة عامة محـدودة
## حساب توزيع الأرباح المقترح
## عن السنة المالية المنتهيـة فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٧

| | سـنة ١٩٧٧ | من ١٩٧٥/١٠/١ حتى ١٩٧٦/١٢/٣١ |
|---|---|---|
| | درهـم | درهـم |
| صـافى الربح طبقا للحسـاب المرفـق | ٨٤٩٠٠٢١ | ٧٠١٨٩٥٦ |
| يضاف : الربح المرحل من العام السابق | ١٢٩٢٨٢٠ | — |
| المجموع مقترح توزيعه كالآتى: | ٩٧٨٢٨٤١ | ٧٠١٨٩٥٦ |
| الزكـاة | ٥٨٩٤٠١ | ٣٦٠٥٢٧ |
| اربـاح ودائـع اسـتثمار خاص ٩٪ | ٣٣١٣٢٠ | — |
| اربـاح ودائـع استثمار لمدة سنة ٨ر٨٪ | ٣٣٨٩٣٠٣ | ١٤٦١٢٢٨ |
| اربـاح ودائـع استثمار لمدة نصف سنة ٣ر٦٪ | ٦١٧٣٩ | ١٣٩١٣٣ |
| اربـاح ودائـع استثمار لمدة ثلاثة شهور ٥٪ | ١١٣٦٢٥ | — |
| ارباح ودائع التوفـير ١٠ر٥٪ | ١٢١٣٩٠ | ٣٩٨٥٢ |
| أرباح أقسـاط تمليك مدينـة بدر ١٠ر٥٪ | ٢٨٦٩٤٤ | ١٦٢٥٥١ |
| مجموع الزكـاة وأرباح ودائـع الاستثمار وصناديق التوفير | ٤٨٩٣٧٢٢ | ٢١٦٣٢٩١ |
| احتياطى قانونى | ٤٥٩٦٧٢ | ٦٦٥٨٤٣ |
| مكافأة أعضاء مجلس الادارة | ٣٠٠٠٠٠ | ٢٩٩٦٣٠ |
| أرباح المساهمين ٣٥ر٩٪ | ٤١١٥٤١ | ٢٥٩٧٣٧٢ |
| مجمـوع الاحتيـاطى العـام ومكافأة الادارةوارباحالمساهمين | ٤٨٧٤٨١٣ | ٣٥٦٢٨٤٥ |
| الباقى ويرحل للعام القادم | ١٤٣٠٦ | ١٢٩٢٨٢٠ |
| | ٩٧٨٢٨٤١ | ٧٠١٨٩٥٦ |

( انظر الايضاحات المرفقة )

## بنـــك دبى الاســـلامى

## شركة مساهمـة عامة محـدودة

## ايضاحات عن القوائم المحاسبية لسنة ١٩٧٧ م

### أولا : السياسات المحاسبية :

### قواعد تحديد الايرادات :

### ( أ ) أرباح المشاركة :

يتم الاتفاق مع العملاء على تمويل مشروعات صناعية أو تجارية مع التزام العميل بتقديم بيانات عن نتائج أعمال المشاركة والتى منها يظهر نصيب البنك من الربح الفعلى ، ولا يتم قيد الايرادات الناتجة عن هذه العمليات الا بعد اقرار العميل بها .

### (ب) ايرادات المرابحـة :

يقوم البنك ببيع العمـلاء سلعا معمرة يتم سداد ثمنها بأقسـاط شهرية متساوية أو بالكامل بعد فترة زمنية قد تمتد الى سنة كاملة ، وفى حالة البيع بأقساط شهرية متساوية يتم قيد الأرباح الناتجة عن الصفقة بالتساوى فى تاريخ السداد الفعلى للأقساط ، أما بالنسبة للبيع الأجل فقد تم تحديد نصيب السنة المالية الحالية من الأرباح على أساس المدة من تاريخ التعاقد حتى نهاية السنة المالية منسوبة الى المدة الكلية .

### (ج) ايرادات المشروعات والقطاعات المملوكة والتابعة للبنك :

تم قيد نصيب البنـك فى ايرادات المشروعات والقطاعات المملوكة للبنك والتابعة للبنك والناتجة عن أعمـال قامت بها هـذه المشروعات أو القطاعات للغير أو للبنك من واقع حسابات معتمدة فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٧ كما يتبين من الكشف المرفق .

**( د ) ايرادات مشروع مدينة بدر السكنية :**

بلغت ايرادات مشروع مدينة بدر السكنية المدرجة ضمن ايرادات وأرباح الاستثمارات مبلغ ٢٨٩٩٠٠٠ درهم وتمثل الفرق بين ما تكلفته المبانى التى تم انشاؤها أو ما زالت تحت الانشاء وبين القيمة التى تم قيدها على حساب ادارة مدينة بدر التابعة للبنك فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٧ مقابل هذه المبانى .

**(هـ) ايرادات العمليات الخارجية :**

تتمثل هذه الايرادات فى أرباح البيع المؤجل المتولد عن الصفقات المتعلقة بالاعتمادات المستندية والتى انعقدت نية ادارة البنك على شراء البضائع المتعلقة بها وبيعها للعملاء .

**ثانيا : تقييم أصـول البنـك :**

**١ ـ تقييم السلفيات والحسابات الأخرى :**

ـ تظهر أرصـدة السلفيات والحسابات المدينـة الأخرى بالمبالغ المستحقة على هذه البنود ، وقد خصم منها المبلغ الذى رأت ادارة البنك تحميله على الأرباح هـذا العام لمقابلة المخصص للديون المشـكوك فى تحصيلها والذى سيتم تحديد قيمته النهائية فى العام القادم عندما تتحدد القيمة النهائية لهذه الديون .

ويتم منح هذه القروض للمشروعات والقطاعات المملوكة أو التابعة للبنك وكذا للعملاء بدون عائد مباشر للبنك ، غير أن البنك يرى أن هذه السلفيات والقروض تساعد على تنشيط الأعمال وزيادة عدد العملاء .

ويقوم البنك حاليا باستكمال السياسات التنظيميـة لمنح السلفيات والمشاركات فى حدود ما يقضى به النظام الأساسى للبنك .

**٢ ـ تقييم الاستثمارات فى عمليات الشراكة والمرابحة واسهم ومشروعات تابعــة :**

ـ قيمت المشاركات على أساس القيمة الفعلية المدفوعة للمشاركين ، وقد قام البنك بالتحقق من سلامة هذه القيمة بالنسبة لعدد من هــذه المشاركات .

ـ تم تقييم الاســهم المملوكة للبنك فى المشروعات خارج دولة الامارات والتى تتمثل فى مساهمة البنك فى بنك فيصل الاســلامى بالخرطوم وشركة ابن سينا للعــلاج بالقاهــرة ، وهما ما زالتا تحت التأسيس بالتكلفة .

ـ يقوم بتنفيذ مبانى مدينة بدر شركة سعيد وسلطان لوتاه وقطاع الانشاءات بالبنك وقد تم تقييم ما تم انجازه من أعمال حتى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧٧ وكذا الأرض المقامة عليها هذه الأعمال على أساس ســعر البيع المحــدد ، وقد عليت القيمــة المقدرة لهذه الأرض والبالغ قدرها ١١٥٢٦٤٢٩ درهم على حساب الاحتياطى الرأسمالى .

ـ أرض مدينة بدر ممنوحة للبنك من قبل صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم وتظهر ضمن أصول البنك بقيمة تذكارية قدرها درهم واحــد ( فيما عــدا الأرض التى تم اقامــة المبانى عليهــا حتى ٣١ ديسمبر ١٩٧٧م ) .

يوضح الكشف المرفق ملخصا للمركز المالى للمشروعات والقطاعات المملوكة والتابعــــة للبنــك وفقا للحســابات المعــدة لكل منهــا فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٧ والتى تم اعتمادها من مراقبى الحسابات .

**٣ ـ الأصــول الثابتــة :**

تم حساب الاستهلاك للأصول الثابتة بطريقة القسط الثابت وعلى أساس العمر الانتاجى المقدر لهذه الأصول وفقا للمعدلات الآتية :

الأثاثات والتركيبات من ١٥٪ الى ٢٠٪ ـ الآلات والمعدات ٢٠٪ السـيارات ٣٣ ١/٣ ٪ .

**٤ ـ مبنى المركز الرئيسى تحت الانشاء :**

يمثل المبلغ الظاهر فى الميزانية اجمالى المبالغ المدفوعة على حساب، مبنى البنك الرئيسى والذى يقوم بتنفيذه مؤسسة الانشاءات التابعة للبنك ، ويقام على أرض ممنوحة للبنك من قبل صاحب السمو الشيخ راشد بن سعيد المكتوم •

**ثالثا : تقييم الأصول بالعملات الأجنبية :**

تم تقييم الأرصدة بالعملات الأجنبية بما يعادلها بدرهم الامارات بسعر الشراء السائد للعملات الأجنبية فى تاريخ الميزانية •

# بنــــك دبي الاســــلامي

## ملخص المراكز الماليــة للمشروعــات والقطاعــــات المملوكـــة والتابعـــة للبنـــك

### أولا : المشروعات والقطاعات المملوكة للبنـــك بالكامـــل :

| | قطاع المقاولات | | القطاع التجاري الصناعي | | مصايد الاسماك | | مار بلكس | | ادارة مدينة بدر | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | فلس | درهـــم | فلس | درهـــم | فلس | درهـــم | فلس | درهـــم | فلس | درهـــم |
| الأصول الثابتة | ٧٥ | ٣٠٢٥٦٣٩ | ٠٠ | ٤٦٤٤١ | ٥٣ | ١٣٠٠٨٤٢ | ٤٢ | ٣٩٠٩٨٨٠ | ٠٠ | ٣٢٢٤٣ |
| أعمال تحت الانشاء | — | — | — | — | ٦١ | ٣٤٧٩٥٩ | — | — | ٧٣ | ٥١٠٥٠٨٩٤ |
| الأصول المتداولة | ٢٩ | ٣٧٧٧١٠ | ٨٢ | ٧٨٢٥٩١ | ٢٥ | ١٠٢٨٣٨ | ٦١ | ٢٦٢٠٨١ | — | — |
| مصروفات التأسيس والتجـــارب | — | — | — | — | ٩٣ | ٨٨٥١٦٢ | ٧٩ | ٤٨٥٧٨٥ | — | — |
| مصروفات مرحلة للعـــام القادم | — | — | — | — | — | — | — | — | ٩٤ | ١١٧٣١٦ |
| مجموع الأصول | ٠٤ | ٣٤٠٣٣٥٠ | ٨٢ | ٨٢٩٠٣٢ | ٣٢ | ٢٦٨٦٨٠٣ | ٨٢ | ٤٦٥٧٧٤٧ | ٦٧ | ٥١٢٠٠٤٥٤ |
| ناقصا : الخصوم المتداولـــة | ١٣ | ١٣٨٩٩٢٨ | ٠٠ | ١٦٥٣٠ | ٨٠ | ٣٠٠٥١٩ | ٥٩ | ١٥٥٥٣١ | — | — |
| صافي الأصول ويمثـــل في : | ٩١ | ٢٠١٣٤٢١ | ٨٢ | ٨١٢٥٠٢ | ٥٢ | ٢٣٨١٢٨٣ | ٢٣ | ٤٥٠٢٢١٦ | ٦٧ | ٥١٢٠٠٤٥٤ |
| **بنك دبي الاسلامي** | | | | | | | | | | |
| حسابات استثمار وجارية وقطاقات أخـــرى | ٦٤ | ٧٤٧٢٨ | ٢٦ | ٧٩٨٠٩٦ | ٥٢ | ٢٣٨١٢٨٣ | ٢٣ | ٤٥٠٢٢١٦ | ٦٧ | ٥١٢٠٠٤٥٤ |
| صـــافي الربح | ٥٥ | ٢٠٨٨١٥٠ | ٥٦ | ١٤٤٠٦ | — | — | — | — | — | — |
| مجموع الموارد | ٩١ | ٢٠١٣٤٢١ | ٨٢ | ٨١٢٥٠٢ | ٥٢ | ٢٣٨١٢٨٣ | ٢٣ | ٤٥٠٢٢١٦ | ٦٧ | ٥١٢٠٠٤٥٤ |

## ثانيا : مشروع تابع للبنــك :

## شركــة الألمونيــوم

## الميزانيــة فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٧

| البيان | فلس | درهـــم | فلس | درهـــم |
|---|---|---|---|---|
| الأصول الثابتة | | | ٦٧ | ٧٤٣١٦٤ |
| الأصول المتداولة | | | ٠٩ | ٩٧٥٧٠٩٠ |
| مجموع الأصول | | | ٧٦ | ١٠٥٠٠٢٥٤ |
| **ناقصا** : الخصوم المتداولة | | | ٦٧ | ٣٨٢٥٧٢٣ |
| صافى الأصول ويتمثل فى : | | | ٠٩ | ٦٦٧٤٥٣١ |
| **بنـك دبى الاسلامى ٧٥٪** | | | | |
| راس المال | ٠٠ | ١٥٠٠٠٠٠ | | |
| الاحتياطى القانونى | ٥٨ | ٢٠٧٤١٣ | | |
| صـافى الربح | ٢٥ | ١٨٦٦٧٢٢ | | |
| حسـاب جـارى ( البنـك والقطاعات التابعة ) | ٢٦ | ١٧٦٣٤٦٣ | | |
| حقوق الشريك | | | ٠٩ | ٥٣٣٧٥٩٩ |
| | | | ٠٠ | ١٣٣٦٥٣٢ |
| | | | ٠٩ | ٦٦٧٤٥٣١ |

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٨/٦٠٣٩
الشركة المصرية للطباعة والنشر ٦٠٠٠/٧٨/٧٨٥٧

Vol. 4. No. 14 APRIL — MAY — JUNE 1978

RABI THANI — JAMAD ULA — JAMAD THANIA 1398

# al-Muslim al-Mu'āsir

*The Contemporary Muslim*